مشاهير قادة العالم



فيدريك الكبير

الثاني

١٧١٢ — ١٧٨٦

تأليف

بسام العسلي

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

مشاهير قادة العالم

فيدريك الكبير

الثاني

١٧١٢ — ١٧٨٦

تأليف
بسام العسلي

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر



فريدريك الكبير

الثاني

١٧١٢ — ١٧٨٦

تأليف
بسام العسلي

الطبعة الاولى
١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م



فردريك الأكبر (١٧١٢-١٧٨٦)

المقدّمة

قال عنه نابليون بونابرت :

«كان فوق كل شيء ، وقبل كل شيء . عظيماً وهو في أشد اللحظات ضيقاً وحرجاً . وتلك هي أرفع فضيلة يمكن للمرء أن يتطلع عليها عندما ينظر إلى الملك فريدريك العظيم» .

«لم تكن مناوراته هي التي ميزته ، وإنما الجرأة والاقدام اللتان كانتا من أبرز صفاته هما اللتان ميزتاه عن سواه من القادة . لقد أقدم على تنفيذ أعمال لا أجد حتى الجرأة للإقدام عليها . لقد تخلى عن خط عملياته ، وغالباً ما كان يعمل وكأنه لا يعرف شيئاً عن فن الحرب» .

«ليس الجيش البروسي هو الذي دافع عن بروسيا طوال سبع سنوات ضد أقوى الدول الأوروبية الثلاث . وإنما الذي دافع عن بروسيا هو شخص فريدريك العظيم» .

تلك هي مقولات قليلة بين ركام ضخم من المقولات ، بعضها في مصلحة (فريدريك العظيم) وبعضها ضده ، وهذه وتلك تبرزان على السواء الجدل الذي تركز على أعمال فريدريك ومنجزاته منذ أيامه وحتى هذه الأيام . غير أن هناك أكثر من حقيقة لا بد من الاشارة إليها ، وأولها : ضرورة وضع أعمال فريدريك في اطار عصره ، وفي مناخ الظروف التي عاشها . وثانيها : أخذ مقولاته وممارساته في إدارة السياسة والحرب كتعبير عن روح العصر . إذ ليس ما هناك أكثر خطأ من تقويم أحداث التاريخ وشخصيات التاريخ من خلال منظور أو بواسطة قيم ومقاييس تغاير حجم الحدث أو طبيعته أو ظروف حدوثه . وثالثها : عدم التوقف عند النتائج المباشرة

للحدث وإنما الابتعاد إلى أفق المستقبل لتقويم أهمية الحدث وتأثيره على تفاعلات المستقبل.

من هنا تظهر القيمة الحقيقية لأعمال (فريدريك العظيم) ومنجزاته.

لقد اتفقت أكبر الدول الأوروبية على وأد هذه الامارة الصغيرة (بروسيا) والاستيلاء على أرضها وتدمير شعبها، ووقف قائد واحد في وجه الدنيا ليقول (لا).

وخاض بنتيجة ذلك صراعاً مريراً، جابهته خلاله انتكاسات مريرة كافية لالقاء الروع في قلوب أشد الرجال وأكثرهم بأساً وأقواهم عزماً. إلا رجلاً واحداً هو (فريدريك) الذي مرّ في بعض لحظات الحرب، وقد تخلى عنه حتى جنوده.

فعرف كيف يخرج من المحنة، وهو أشد صلابة وأكثر تصميماً وعزماً.

وحدد هدفه منذ البداية، بإقامة عظمة (بروسيا) وتوسيع حدودها بالاستيلاء على (سيليزيا) التي اعتبر أرضها قسماً من أرض بلاده، واعتبر شعبها فرعاً من أهله وأبناء عمومته (الجرمان) واستمر في رفع هذا الهدف حتى النهاية، لم تتعبه الأحداث، ولم تضعفه مسيرة الصراع حتى كان له ما أراد، وحتى اعترف له الأعداء بعدالة مطلبه، وشرعية هدفه.

كان (فريدريك) جرار جيوش، يستأثر بمواطن الخطر في ميادين القتال، ويشارك جنوده مشاق عملهم، ويتحمل من أعباء الحرب أكثر مما يتحملون، ويعاني بأكثر مما يعانون. فليس من الغريب أن يعمل هؤلاء في كل مرة على انقاذه عندما تضيق مخارج النجاة، ويقدمون في سبيله التضحيات عندما تعز التضحيات.

وعلى الرغم من ذلك، فقد عرف (فريدريك العظيم) بأن الولاء للقضية هو أكبر وأقوى من الولاء الفردي – حتى لو كان هذا الفرد هو شخص الملك ذاته، ولهذا فهو يقول: «**تكمن القوة – كل القوة – بالقدرة الهجومية لوحداتنا. ونكون من أشد الحمقى لو اننا لم نوجه هذه القدرة من أجل دعم قضية جيدة**». ولقد كانت هذه القضية هي قضية (وجود بروسيا وعظمتها بأكثر مما كانت قضية سيليزيا في حد ذاتها).

لقد كان (فريدريك العظيم) هجومياً. ولكنه لم يكن عدوانياً، لم يترك لأعدائه

أبداً فرصة مهاجمته ، فكانٍ يسعى باستمرار إلى (حسم الصراع فوق أرض المعركة) وكان يوظف مناوراته وتحركاته من أجل الهجوم فكان بذلك نقطة التحول الحاسمة بين أساليب حرب القرنين السابقين – حيث كانت المناورات هي أساس الحرب – وبين أساليب العصور التالية ، حيث أخذت (المعركة الحاسمة) دوراً أساسياً في كل صراع مسلح ، وهو الأمر الذي أبرزه (نابليون بونابرت) من بعده.

وفي مجال تأثير منجزات (فريدريك) على أفق المستقبل . تكفي الاشارة إلى أن ظهور بروسيا كدولة أوروبية عَظمى هو الذي أدى إلى مجموعة الحروب التالية ، وأبرزها الحربان العالميتان الأولى والثانية . فهل هناك من الأحداث ما هو أقوى أثراً على مسيرة التاريخ كمثل تلك الأحداث التي بقي (فريدريك) بطلها وصانعها بدون منازع .

وقد يكون من سبق الأحداث بعد ذلك ؛ ذكر ما هو أكثر ، ففي متابعة سَيرته قدر كاف من المعرفة التي تغني التجربة التاريخية ثراء .

(وقل رب زدني علماً)

بسام العسلي

الوجيز في حياة فريدريك الثاني الكبير
١٧١٢ - ١٧٨٦

التاريخ	وجيز الأحداث
١٧١٢	ولادة فريدريك الثاني ابن فريدريك وليم الأول.
١٧٢١	فريدريك في التاسعة من عمره يتولى قيادة سرية.
١٧٢٧	تعيين فريدريك لقيادة كتيبة حرس بوتسدام برتبة رائد.
١٧٣١	هرب فريدريك من بروسيا بسبب الحياة الصارمة التي فرضت عليه واعتقاله وسجنه، ووساطة ملوك أوروبا.
١٧٣٢	اطلاق سراح (فريدريك) وتعيينه لقيادة كتيبة (غوبلز).
١٧٣٣	زواج فريدريك من (اليزابيت كريستينا).
١٧٣٤	فريدريك يتولى قيادة كتيبة في الحملة البروسية ضد فرنسا.
١٧٤٠	وفاة (فريدريك وليم الأول) وتولي (فريدريك الثاني) عرش بروسيا.
(١٧٤٠ - ١٧٤٢)	فريدريك يقود الجيش البروسي (لغزو سيليزيا).
(١٧٤٤ - ١٧٤٥)	الحرب السيليزية الثانية.
١٧٤٦	فريدريك يكتب (الأصول العامة للحرب) وهو أشهر مؤلفاته.
١٧٥٢	فريدريك يكتب مؤلفه الثاني: (العهد السياسي).
(١٧٥٦ - ١٧٦٣)	حرب السبع سنوات.
١٧٥٧	معركتي (روزباك ولوثن) أشهر معارك فريدريك.
١٧٦٨	فريدريك يصدر خلاصة تجاربه في كتابه (العهد العسكري).
١٧٧١	فريدريك يصدر كتابه الجديد: (عناصر فن اختيار مواقع المعسكرات وتخطيطها وفن القتال - التكتيك).
(١٧٧٨ - ١٧٧٩)	حرب الوراثة البافارية.
١٧٨٦	وفاة (فريدريك الثاني الكبير). وصعود (فريدريك وليم الثاني) لعرش بروسيا.

من مقولات فريدريك الكبير في الحرب

١ - لم يجىء النظام إلى بروسيا قط نتيجة لتشاور الأفراد وتعاونهم. ولو أن (نيوتن) قد اضطر إلى مشاورة (ديكارت) و (ليبنتز) لما وصل أبداً إلى ما وصل إليه من نظرياته العلمية والفلسفية.

٢ - ان الفلاحين أكثر جهلاً من أن يكونوا ضباطاً. وان اختيار الضباط من بين البورجوازيين معناه القيام بالخطوة الأولى لاضمحلال الجيش وسقوطه.

٣ - من الضروري العناية بالعاملين الكادحين من أفراد الشعب عناية الإنسان بعينيه. ولا يجوز في وقت الحرب جمع الجنود من المواطنين إلا عندما تفرض الضرورة القصوى والحاجة الملحّة لذلك.

٤ - ان أقل تهاون بالانضباط سيؤدي إلى الشراسة والتوحش.

٥ - يجب أن يفهم الضباط والجنود أن كل قرار إنما هو من عمل رجل واحد. ولا يجب أن يناقش أحد الأسباب، بل يجب على كل فرد أن ينفذ ما أمر بتنفيذه بدون تردد.

٦ - كل ما يمكن أن يفعله الجنود هو أن يتزودوا بحب الوحدة، ولتنغمر شخصياتهم وتذوب في ألويتهم.

٧ - ما دام شرف القتال لا يؤثر في الجنود، ولا يعتبر دافعاً لهم، فمن الضروري أن يخافوا قادتهم أكثر مما يخافون من - أخطار الحرب -. وإلى جانب ذلك فإن الإنسانية تتطلب تزويد الجيش بعناية طبية جيدة.

٨ - ما لم يكن كل رجل مدرباً من قبل في وقت السلم على ما سيقوم به في الحرب، فلن يكون لدى القائد إلا جماعة من الأهلين يحملون إسم صناعة أو حرفة لا يعرفون كيف يقومون بها.

٩ - كسبك للمعركة معناه أن تضطر عدوك ليسلم لك موقعه.

١٠ - ان حصولك على جملة أرباح قليلة يمكنك من جمع ثروة طائلة. وإن كل المناورات التي يقوم بها القائد في الحرب، تعود بالنفع على المواقع التي يحتلها كقواعد له يعمل منها، كما تعود بأقل خسارة على المواقع التي قد يهاجمها.

١١ - ألاحظ أن كل الحروب التي حدثت بعيداً عن حدود بلاد أولئك الذين خاضوا غمارها، كانت أقل نجاحاً من تلك التي خاضوها على مقربة من بلادهم. ألا يمكن أن يكون هذا بسبب الشعور الطبيعي في الإنسان بأنه أكثر عدالة عندما يدافع عن نفسه، أكثر مما يحس عندما يسبب خسارة لجاره؟...

١٢ - ان عقيداً (كولونيلاً) شجاعاً يمكن أن يوجد كتيبة من الشجعان. وان القرار الذي يتخذه ضابط برتبة عقيد (كولونيل) في لحظة حرجة قد يؤثر في مستقبل الدولة. ومن واجب الملك أن يتأكد من توافر هذه الروح لدى هؤلاء الضباط الأرستقراطيين النبلاء.

١٣ - ان حرباً طويلة لا بد لها وأن تنهك موارد بروسيا وتحطم الانضباط الرائع الذي يميز الجندي البروسي.

١٤ - يخدع القائد نفسه عندما يفكر بأنه يستطيع إدارة حرب دفاعية بصورة جيدة، وأن يبقى سلبياً طوال الحملة بدون أن ينتفع بقوى المبادأة والابتكار، فإن مثل هذا الدفاع ينتهي دائماً بأن يزاح جيشه عن الأرض التي قصد أن يحميها.

١٥ - أعرف عن ثقة أن الدول الصغيرة قادرة على الاحتفاظ بسيادتها ضد الدول الملكية الكبيرة، وذلك إذا ما وضعت هذه الدول الصغرى الصناعة والنظام في أعمالها.

١٦ - تتوقف نتيجة المعركة إلى حد كبير على الفرص والظروف، وهي الفرص والظروف التي تتناقض مع التقدير الحسابي الدقيق الذي يعتمد على منطق الواقع ومعطياته المادية. وإن القدرة على التخطيط الجيد وقوة القيادة لفرض الانضباط هما عاملان لا يمكن الاعتماد عليهما في خضم الاشتباكات العنيفة الواسعة المدى. ويجب أن يلاحظ بالاضافة إلى هذا، أن أغلب القادة إنما يتجهون هذا الاتجاه تبعاً للحاجة وللافتقار إلى موارد أخرى، وليس هذا خاصية ممتازة فيهم، بل هو عادة علامة على الاجداب والقحل في مواهبهم.

١٧ - ان أي جندي يبدو في أثناء المعركة وكأنه سيفر (يهرب) أو حتى يضع قدمه بعيداً عن خط القتال، فإن ضابط الصف الذي يقف وراءه يطعنه لتره برمحه

(حربته) ويقتله في مكانه. وإذا فر العدو فإن (الخط المنتصر – أو النسق الأول) يبقى في أماكنه. ويحرم سلب القتلى والجرحى، وعقوبة ذلك هي الاعدام.

١٨ – كوّن فريدريك جيشاً يتمتع بحب المواطنين وثقتهم في حين كانت المقاهي الافرنسية تضع عند أبوابها لافتات كتب عليها: «يمنع دخول الكلاب والخدم والبغايا والجنود».



«يجب أن تكون حروب بروسيا قصيرة ، مليئة بالحركة ، ويجب أن يهدف القادة البروسيون إلى اتخاذ قراراتهم بسرعة» .

(فريدريك الثاني – الكبير)

الفصل الأوّل

فريدريك الثاني .. النشأة والشباب

١ – المراحل المبكرة في حياة فريدريك .
٢ – بروسيا قبل (فريدريك الثاني) .
٣ – الجيش البروسي :
(أ) المشاة .
(ب) الفرسان .
(ج) الهوسار .
٤ – بروسيا تتحدى النمسا .



١ - المراحل المبكرة في حياة فريدريك :

ولد ضعيفاً، ونشأ عليلاً، وتوفي أخواه اللذان سبقاه إلى الحياة، فلم يكن في طفولته ما يستثير الاهتمام بوجوده على الرغم من كل العناية التي أحيط بها. لقد كان المجتمع بدائياً، لا يهتم إلا بالقوة ولا يريد الحياة إلا للأبناء الأصحاء الأقوياء. فكان لهذا الولد قدرة في البقاء حياً ليصبح أقوى من الموت أو أن يقضي إلى حيث سبقه أخواه. وكانت العائلة في حاجة لوريث غير أنه لا بد لهذا الوريث من أن يكون قوياً حتى يضطلع بالأعباء الثقيلة التي تنتظره، وحتى يتمكن من تحمل المسؤوليات الجسام التي ستقع على عاتقه، غير أن هذه الطفولة العليلة لا تبشر بالخير لا لأهله، ولا لمجتمعه، ولا حتى لنفسه.

ذلك هو (فريدريك) ابن (فريدريك وليم) ملك بروسيا من (صوفيا الهانوفرية)، فهو بذلك حفيد ملك انكلترا (جورج الأول) والذي ولد في سنة (١٧١٢) ليبدأ حياة تغاير تكوينه وتناقض طبيعته.

لقد ترك (فريدريك الابن) لرعاية مربية افرنسية (بروتستانتية) من الهيغنوت، فأتقن اللغة الافرنسية قراءة وكتابة. غير أن قومه الذين سيتولى أمرهم وسيعيش معهم هم من الألمان الذين يتميزون باستخدامهم اللغة (الجرمانية) التي لم يكن (فريدريك) يعرف عنها غير النذر اليسير، فكان في ذلك أول تناقض سيعيش مع (فريدريك) طوال حياته. وكانت معرفة اللغة «اللاتينية» ضرورة مميزة لأبناء الطبقة الأرستقراطية المثقفة، غير أن (فريدريك) أعرض عن تعلم هذه اللغة، فكانت معرفته بها كمعرفته باللغة الانكليزية، وكمعرفته أيضاً باللغة الألمانية، معرفة لا تتجاوز القليل من كثير، ولا تزيد حدود القراءة والكتابة بصورة أولية، وابتدائية.

عندما بلغ (فريدريك) السابعة من عمره، انتقلت تربيته إلى يد مدرس افرنسي، بالاضافة إلى ضابطين كان واجبهما إعداده وتأهيله لحياة الجندية الصارمة.

وتركزت دراسته بالتالي على المواضيع العسكرية التي ستشكل القاعدة الصلبة لثقافته المقبلة، بالاضافة إلى دراسة التاريخ المعاصر، وبصورة خاصة (تاريخ براندنبرغ) علاوة على الدراسات الاقتصادية والادارية. وما ان بلغ (فريدريك) التاسعة من عمره حتى تم تعيينه قائداً لسرية تضم (مائة) من طلاب الكلية الحربية.

لم يلبث (فريدريك) أن أظهر كراهيته للحياة التي فرضت عليه في (ويسترهوزن) مقر إقامة والده في ظاهر مدينة (برلين). ولم يظهر أي ميل للصيد أو رغبة في حياة المجون والهزل التي ميزت (مجتمع التبغ) المحيط بقصر والده. وفي حين أظهر (فريدريك) اشمئزازه من والده وأسلوب حياته، أظهر بالمقابل ولعاً بتذوق الأدب الافرنسي والثقافة الافرنسية، وكان يمضي ساعات فراغه في مداعبة شبابته (مزمار الفلوت). وأخذ شعور الكراهية في التسرب إلى نفس الأب تجاه ابنه، وتجاه ما يمارسه من سلوك اعتبره الأب نوعاً من السلوك الانثوي الذي لا يناسب الرجال. ووصل الأمر إلى حد أن أخذ الأب (فريدريك وليم) في نقل تاج الامارة إلى أصغر اخوته ليحل محله بدلاً من ابنه. وأصاب الذعر الأب لما عرفه في ابنه من الافراط إلى حياة الدعة والنعومة والانغماس في الملذات وابتعاده عن حياة الجيش. وأصبح مقتنعاً بأنه والد لابن شاذ، قد خان تقاليد (آل هوهنزوليرن). وانه سيدمر (بروسيا) فيما لو أصبح أميراً عليها. فأخذ في معاملة ابنه بقسوة وأهانه أمام الجمهور، بل وتمادى في قسوته عليه فضربه علناً وهو يقول له بسخرية: «عندما عاملتني أمي بمثل هذه القسوة، وصل بي الأمر إلى حد الجنون، ولكن هذا الابن عديم الشرف والإحساس». واستمرت العلاقة بين الأب وابنه تسير في اتجاهين متناقضين وأخيراً أقدم الأب الطاغية على مصادرة كتب ابنه ومزماره (الفلوت)، وحرمه من الذهاب لزيارة والدته أو الاجتماع بها. وعندما بلغ (فريدريك) الخامسة عشرة من عمره، أصبح يحمل رتبة رائد، وتم تعيينه قائداً لكتيبة حرس (بوتسدام) والتي كانت تضم (٢٥٠٠) مقاتل من الرجال الذين كان يتم اختيارهم من أطول الرجال (العمالقة) بحيث كان طول الضباط والجنود لا يقل عن ستة أقدام (١٨٠ – ١٩٠ سم). ومضت أربعة أعوام، ولم يعد بمقدور (فريدريك) احتمال المزيد من الضغوط، فقرر الهرب من (بروسيا)، واختار ضابطاً من ثقاته ليعاونه في تدبير أمر الفرار. غير أن (فريدريك) لم يبتعد كثيراً، وتم إلقاء القبض عليه وعلى رفيقه، واحيلا إلى محكمة عسكرية عرفية. ووافق الأب على احكام المحكمة العرفية وصدقها. وتم تنفيذ حكم الاعدام بالملازم (فون كيتل) الذي رافق الأمير (فريدريك) وساعده على الفرار.

ومكث (فريدريك) في سجن (كوسترين) ينتظر تنفيذ حكم الاعدام فيه. وتدخل ملوك أوروبا وأمراءها لدى الأب (الأمير فريدريك وليم) وتوسطوا لديه من أجل إصدار حكم العفو عن (الابن). فتم إلغاء حكم الاعدام. غير أنه كان لا بد من ابقائه في السجن لفترة أخرى. بحيث انه لم يتم إطلاق سراحه حتى أعلن عن توبته من (جريمته)، وأكّد رغبته في الخضوع لأوامر أبيه وتوجيهاته. وعندئذ أعيدت إليه رتبته ومركزه القيادي، ووضع مرة أخرى تحت الاختبار. وأصبح (فريدريك) منذ هذه اللحظة كذوباً ومنافقاً، ومشككاً بكل من حوله، وقادراً على اخفاء انفعالاته ومشاعره وأفكاره باستمرار. وقد ترك ذلك أثراً عميقاً في نفس فريدريك طوال حياته حتى اشتهر بقدرته على كتمان أسراره وعدم البوح بها إلى أي انسان مهما كانت درجة ثقته به، ومهما بلغت درجة القرب منه. ووصل به الأمر إلى درجة التظاهر أمام والده بزعمه أنه وجد في شخصية أمه واخته الأثيرة لديه من الأخطاء ما ينفره بهما، كل ذلك ارضاء لوالده وللتقرب منه. ونجح (فريدريك) في الاختبار أخيراً، فتم ترفيعه سنة ١٧٣٢ إلى رتبة عقيد. وتم تعيينه لقيادة كتيبة المشاة المعروفة باسم (كتيبة فون درغولتز). وفي السنة التالية، تم تزويجه (باليزابيت كريستينا برونزويك). ولم يكن راغباً في الحصول عليهما، غير أنه كان ملزماً بالاضطلاع بالواجبين، واجب القيادة وواجب الزواج، على أفضل وجه ممكن طالما أنه بقي يعيش حياة العزلة التي فرضت عليه في (براندنبرغ). وأمضى (فريدريك) زهاء السنتين في قيادة كتيبته، لا يمارس أي نشاط تقريباً غير ما تفرضه عليه طبيعة عمله القيادي الذي أتقنه بصورة رائعة، مما حمل إليه تقدير والده (وليم فريدريك) وثقته به.

عمل (فريدريك الابن) على الانصراف بكل وجوده للعمل، واغراق نفسه فيه، بعد أن غادر (كوسترين) وتمكن من اظهار قدر من الكفاءة والحزم والقدرة يزيد على ما يمتلكه والده العظيم.

كانت القوات البروسية تخوض الحرب ضد الجيوش الافرنسية، وقد سمح الأب لابنه (فريدريك) بحرية العمل مع قوات الجيش الامبراطوري الذي كان يعمل في (الراين) سنة ١٧٣٤، وهناك، عمل (فريدريك) خلال بضعة أشهر تحت قيادة القائد العظيم (الأمير أوجين). وتأثر به تأثراً كبيراً إلى حد أنه أخذ في محاكاة أساليبه في الحديث وطرائقه في العمل، وطباعه في اتخاذ قراراته الحازمة.

وعاد بعدها (فريدريك) لممارسة واجباته العسكرية متنقلاً بين (روبين وربنسبرغ

وبوتسدام) كما كان يضطلع بين فترة وأخرى بشؤون الدولة التي يكلفه والده بها. وانتهى به الأمر – إلى أن أظهر تعلقاً غريباً بوالده، وارتباطاً بأفكاره وأساليبه على خلاف كل ما كان معهوداً به. واكتسب بذلك ثقة والده المطلقة، وأصبح يطمئن إلى ترك مقاليد بروسيا بين يديه.

استيقظ (وليم فريدريك – الأب) في الساعة الرابعة من صباح يوم (٣١) أيار (مايو) ١٧٤٠ وهو في حالة صحية سيئة جداً. وغادر سريره للمرة الأخيرة. وأيقظ زوجته من نومها ليعلمها أنه سيفارق الحياة في ذلك اليوم. وأمر بخيوله أن تسرج وأن يخرج بها فرسانها، كما أمر باعطاء أفضل جوادين لديه إلى أفضل صديقين لازماه في حياته وهما (ليوبولد آنهالت ديسو) و(هاك) واختار كل واحد من الصديقين الجواد الذي يريده كآخر هدية له من الملك. وما أزفت فترة بعد ظهر ذلك اليوم حتى كان (وليم فريدريك) قد غادر الحياة. وتمت على الفور المناداة بابنه ملكاً على (بروسيا) باسم (الملك فريدريك الثاني). وفي أمسية ذلك اليوم، قام الصديق القديم للأب (ديسو) بزيارة الملك الجديد – معزياً ومهنئاً. فوجده غارقاً في تأملاته والدموع تفيض من عينيه. لقد تفجرت عواطفه بقوة أكبر من قدرته على كبتها، ولم يعد هناك ما يمنعه من أن يكون منسجماً مع نفسه ومع انفعالاته في هذه المناسبة على الأقل. وتقدم المشير العجوز (الفيلدمارشال – ديسو) ليهمس بصوت منخفض بامنياته على أن يكون مخلصاً للابن كما كان مخلصاً لأبيه من قبل. وأجاب الملك الجديد بلهجة حازمة تتوافق مع عمره الذي بلغ في حينها (٢٨) عاماً. فقال: «انني اعرف بأنه ما من سلطة هنا غير سلطة الملك وسيادته» وانسحب (الفيلدمارشال العجوز) ورجع إلى بيته، يجر حصانه الذي أهداه إليه الملك يوم رحيله، ورأسه يضطرب بالأفكار المختلفة، والهواجس المتنوعة.

٢ – بروسيا قبل فريدريك الثاني:

أصبح (فريدريك الثاني ملكاً على بروسيا). ولقد ارتبطت عظمة بروسيا باسمه، غير أن ذلك لا يخفي بداهة ما تم إحرازه من تطور بطيء جاء (فريدريك الثاني) ليقطف ثماره وليعمل على دفعه قدماً بخطوات متسارعة وصلت ذروتها في الحروب التي خاضها (فريدريك) لبناء (الدولة الجرمانية الحديثة). ويعود تاريخ (بروسيا) في

أصوله إلى (براندنبرغ)[1] وغاباتها وبحيرتها المحاطة بسهول رملية تمتد ما بين وسط نهر (البا)[2] وأسفل نهر (الفستولا)[3]. وقد سبق (للسلاف الفانديين)[4] الاقامة في هذه المنطقة وذلك قبل أن يستقر بها الجرمانيون. وقد خضعت هذه المنطقة لحكم الأمراء (الاليكتر) من البافاريين اعتباراً من سنة (١٣٢٠). ثم جاء بعد ذلك أمراء (اللوكسمبرغ) فحكموا هذه المنطقة ليتركوا الحكم من بعدهم إلى (السيغيسموند) وإلى (الامبراطورية الرومانية المقدسة). وكان أبرز من حكم في هذه الفترة (سيغيسموند اللوكسمبرغ)[5] ابن شارل الرابع الذي ولد سنة ١٣١٦ وأصبح ملكاً على هنغاريا ستة ١٣٨٧ وأصبح امبراطوراً للامبراطورية الجرمانية (١٤١١ - ١٤٣٧) وملكاً على بوهيميا (١٤١٩ - ١٤٣٧). ثم جاء بعده سلالة (سيغيسموند الأول - الكبير)[6] الذين حكموا (بوهيميا). وقد اضطر حكام أسرة (سيغيسموند) أن يستدينوا من (فريدريك آل هوهنزوليرن) مبلغاً من المال وصل حتى (١٥٠) ألف قطعة ذهبية. ورهنوا مقابلها إمارة (براندنبرغ) كتأمين على المبلغ الذي تمت استدانته. وقد وجد أمراء (سيغيسموند) انه من المحال عليهم وفاء الدين. فقرر امبراطور هنغاريا أن تنتقل إمارة (براندنبرغ) وأراضيها وممتلكاتها وسيادتها وكل ما فيها إلى آل (هوهنزوليرن)[7]

---

(١) براندنبرغ : (BRANDEBOURG) أو باللاتينية (BRANDEBOURG) اقليم ألماني في شرق ألمانيا وعاصمته (بوتسدام) وكان (شارلمان) هو من جعل هذا الاقليم امارة. انتقلت في القرن الثاني عشر إلى حكم سلالة (الاسكابيين) (ASCABIENNE). ثم إلى حكم سلالة (هوهنزوليرن : (HOHENZOLLERN) التي أصبحت نواة بروسيا.

(٢) البا : (ELBE) وفي اللغة التشيكية (LABE) وهو نهر تشيكي الماني ينبع من بوهيميا، ويصب في بحر الشمال. ويبلغ طوله ألف ومائة كيلومتر.

(٣) الفستولا : (VISTULA) وفي الالمانية (WEICHSEL) وفي البولونية (WISLA) نهر بولوني طوله (١٠٧٠) كيلومتراً ويصب في بحر البلطيق مشكلاً دلتا عند مصبه.

(٤) سلافوني - ويند : (SLAVONIC-WENDS) شعب سلافي أقام في شرق المانيا.

(٥) سيغيسموند اللوكسمبرغ : (SIGISMOND DE LUXEMBOURG).

(٦) سيغيسموند الأول (الكبير) (SIGISMOND 1 (LEVIEUX)).

(٧) هوهنزوليرن : (HOHENZOLLERN) إمارة ألمانية قديمة تقع على الدانوب. وهي مهد اسرة حكمت بهذا الاسم. ثم لم تلبث في سنة ١٧٠١ أن تحولت إلى اسرة ملكية - امبراطورية - استمرت في حكم المانيا حتى سنة ١٩١٨. وقد سلمت (سيغمارينجن) إلى بروسيا سنة ١٨٤٩.

بصورة نهائية وذلك مقابل دفع (٢٥٠) ألف قطعة ذهبية أخرى. وقد رغب (سيغيسموند) في إجراء هذه الصفقة وذلك حتى يتخلص من (براندنبرغ) التي كانت تشكل اقليماً فقيراً ومقفراً أشبه ما يكون بالصحراء يمتد حتى (برلين) العاصمة الجديدة. وكانت التربة الرملية للاقليم لا تنتج من المواد الزراعية أكثر من محصول هزيل من (الجاودار الشبيه بالذرة) و (الشوفان) الذي يتم انتاجه وزراعته في مناطق ضيقة، أما معظم المناطق فكانت تغطيها الغابات والمستنقعات. وكان الشعب (البروسي) ينتشر إلى مسافة أكثر بعداً في اتجاه الشرق حيث الاقليم الممتد ما بين (الفستولا) و (ميمل)[٨] على سواحل البلطيق. وقد عرف هذا الشعب الوثني بأنه شعب محارب، ينتسب من الناحية العرقية (الاثنولوجية) إلى (الليتوانيين)[٩] و (اللاتيفان) وبذلك فإنه يتميز تماماً عن شعبي (التيوتون)[١٠] و (السلاف)[١١] وقد قاوم الشعب البروسي لفترات طويلة، وبنجاح، انتهاكات الجرمان المسيحيين وغزوات البولونيين لحدودهم. غير أن فرسان التيوتون الصليبيين انتصروا عليهم. وأصبح الاقليم بذلك خاضعاً للمستعمرين الجرمان. وابيد البروسيون من السكان الأصليين للاقليم أو طردوا منه ولم يبق إلا من قبل الخضوع لهؤلاء الجرمان. وبقيت الأرض الممتدة ما بين (بوميرانيا)[١٢] و (ليتوانيا) معروفة حتى سنة ١٤٠٠ م باسم (بروسيا) ثم أصبح

---

(٨) ميمل: (MEMEL) مدينة تعرف بالليتوانية باسم (كلابيدا: KLAIPEDA) وهي حالياً احدى مدن ليتوانيا التابعة للاتحاد السوفياتي. وفيها ميناء على بحر البلطيق. وبقيت مدينة لتانية حتى سنة ١٩١٩، وحكمتها فرنسا من سنة ١٩٢٠ – ١٩٢٣ حيث أعيدت إلى ليتوانيا. وضمتها المانيا إلى حدودها في سنة ١٩٣٩، ثم أصبحت تابعة للاتحاد السوفياتي منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية.

(٩) الليتوانيين (LITHUANIE) أو (LITUANIE) نسبة إلى ليتوانيا الجمهورية التابعة للاتحاد السوفياتي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. وكانت دوقية كبيرة يحكمها أمراء (جاغلون JAGELLON) تابعون لبولونيا (سنة ١٣٨٦) ثم اتحدت مع بولونيا.

(١٠) التيوتون: (TEUTON) شعب ألماني قديم، اجتاح بلاد الغول – فرنسا – مع السيمبر. وفي سنة (١٠٢ ق.م.) مزقهم (ماريوس) وأخضعهم لحكم روما.

(١١) السلاف: (SLAVES) عرق من العروق الهندية الأوروبية، انقسم إلى فروع ثلاثة: فرع غربي يمثله البولونيون والألمان والبوهيميون والمورافيون والسلوفاكيون. وفرع شرقي يمثله سكان روسيا البيضاء وبيلاروسا. والسلاف الجنوبيين ويمثلهم سكان يوغوسلافيا.

(١٢) بوميرانيا: (POMERANIA) اقليم بولوني يحده من الشمال بحر البلطيق. ومن الشرق نهر (الفستولا).

هذا الاسم يطلق على السكان الجرمان المستوطنين في هذا الاقليم.

حكم الفرسان التيوتون الاقليم بموافقة البابا ومباركته، وبموافقة الامبراطور الجرماني أيضاً (وذلك على الرغم من أن بروسيا كانت تقع في الحقيقة خارج حدود الامبراطورية الرومانية المقدسة) واستمر هذا الحكم الاستعماري إلى أن وقعت معركة (تانئبرغ)[١٣] في سنة ١٤١٠ وفيها استطاع (الجاغلون)[١٤] البولونيون إلحاق الهزيمة بالفرسان الذين يحملون علم (التيوتون). وفي سنة ١٤٦٦، ارغم (الجاغلون) على تسليم بروسيا الغربية للبروسيين، في حين بقيت (بروسيا الشرقية) فقط مرتبطة من الناحية الإدارية بملك بولونيا. واختار فرسان التيوتون بعد تمزقهم وسقوطهم الخضوع للسيد الكبير من (آل هوهنزوليرن) غير أن هذا (السيد الكبير) أصبح (بروتستانتياً) اعتباراً من سنة (١٥٢٥) وذلك بتأثير من (لوثر). وتبع ذلك تحول كبير حيث أصبحت إدارة الاقليم مدنية لا علاقة للكنيسة فيها، وحولت أملاكها وممتلكاتها في (بروسيا الشرقية) بكاملها لتصبح ممتلكات خاصة لرئيس الدولة ولذريته من بعده. وفي سنة (١٥٦٩) اتفق كبار عائلة (هوهنزوليرن) في شطري بروسيا الشرقي والغربي (براندنبرغ وبروسيا الشرقية) على ضم أراضي الاقليمين ودمجهما في اقليم واحد تحت إدارة حاكم واحد، وذلك في حال وفاة ورثة أحد الفرعين الحاكمين وعدم وجود وريث شرعي. وعندما توفي (الدوق ألبرت البروسي) في سنة (١٦١٨ م) انضمت بروسيا الشرقية بصورة نهائية إلى حكم (الاليكتر) الذي كان يحكم (براندنبرغ). وعلى الرغم من بقاء بروسيا الشرقية خاضعة للتاج البولوني، فقد زادت حدود (براندنبرغ) إلى أكثر من الضعف، وتزايد عدد سكان الاقليم. ونظراً لكون (بروسيا الشرقية) أغنى بكثير من المنطقة التي كان يحكمها (الهوهنزوليرن) فقد أدى انضمام بروسيا الشرقية إلى زيادة ثراء (بروسيا الموحدة) بدرجة كبيرة، وتعاظم قدراتها.

---

(١٣) تانئبرغ: (TANNENBERG) مدينة في بروسيا الشرقية قديماً. وفي سنة ١٤١٠ انتصر البولونيون والليتوانيون على فرسان التيوتون. وفي سنة ١٩١٤ (آب - أغسطس) انتصر الألمان على الروس.

(١٤) الجاغلون: (JAGELLONS) عائلة ليتوانية. حكمت بولونيا طوال الفترة ما بين سنة (١٣٨٦) وسنة (١٥٧٢) كما حكمت بوهيميا وهنغاريا في الفترة من القرن الرابع عشر وحتى القرن السادس عشر.

جاءت بعد ذلك حرب الثلاثين عاماً (١٦١٨ – ١٦٤٨)[١٥] لتدمير بروسيا تدميراً شبه كامل. واضطر (الالكتر) الضعيف إلى الهرب من (برلين) واللجوء إلى عاصمة بروسيا الشرقية القديمة (كونيغسبرغ)[١٦] حيث توفي فيها سنة (١٦٤٠) ولم تستعد (براندنبرغ) صحتها وعافيتها ككيان بروسي أو كقدرة أوروبية إلا في عهد خلفه (جورج وليم) الذي عرف فيما بعد باسم (الالكتر العظيم) وهو الجد الأكبر للملك (فريدريك الثاني – العظيم).

عندما تسلم (جورج وليم) الملك، كانت خزانته المالية فارغة، وكانت بلاد اقليمه مهدمة مخربة. فقد احتملت (براندنبرغ) القسم الأكبر من أعباء الحرب. وكان عدد سكان (برلين) ممن نجوا من الحرب لا يزيدون على ثلاثمائة مواطن، وكان مجموع مواطني بروسيا لا يزيدون على المليون. فبدأ (الالكتر العظيم) بالعمل قبل كل شيء على فرض النظام والأمن والامساك بالأمور بقبضة حديدية، مستفيداً في ذلك من سلطاته الدينية (الثيوقراطية) الصارمة، وحقه في السيادة المطلقة على رعيته وصلاحيته عليهم بحق الحياة والموت. ولم يكن يظهر تساهلاً إلا في القضايا الدينية فقط، مبتعداً عن كل ما من شأنه اعطاء الحريات البلدية للمدن والأقاليم. وأدى به ذلك إلى تكوين دولة بروسيا – الهوهنزوليرنية – مع كل ما تضمه هذه الدولة من تناقضات وظواهر شاذة متنافرة. وقد اندمجت في حكمه هيبة الدولة بفضائل الحقوق الصناعية وبتنمية الاحساس بالشرف والقيام بالواجب مع البربرية والقسوة لدى الحكام وموظفي

---

(١٥) حرب الثلاثين عاماً: (THIRTY YEARS WAR) هي الحرب التي شملت مجموعة كبيرة من الاشتباكات والمعارك والتي اشتركت فيها الجيوش الدانمركية والسويدية والافرنسية والاسبانية بسبب تمرد البروتستانت الألمان على النمساويين (في بوهيميا). وتزعم ملك السويد (غوستاف ادولف – ١٥٩٤ – ١٦٣٢) الذي تحالف مع رئيس وزراء فرنسا لدعم البروتستانتيين الألمان. وخاضت فرنسا الكاثوليكية الحرب ضد (آل هبسبورغ) الكاثوليكيين ملوك اسبانيا والنمسا. وزاد من ضرام الحرب تلك العداوة التقليدية بين الهولانديين والاسبانيين. وتميزت هذه الحرب بوحشية أعمالها القتالية الرهيبة. وبتدميرها للحياة. وانتهت بمعاهدة (ويستفاليا) التي نجح فيها (ريشيليو) بتأكيد هيمنة فرنسا على أوروبا وبعدم السماح لالمانيا بالاتحاد. ولكن مع السماح للأمراء البروسيين باعتناق المذهب البروتستانتي. وبممارسة سياستهم الخارجية بدون أي تدخل من الامبراطور النمساوي.

(١٦) كونيغسبرغ: (KOENIGSBERG) أو كالينينغراد: (KALININGRAD) مدينة من مدن الاتحاد السوفياتي ولها خليج ضخم. وقد بقيت احدى مدن بروسيا الشرقية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية.

الدولة مما جعل الأقاليم الألمانية في حالة ذعر وكراهية تجاه الامارة البروسية. وعلى كل حال، فقد كان (الالكتر العظيم) مجهولاً في سنة (١٦٤٠ م) ولم يكن هناك من يظهر أي اهتمام لما يحدث في (بروسيا). وكان حاكمها (الالكتر) خاضعاً لملوك بولونيا والسويد وانكلترا. فابتعد عن السويد، وأخذ في بذل جهود جبارة لتطوير امارته بتصميم وحزم وبإدارة جيدة. وعندما تم توقيع صلح (ويستفاليا) في نهاية حرب الثلاثين عاماً، استطاع أن يضم إليه الأقاليم الغنية من ألمانيا وهي (مغدبورغ[١٧] وهالبرستادت[١٨] وميندن[١٩]) وأخذ في تشجيع الهجرة من غرب ألمانيا وهولاندا. واستخدم مهارات الهولانديين لردم المستنقعات، وتحويلها إلى مناطق زراعية. واستخدم السويديين عندما ساعدهم ضد البولونيين، ثم استخدم هؤلاء ضد السويديين وأعانهم، وحصل من بولونيا بذلك على اعتراف رسمي بممارسة حقوقه الشرعية في حكم (بروسيا). كما ضم إليه (كليف[٢٠] ومارك ورافينسبرغ) وألحقها باقليم (براندنبرغ). ومضى (جورج وليم - أو الالكتر العظيم) في سياسته الداخلية والخارجية حتى أصبح في نهاية حكمه معروفاً بأنه من أبرز جنود أوروبا (قادتها). وأمكن له تطوير جيشه حتى بلغ تعداد أفراده (٢٧) ألف مقاتل مدربين بصورة جيدة ومسلحين بأفضل أسلحة عصرهم بحيث انه لما تعرضت بلاده لغزو السويديين في سنة ١٦٧٥. ووصل جنودهم حتى (نهريلين) على مقربة من (برلين)، تولى قيادة جيشه مخالفاً بذلك نصائح قادته ودمر القوات السويدية التي كانت متفوقة كثيراً في قوتها العددية. وعندما توفي (الألكتر العظيم) في سنة (١٦٨٨م) كان قد رفع (براندنبرغ وبروسيا) إلى مصاف القدرة العسكرية الأولى في أوروبا الشمالية، وترك لابنه إمارة قوية ذات نظام مستقر له كل مميزات النظام الملكي وخصائصه ولو أن امارته لم تحمل إسم (المملكة). وجاء من بعده ابنه فريدريك (١٦٨٨ - ١٧١٣) ليحكم بلاده بطريقة مغايرة لتلك التي انتهجها أبوه من قبل، فكان خاضعاً لهاجس متابعة الثقافة، ومولعاً بظواهر الفخامة والعظمة، وميالاً إلى إقامة الاحتفالات

---

(١٧) مغدبورغ : (MAGDEBOURG) مدينة ألمانية تقع على نهر (البا) وهي عاصمة الساكس.

(١٨) هالبرستادت : (HALBERSTADT) مدينة ألمانية في مقاطعة (ساكس آنهالت SAXE-AN HALT) وتقع على نهر (هولتيم : HOLTEMME).

(١٩) ميندن : (MINDEN) مدينة ألمانية، في ويستفاليا على نهر الويسر : (WESER).

(٢٠) كليف (CLEVES) وفي الألمانية : (KLEVE) مدينة ألمانية في ويستفاليا - في الراين الشمالي - تقع على قناة متفرعة عن الراين. وهي دوقية قديمة.

والمهرجانات. وحدث في تلك الفترة أن أصبح (وليم أمير أورانج) ملكاً على انكلترا[٢١] وطلب إلى (فريدريك) بأن يصبح امبراطوراً على (آل هبسبورغ) ومقابل ذلك طلب (فريدريك) أن يصبح بدوره ملكاً لا على (براندنبرغ) فحسب، وإنما على كل الإمارات الألمانية التابعة للامبراطورية، بالإضافة إلى بروسيا الشرقية (التي تستخدم اللغة البروسية فقط) والتي كانت تقع خارج حدود الامبراطورية. ونظراً لما أظهره (فريدريك) من حرص على الاحتفاظ بأفضل العلاقات مع (فيينا)، ونظراً أيضاً لاقتناع الامبراطور النمساوي بأنه من المحال أن تشكل (براندنبرغ) و(بروسيا) عند اتحادهما منافساً للنمسا أوتكوين خطر ضدها فقد وافق الامبراطور النمساوي على مشروع (فريدريك) بتحويل إمارته إلى مملكة. وتم تتويج (فريدريك) ملكاً على بروسيا في سنة (١٧٠١)، حيث أجرى احتفال التتويج في كونيغسبرغ – وعمل (فريدريك) على تمييز هذه المناسبة بأن وضع شعار دولته (النسر الأسود) كشعار للدولة الموحدة. واعتباراً من ذلك التاريخ، وبصورة تدريجية، أخذ إسم (بروسيا) في الهيمنة على إسم (براندنبرغ) والإمارات الألمانية الأخرى (الجرمانية) المتناثرة على الحدود والتي أصبح الملك يحكمها من مقره (في العاصمة برلين). وإذا ما تم وضع الهواجس الحمقاء التي كانت تنتاب الملك الجديد، بسبب شغفه بالظواهر الفارغة، فقد عرف أيضاً بالحكمة والتعقل في معالجة الأمور الأخرى. فكان يجمع في شخصه النقيضين حدة المزاج والاتزان في تقويم الأمور، ولهذا فليس من الغريب عليه أن يعمل على تطوير قواته المقاتلة. ولقد مارس هو ذاته الخدمة العسكرية في مطلع شبابه، غير أنه لم يكن من رجال الحرب أو قادتها. ولقد اعتبر أن الجيش البروسي هو ضرورة أساسية للدولة، لا من أجل الدفاع عن حدودها وسيادتها فحسب، بل من أجل المحافظة على هيبته ومكانته. ولهذا عمل على زيادة حجم الجيش الذي تركه له أبوه (والذي كان يضم ٢٧ ألف جندي) فأصبح جيشه يضم (٥٠) ألف جندي. وقد عملت بعض وحدات هذا الجيش على خوض معارك القتال تحت قيادة الأمير النمساوي (أوجين). كما تلقى عدد كبير من قادة فريدريك العظيم تعميدهم بالنيران أثناء معركة (بلينهايم – سنة ١٧٠٤) أثناء حرب الوراثة الاسبانية والتي اشتركوا بعد ذلك في معظم معاركها (هوشستادت وكاسينو وتوربن ومالبلاكيه).

---

(٢١) وليم أوف أورانج: (GUILLAUME OF ORANGE) أو (GUILLAUME DE NASS AU PRINCE D'ORANGE). (١٦٥٠ – ١٧٠٢) خلع ملك انكلترا. وتولى الملك فيها وشكل التحالف المضاد لفرنسا والذي انتهى بحرب الوراثة الاسبانية.

انتقل تاج المملكة البروسية في سنة (١٧١٣) إلى (فريدريك وليم) فكان ثاني ملك لبروسيا. وكانت تطلعاته وطباعه مغايرة بدورها أيضاً لتطلعات أبيه وطبائعه. وكان قد خدم تحت قيادة (مارلبورو) وأصبح مولعاً بالأمور العسكرية. ولم يكن اهتمامه وشغفه بإدارة الحرب مماثلاً لميله إلى تنظيم الوحدات وتدريب جنودها، ولهذا كان اهتمامه الرئيسي مركزاً طوال حياته على تمارين القتال والعناية بهندام جنوده ولباسهم ومظهرهم الخارجي. لم يكن تفكيره منظماً، وكان ينقصه يقيناً الاحساس بالتناسب أو بالأحرى القدرة على تحقيق التوازن بين أهمية الأشياء وما يتطلبه كل واحد منها من العناية والاهتمام. وقد ورث عن والده حب ظواهر العظمة العسكرية، وما يلازمها من مهرجانات واحتفالات. وقد بدد قسماً من ثروته في تطويع الجنود من الخارج لتكوين (كتيبة العمالقة). فكان يهتم بتطويع أي شاب من أي بلد وبأي ثمن إذا ما كان طول هذا الشاب يزيد على خمس وحتى ست أقدام. وبذلك ارتفع عدد جنود جيشه إلى (٦٠) ألفاً. وكان تدريب هؤلاء الجنود وانضباطهم رائعاً بحيث أصبح حرس البلاط الانكليزي (في سانت جيمس) وحرس البلاط الافرنسي (في فرساي) يشعرون بالخجل والاستحياء أمامهم.

كان (فريدريك وليم) يتميز– إلى جانب ذلك بمجموعة من الخصائص والصفات الرائعة، لعل من أبرزها عبقريته الإدارية، واهتمامه الكبير بتطوير الصناعة، واقتصاده في الانفاق. ومما يحكى عنه انه عمل يوم توليه الملك، وبعد الانتهاء من مراسم دفن والده مباشرة، على تخفيض مخصصات كل قصر من القصور الملكية، واختصار لائحة المتطلبات الحياتية بمعدل الربع، وانقاص الألف جواد الركوب في كل اسطبل إلى الثلاثين. وبهذه الوسائل تمكن من تخفيض النفقات الإدارية بمعدل الخمس بالمقارنة مع ما كانت عليه في عهد والده. وكان يعتبر نفسه أول جندي في المملكة، وأول خادم لمملكتها وسيادتها، وانه يعمل ويعيش تحت رقابة سيد خيالي، وهمي، هو (بروسيا). فكان يبدأ عمله اليومي في مكتبه منذ شروق الشمس، ويطالب وزراءه أن يفعلوا مثله. وفي منتصف النهار يتناول طعام الغداء مع وزرائه وحاشيته، وهو غداء بسيط مكوّن من الحساء أو لحم البقر المسلوق. وكان على كل من يتناول طعام الغداء أن يدفع ثمن وجبة طعامه. وفي الوقت ذاته، عمل على إلزام نفسه وأهل بيته بالعيش في حالة من الفقر المزرية، وكان يتابع في كل يوم مراقبة أدق التفاصيل المتعلقة بالنفقات، ويراجع بنفسه أعمال الحكومة بصورة تفصيلية، ويواظب على جمع الثروة، وتنظيم أفضل جيش في عصره.

كان (فريدريك وليم) بطبيعته قوياً كالأسد، وسرعان ما يهتاج بعنف يصل إلى درجة غير معقولة عندما تتطلب الضرورة اظهار قوته وسلامة صحته. ولم يكن الصولجان في يده إلا هراوة يستخدمها لضرب أولاده ووزرائه، ومطاردة قضاته وحكام أقاليمه وقذفهم إلى أسفل السلم (الدرج). وهو يفخر بنفسه أشد الفخر على انه خلق جرمانياً حتى العظم، والى جانب ذلك، فقد كان يقضي لياليه في (برلمان التبغ) يتناول الشرب ويتعاطى التدخين مع الخلّص من أصدقائه. والذين كان منهم مستشار بوميرانيا (غرومبكوف) والقائد الأعلى لقواته (ليوبولد – آنهالت ديسو) أو (العجوز ديساور). وكان يشمئز من الافرنسيين ويكره الانكليز ويزدري التعليم العالي.

لقد منح (فريدريك وليم) لقائده الأعلى السلطة المطلقة، وكلفه بتنظيم إدارة الجيش بمهارة وحذر، وبذلك استطاع الشعب البروسي الذي لم يكن عدده يزيد على المليونين ونصف أن يشكل جيشاً في أيام السلم يزيد عدد أفراده على (٨٣) ألفاً –. وكان هذا الجيش هو الذي تركه (فريدريك وليم) إلى ابنه (فريدريك الثاني).

٣ – الجيش البروسي :

(أ) المشاة :

كان (فريدريك الثاني – الكبير) معجباً بجده (الالكتر العظيم) بقدر ما كان معجباً بوالده (فريدريك وليم) الذي تحدث عنه أمام مجلس (بروسيا) يوم توليه المُلك فقال : «لقد أراد فريدريك وليم أن يجعل من بروسيا قوة يحسب جوارها لها حساباً. وقد تعلم الالكتر العظيم من تجربة سلفه مدى الخطر الذي يحدق به عندما يكون محروماً من الدفاع». وتعلم فريدريك الثاني من تجربة والده فريدريك الأول الفارق المميز بين أن تتم إعادة الوحدات المقاتلة إلى الحلفاء لتعمل تحت قيادتهم وبين أن تعمل هذه الوحدات تحت قيادته المباشرة. واستخلص (فريدريك الثاني – الكبير) الدروس المستفادة من معاناة والده عبر التجارب التي خاضها مع السويد ومع روسيا عندما استخدمت قوات البلدين الأراضي البروسية لإجراء الصراع فوقها كما تريدان، وما نجم عن ذلك من دمار مرعب للاقليم. الأمر الذي دفعه إلى التمسك بحدود بروسيا بصلابة وحزم، ليس ذلك فحسب، بل انه عمل على توسيع حدوده، فطالب

بضم (بيرغ)[٢٢] إلى بروسيا وذلك عندما كان حاكمها (الاليكتر بالاتين)[٢٣] وهو آخر ممثل لأسرة (نوبورغ) على فراش الموت. وعندما تم لفريدريك العظيم ذلك قال: «ان عظمة بروسيا تعتمد على قدرة الجيش البروسي بأكثر من اعتمادها على استناد حدودها إلى المحيط الأطلسي».

لقد اكتسب الجيش البروسي تجاربه، منذ بداية القرن، عبر المعارك الخارجية التي خاضها بصورة رئيسية لا من أجل قضايا بروسيا وإنما لمصلحة الدول الأخرى. وهكذا فقد اشترك في حرب الشمال الكبرى (١٧٠٠ - ١٧٢١ م). كما أرسلت قوة من (١٠) آلاف مقاتل في سنة (١٧٣٣) تحت قيادة الفريق (فون رودر) كجزء من قوة الامبراطور النمساوي للحرب ضد فرنسا. غير أن هذه المعارك لم تكن بأكثر من حملات صغرى بالمقارنة مع الحروب العظمى التي سيتولى (فريدريك العظيم) قيادتها بنفسه. وعلى كل حال فقد كانت الدروس المستخلصة من هذه التجارب القتالية قليلة الأهمية، وخاطئة في كثير من الأحيان. ولم تكن التطورات العظمى في التسلح البروسي خلال الفترة ما بين العام ١٧١٣ والعام ١٧٤٠ ناجمة عن الخبرة المستخلصة من التجارب الميدانية، بقدر ما يعود الفضل فيها إلى حزم (فريدريك وليم) واهتمامه حتى بأدق التفاصيل، واضطلاعه بأعظم الأعباء. من أجل تدريب جنوده في سلاح المشاة بصورة خاصة. ولقد قدم لهذا الجيش كل ما يحتاجه. ولم يبخل عليه بشيء. حتى أنه خصص لموازنة الجيش مبلغ (٤.٩٠٠.٠٠٠) تالر من أصل الموازنة العامة التي بلغت (٧.٣٧٢,٠٠٠) تالر. كما خصص مبلغ (٥.٩٧٧.٠٠٠) تالر لأغراض الدفاع مباشرة، واحتفظ بها جاهزة باستمرار في خزانة الدولة[٢٤]. وحرص (فريدريك وليم) طوال فترة ملكه التي امتدت (٢٧) عاماً. على إدارة موارده المالية بكفاءة حتى تم له تكوين احتياط مالي يزيد على ثمانية ملايين (تالر).

---

(٢٢) بيرغ: (BERG) دوقية قديمة في (بروسيا - دينان) عاصمتها دوسلدورف وتقع على الضفة اليمنى لنهر الراين.

(٢٣) بالاتين: (PALATINE) امارة تعود تسميتها إلى اللقب الذي حملته الأميرة شارلوت اليزابيت البافارية وآن غونزاغ (ANNE DE GONZAGUE) اخت ملكة بولونيا (١٦١٦ - ١٦٨٤).

(٢٤) التالر: (TALER-OR-THALER) نقد جرماني فضي توالى اصداره من القرن الخامس عشر وحتى القرن التاسع عشر.

مارس (فريدريك وليم) دوره في مجال الإدارة العسكرية حتى غطت فعالياته ميداناً واسعاً جداً في هذا المجال. ففي سنة (١٧١٣) أدخل في تنظيم الجيش البروسي وحدة خيول النقل للتخفيف من حمولة جند المشاة أثناء المسير والتحرك. وأصبح من واجبات هذه الوحدة نقل خيام الجنود ومتطلبات اقامتهم بعد أن كان جنود المشاة يحملونها على أكتافهم. وفي السنة التالية أوجد (الهيئة الطبية الجراحية) التي كان من واجباتها تدريب جراحي الجيش، ونظراً لما يتطلبه هذا العمل من خبرة عملية وممارسة فعلية، فقد تم تأسيس (مستشفى شانت – في برلين) لاعداد جراحي الجيش وتدريبهم. وفي سنة (١٧١٥) توّج الملك الاحتفالات السنوية الملكية بتفتيش وحداته واختبارها. وأقام في السنوات القليلة التالية في (برلين) المدرسة الحربية لاعداد مرشحي الضباط، كما أقام مصانع الأسلحة في (سباندو) و (بوتسدام) بالإضافة إلى إقامة مدرسة الجنود للأيتام وأبناء الشهداء في (بوتسدام). ثم نظم في سنة ١٧١٨ (هيئة التجنيد الاقليمية). ولقد تميز الجيش البروسي خلال هذه الفترة عن كل الجيوش الأوروبية الكبيرة بلباسه الموحد وبانضباطه الصارم. ويعود الفضل الأول في ذلك إلى (نظام الجيش) الذي أصدره (فريدريك وليم) وضمنه كل التفاصيل الضرورية التي تحدد أسس النظام والأوامر الدائمة لقواعد الخدمة، وثياب الجنود وأشكالها وألوانها ورايات الوحدات الخ... ولقد وصل اهتمام (فريدريك وليم) بثياب جنوده إلى حد الهاجس (أو الوسواس) فكانت بعض تفاصيل الأنظمة مثيرة للسخرية والتهكم. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنه لا بد من القول بأن كل قطعة من تجهيزات الجندي كانت تتعرض لبحث دقيق وتجارب كثيرة قبل أن يتم اعتمادها واستخدامها في الجيش. ولم يكن ذلك بهدف التأكد من اتقان مظهر هذه التجهيزات أو فائدة استخدامها من الناحية العملية، وإنما أيضاً من أجل الاقتصاد في صناعة التجهيزات وقدرتها على الاحتمال والمقاومة لمدة طويلة في ظروف الخدمة الميدانية. وكان لكل قطعة من التجهيزات عمرها المحدد للخدمة بحيث لا يمكن إتلافها أو تبديلها قبل مضي المدة المحددة لخدمتها.

لقد تحدث (فريدريك الثاني – الكبير) عن والده (الملك فريدريك وليم) فقال: «كان الملك يختلط بضباطه بحرية مطلقة، ويعامل ضباطه في الميدان كرفاق له، كما يعامل مرؤوسيه من الجنود بأبوة حقيقية. ولقد احتجز نفسه مرة في السجن بمجرد انه اكتشف بأنه ظهر بمظهر غير مناسب وهو يرتدي معطفه بصورة صحيحة، وبما يتوافق مع الأنظمة بدقة».

كان ضباط الجيش البروسي يتميزون بدورهم أيضاً عن أقرانهم في كافة الجيوش الأخرى. فقد كانت الخدمة في الجيش قائمة على أساس حافز الواجب النبيل الذي ينتسب بروابطه مع العرش الذي يكرس وجوده لهدف نبيل هو بناء (عظمة بروسيا). غير أن ذلك لم يمنع من قبول النبلاء للخدمة في الجيش من الدول الألمانية الأخرى ومن بقية الدول أيضاً. وقد وصل بعض هؤلاء الأجانب إلى أعلى الرتب العسكرية. ومقابل ذلك، فإن الجيش البروسي لم يفسح المجال في صفوف ضباطه للبروسيين من أبناء الطبقة المتوسطة أو حتى من أغنياء التجار وأثريائهم. لأن رتبة الضابط مرتبطة بالأصل النبيل، فكان عدد الجنود الذين تم ترفيعهم إلى رتب الضباط قليل جداً. وأصبح جهاز الضباط البروسي عبارة عن (منظومة من الفرسان) أو (ناد عسكري) بحيث أنه لم يضم إليه حتى سنة (١٨٠٧) أي ضابط من (فاهنريش) يحمل أكثر من رتبة عقيد، وكان هؤلاء يتميزون برتبهم وشاراتهم. وأخذ الضابط في عهد (فريدريك وليم) باحتلال مكانة خاصة في الدولة البروسية، والتمتع بهيبة خاصة، بصرف النظر عن الرتبة التي يحملها الضابط وبصرف النظر أيضاً عن موارده المالية وممتلكاته.

اتخذ (فريدريك وليم) في سنة (١٧٢٩) مجموعة من المقررات والتدابير لتكوين احتياط من جند المشاة. وذلك عن طريق تكوين عدد من كتائب المشاة في المناطق، وتضم كل كتيبة سبع سرايا، يتم استدعاؤها للخدمة مدة (١٤) يوماً في كل سنة، يتقاضى هؤلاء خلالها الرواتب المخصصة لجنود الجيش. وكان الجهاز الثابت – النظامي – في هذه الكتائب يضم الضباط وصف الضباط وقارعي الطبول، وعادة ما يتم انتقاء هؤلاء من الوحدات العاملة المقاتلة. وكانت هذه (الميليشيا) المدربة جزئياً على أعمال الحرب هي الاحتياط لدعم القوات النظامية في زمن الحرب. وفي سنة (١٧٣٣ م) قسمت بروسيا كلها – باستثناء قسم من ويستفاليا – إلى مناطق تجنيد للحرب بهدف دعم معسكرات تجنيد الكتائب. ووضعت لائحة تنظيمية لتخصيص (٥) آلاف منزل (عائلة) من أجل تجنيد كتيبة واحدة من المشاة. أما كتيبة الفرسان (الخيالة) فكانت اللائحة المنظمة لها تضم (١٨٠٠) عائلة (أو منزل)، وعمل الملك أيضاً على إرسال اعداد من كتائب المشاة النظامية في إجازات لمدة عشرة أشهر في السنة، وعدم رفع رواتبهم خلال فترة الاجازات هذه بهدف التوفير والاقتصاد في النفقات. وبذلك أمكن له حل المشكلات الناجمة عن سوء العلاقات بين العسكريين والمدنيين، إذ أصبح جيشه هو جيش المواطنين، كما أمكن له أيضاً التخفيف من أعباء الاستعداد للحرب والانقاص من ثقل حجمها الذي يقع على عاتق المدنيين والعسكريين على حد سواء.

وضع (فريدريك وليم) وقائده الأعلى (العجوز دسوار) مجموعة من الأنظمة والقواعد التي طورت أساليب عمل المشاة وطرائقهم التعبوية (التكتيكية) وتنظيماتهم القتالية. وفي سنة (١٧٣٠) اخترع (العجوز دسوار) قضيب التنظيف المعدني لتنظيف البنادق، مما ساعد الجنود على زيادة معدل إطلاق النيران، وكانت القضبان الخشبية المستخدمة من قبل تتطلب مهارة كبيرة خشية انكسارها في سبطانات البنادق. وكانت المشاة تسير بالارتال، وتطلق نيرانها بالانساق (على صفوف) وقد انقص عدد هذه الأنساق إلى ثلاثة وقد دربت الانساق على الرمي من بنادقها وقد ركبت عليها الحراب بصورة ثابتة. وفي هذه السنة ذاتها أيضاً، تم تدريب الجيش البروسي على السير بالخطوة الموزونة لدخول المعركة. وحدد العدد النظامي لهذه الخطوات بالدقيقة.

كان (فريدريك وليم) يتابع التطورات العسكرية في الجيوش الأوروبية الأخرى، وكان يفسح المجال في الجيش البروسي لادخال أي أسلحة جديدة، ولو أنه لم يكن مقتنعاً في بعض الأحيان من فائدتها أو من أهمية استخدامها. فتبنى استخدام البنادق الجديدة (التي تميزت بأنها أقصر من البواريد المستخدمة وأكثر خفة منها) ونقلها عن الافرنسيين. وكان يعتزم تسليح (٢٨) كتيبة من كتائبه بهذه البنادق. غير أن التجربة لم تقنعه بفائدتها الكبيرة فاكتفى بتسليح بعض العناصر بها، مثل عناصر قاذفي القنابل. وكانت آخر عملية لإعادة التنظيم هي تلك التي أشرفت عليها القيادة الملكية سنة (١٧٣٥م) حيث تم تشكيل سرية من قاذفي القنابل في كل فوج من أفواج المشاة. وكانت كل سرية من سرايا المشاة تضم قبل ذلك عدداً من قاذفي القنابل، وكان بالمستطاع جمع هؤلاء في قوة واحدة لتكوين فصيلتين من قاذفي القنابل تسيران في مقدمة ارتال الفوج. وقد عمل (فريدريك الثاني - الكبير) فيما بعد على دمج سرايا قاذفي القنابل بأفواج مستقلة.

عندما توفي (فريدريك وليم) ترك لابنه (فريدريك الكبير) قوة من المشاة لواء حرس المشاة (كتيبة ليب السادسة - قاذفي قنابل) والذي يضم (٣) أفواج مشاة. وثلاثين لواء من المشاة يضم كل واحد منها فوجين (ما عدا اللواء الثالث الذي كان يضم ثلاثة أفواج) وفوجين مستقلين هما فوج (ليليان) وفوج (ريدر) تم ضمها بعد ذلك باللواء الثاني والثلاثين. فكان مجموع الأفواج بالتالي هو (٦٦) فوجاً، يتكون كل فوج منها من خمس سرايا مسلحين بالبواريد وسرية من قاذفي القنابل. وكانت قوة السرية تبلغ (١٢٠) مقاتلاً.

لقد كان الجيش الذي أورثه (فريدريك وليم) لابنه (فريدريك الكبير) في سنة (١٧٤٠) يختلف كثيراً في قيمة أسلحته. وكان سلاح المشاة الذي يشكل الكتلة الرئيسية من القوات سلاحاً رائعاً في خصائصه وفضائله بحيث أنه لم يكن هناك ما يعادله في أي جيش من جيوش العالم. غير أن (فريدريك الثاني الكبير) كان يحمل رأياً آخر عن هذا الجيش الذي تسلمه، وقد عبّر عن رأيه بقوله: «لقد حملت الخيول على أعناقها الأوسمة والأشرطة التقديرية، على الرغم من أن المشاة قد وصلت إلى ذروة تقدمها فكان حرياً بها أن تحمل تلك الأوسمة والأشرطة وقد يعود السبب إلى عدم استخدام المشاة مما اظهر قوة الفرسان كسلاح متقدم جدير بالاكرام، كما يعود الخطأ في ذلك إلى أسلوب تقويم الجندي وهو الأسلوب الذي يعتمد على تلميع الأحذية ونظافة السلاح بأكثر مما يعتمد على المهارة في الميدان. ولهذا فقد كانت القيمة في التقويم ممنوحة (لعلبة أدوات النظافة). وان أي زيادة أو مبالغة في أسلوب هذا التقويم ستؤدي إلى إدخال علب المساحيق وأقلام أحمر الشفاه إلى القطعات».

(ب) الفرسان – الخيالة –:

أصبحت الخيالة الثقيلة المدرعة هي الفالانج (الكتيبة) الرئيسية في الجيوش الأوروبية وذلك على أساس التجربة السويدية. فكان الفارس المدرع هو الذي يقرر مصير المعركة بفضل قوة الصدمة التي تعتمد على ثقله. وقد أظهر (الألكتر العظيم) جد (فريدريك الكبير) فخره الكبير واعتزازه بهؤلاء الفرسان المدرعين الذين ابرزوا كفاءتهم القتالية العالية في المعارك التي خاضوها، سواء في (وارسو) و (فيهربيلان)[٢٥] وقد استمرت هذه الثقة بقدرة الفرسان الثقيلة حتى أيام (فريدريك وليم) الذي ترك لابنه (فريدريك الثاني – الكبير) ستين كوكبة من هؤلاء الفرسان المدرعين من أصل (١١٤) كوكبة خيالة. وكانت الكتيبة تضم (٥) كوكبات. والكوكبة تضم سريتين، تتكون السرية الواحدة منها من (٦٠) فارساً. فيكون مجموع أفراد الخيالة الثقيلة (٣٦) ألف فارس.

ولكن، وعلى الرغم من احتفاظ الخيالة الثقيلة بمكانتها المميزة كسلاح أسمى في قوة الفرسان، إلا أن هذه المكانة قد أخذت في التحول لمصلحة المشاة كسلاح أساسي من أجل تحقيق النصر في المعركة. وقد بدأ هذا التحول في الواقع منذ زمن غير

---

(٢٥) فيهربيلان: (FEHRBELLIN) قرية من قرى (براندنبرغ) انتصر فيها جيش (براندنبرغ) على السويديين في سنة (١٦٧٥ م).

قصير، وظهر بصورة خاصة في أيام حكم الملك (فريدريك الأول). وقد تمّ التعبير عملياً عن هذا التحول بانفاق المزيد من الأموال والمخصصات لإعادة تنظيم سلاح المشاة وتطوير تسلحهم وتنظيم سلاح المدفعية، كل ذلك على حساب سلاح الفرسان.
وقد أخذ الملك (فريدريك وليم) والد (فريدريك الثاني – الكبير) بهذه السياسة التي شجعه عليها قائده (العجوز ديسوار). وقد تأثر الملك أيضاً لدى رؤية الخيالة الامبراطورية وهي تفشل في هجماتها المتتالية أثناء معركة (مالبلاكيه). فكون فكرة في غير مصلحة الخيالة الثقيلة، ثم جاءت معارك حرب الوراثة الاسبانية المتتالية (في مينان)[٢٦] و (تورني)[٢٧] و (سترالساند)[٢٨] لتحول فكرة الملك (الذي شهد هذه المعارك كلها) إلى قناعة ثابتة بعدم فائدة الخيالة في القتال. وفي الوقت ذاته فإنه لم يكن باستطاعة قائد الفرسان البروسي (ليوبولدفون آنهالت ديسو) أن يصفح عن الفرسان النمساويين الذين كان يقودهم (الجنرال ستيروم) بسبب فشلهم. كما كان القائد العام (العجوز ديسوار) يعتبر (ستيروم) مسؤولاً عن الخسارة الفادحة التي تعرضت لها قوة الفرسان في معركة (هوشستادت – بلينهايم – سنة ١٧٠٤). وبذلك أصبح باستطاعة (مشاة البروسيين) الاضطلاع بدورهم الكامل في تشكيل عماد الجيش، والإفادة من الامتيازات التي يستحقها سلاحهم عن جدارة. لا سيما بعد أن أكّد المشاة قدرتهم لا على الاحتفاظ بالأرض ضد هجمات مشاة الأعداء وفرسانهم وإنما أيضاً القدرة على اختراق المواقع الدفاعية للعدو بفضل ما تمتلكه من قوة الصدمة الجبهية وبفضل أعمال الانقضاض بالبواريد والحراب.
كان سلاح الفرسان البروسي يضم علاوة على قوة الفرسان الثقيلة (في سنة ١٧٤٠) اثنتي عشرة كتيبة من فرسان التنين (الدراغون) ثلاث كتائب منها تضم عشر كوكبات، وثلاث تضم خمس كوكبات فيكون مجموع القوة (٤٥) كوكبة دراغون. وكانت هذه الكتائب التي يعود تاريخ تنظيمها إلى أيام (لكتر العظيم) تضطلع بدور مزدوج: القتال كقوة من المشاة والقتال كقوة من الفرسان. وقد برهن فرسان (الدراغون) على كفاءتهم القتالية العالية أثناء المعارك المتتالية التي خاضوها ضد القوات السويدية والتي أبرزت شهرة عدد من كبار قادة الفرسان. غير أن معارك هذه القوات

(٢٦) مينان: (MENIN) وفي اللغة الفلامنكية: (MEENEN) مدينة بلجيكية في الفلاندر الغربي على نهر ليس الذي يفصلها عن أقاليم الشمال.

(٢٧) تورني: (TOURNAI) وفي اللغة الفلامنكية (DOORNIK) مدينة بلجيكية.

(٢٨) سترالسلند: (STRALSUND) مدينة ألمانية لها خليجها الكبير على بحر البلطيق وقد حاصرها شارل الثاني عشر من سنة ١٧١٣ – حتى سنة ١٧١٥.

لم تكن معارك فرسان وإنما كانت معارك مشاة، فكانت خيول فرسان (الدراغون) مجرد وسيلة للنقل إلى ميدان المعركة.

على كل حال، فقد أهملت قوة فرسان الدراغون في عهد الملك فريدريك الأول ومن بعده الملك (فريدريك وليم). فبقيت في حدود تنظيم السرايا، ونظمت مع بقية الفرسان البروسية. كما حولت كتيبة واحدة من الدراغون (هي كتيبة الشمال الثالثة) وأصبحت كتيبة من (قاذفي القنابل الفرسان).

كانت احدى نقاط الضعف الأساسية في سلاح الفرسان البروسي هي حجم الفرسان وخيولهم. فقد كان من المعروف اعتماد الجيش البروسي على انتقاء جنوده من بين الرجال الأكثر طولاً. وكان من الطبيعي أن يحتاج هؤلاء لخيول عالية من أجل حملهم. وهو ما عبر عنه (فريدريك الثاني - الكبير) بقوله: «ان جنوده بحاجة لفيلة من أجل حملهم». ولكن وعلى الرغم من أن ارتفاع الحصان هو أمر مفيد لحمولة الفارس المدرع، فإنه من الخطأ بدهياً الافتراض بأن الحصان الكبير - أو المرتفع - يستطيع تجاوز مسافة أطول مما يجتازها الحصان الأقصر. أو أن الحصان الكبير أكثر سرعة أو أكثر قدرة على اجتياز الحواجز الطبيعية، أو انه يستطيع حمل ثقل أكبر مما يستطيعه الحصان الأقصر. وتتمايز الخيول على ما هو معروف بأصولها ودمائها لا بمقاييس أحجامها. والحصان الأعلى هو بدون شك أصعب مراساً. كما أن خفة وزن الخيال الفارس لا تعتبر سيئة عند مقارنته بخيال أكثر ثقلاً أو أكثر طولاً. والقضية في أساسها تتعلق بتدريب الفارس وحصانه في وقت واحد. ولكن هذه الحقيقة لم تكن معروفة على نطاق واسع في بروسيا سنة (١٧٤٠م). ولهذا، ووفقاً لما قاله الملك الجديد: «فإن الفرسان الثقيلة البروسية ووحدات الدراغون لم تعد تمتلك السيادة على الفرسان بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى. ويفتقر الفرسان وخيولهم إلى المرونة وخفة الحركة، وهناك عدم تناسب في حجم الفرس والفارس، ولم يعد هناك مجال للتدريب وللقتال بالفرسان وهم على ظهر خيولهم. ويمكن اعتبار الدراغون بصورة خاصة كمشاة محمولة».

(ج) الهوسار[٢٩]:

احتل فرسان (الهوسار) مكانة خاصة ومميزة في حروب أوروبا الوسطى خلال

---

(٢٩) الهوسار: (THE HUSSARS) هم جنود الوحدات العسكرية الأوروبية المنظمة =

القرن الثامن عشر. ويعود أصل هؤلاء الفرسان إلى الخيالة الخفيفة غير النظامية والتي كانت تشكل جزءاً أو قسماً من الحاميات الهنغارية المستخدمة للقتال على الحدود ضد الأتراك العثمانيين. وكان الفارس من هؤلاء مميزاً بقصر القامة يمتطي فرساً خفيفاً ويتسلح بالغدارة (كارابين) أو المسدس والسيف. وكان هذا الفارس يختلف عن الفارس البروسي أو الفارس البولوني في وحدات فرسان الحدود. حيث كان فرسان هذه الوحدات أكثر ثقلاً وأوفر تسليحاً وتجهيزاً حتى كان من النادر جداً قيام هؤلاء بأعمال الانقضاض.

لقد أدخلت تنظيمات فرسان الهوسار إلى الجيوش النظامية في دول أوروبا الغربية والوسطى عن طريق هنغاريا والنمسا، حيث تم ذلك بناء على إلحاح القادة المتفتحين عقلياً والذين نظروا إلى هذا السلاح باعتباره سلاحاً جديداً راكباً على الخيول. ويمكن استخدامه إذا ما تطلب الأمر بالطريقة التقليدية كسلاح فرسان للقيام بأعمال قتال الصدمة، علاوة على تخصص أفراد هذا السلاح بأعمال القتال الخاصة مثل التسلل عميقاً حتى مؤخرات العدو، والقيام بأعمال الدوريّة، وجمع المعلومات وحرمان العدو في الوقت ذاته من أعمال الاستطلاع، هذا بالإضافة إلى واجباتهم كعناصر أمن عند العمل في مقدمة القوات وعلى مؤخراتها، وحراسة القوات مع ممارستهم لأعمال الشرطة في جمع المتشردين — الضائعين — وإلحاقهم بوحداتهم. ويظهر ان استخدام مثل هؤلاء الهوسار هو استخدام واسع ومتعدد الأشكال وذلك وفقاً لدورهم الريادي. وكان قادة القوات الجديدة في معظم الأحيان هم من الضباط غير النظاميين، أو من النظاميين الذين يتميزون بعقلية خاصة أو لهم خلفيات وأفكار مغايرة لسواهم، وكان أكثرهم من الهنغاريين. وقد برهن فرسان الهوسار على أهمية دورهم العظيم خلال الحرب — أو الحروب — (النمساوية — البروسية) حيث أظهروا كفاءتهم العالية في تنفيذ الأعمال القتالية سواء كانت هذه الأعمال من نوع واجبات الفرسان التقليدية، أو كانت من الواجبات الخاصة بفرسان الهوسار. توصل (فريدريك وليم الأول) في سنة (١٧٢١م) إلى نتيجة وهي أن الجيوش الأخرى في دول أوروبا الغربية والوسطى قد أدخلت تنظيم الهوسار، وانه لم يعد باستطاعة (بروسيا) التخلف عن بقية الدول

= على طريقة سلاح الفرسان الهنغاري الخفيف في القرن الخامس عشر. وقد تكون مأخوذة عن الهصور — أو الهصار نقلاً عن الأتراك العثمانيين.

الأوروبية. وكانت البدايات البروسية في هذا المضمار متواضعة جداً، بحيث لم يتجاوز عدد الفرسان الهوسار ثلاثين فارساً، تولى قيادتهم النقيب (الكابتن شميدت) وشكل منهم قسماً من كتيبة الدراغون السادسة التي كان يقودها (فون ويثنو). وكانت هذه القوة هي النواة لما سيصبح معروفاً باسم (قوة الهوسار البروسية) والتي تطورت من سنة (١٧٢٢م) إلى سنة (١٧٣٧) فأصبحت مكونة من (٦) كوكبات وضعت تحت قيادة الرائد (برونيكويسكي - الذي أصبح عقيداً فيما بعد) وبقيت مرتبطة بقيادة كتيبة الدراغون السادسة. وتميزت هذه الكوكبات في سنة (١٧٤٠م) باختلاف تدريبها وأساليبها عن بقية الفرسان. وزاد حجمها في عهد الملك (فريدريك الثاني - الكبير) فأصبحت تشكل ثلاث كتائب (هي كتائب الهوسار الأولى والثالثة والخامسة).

قام (فريدريك وليم) بزيارة لابنته المتزوجة (ويلهلمينا) في سنة (١٧٢٩م). وقد احتفل زوج ويلهلمينا (ماركغراف بايروث)[٣٠] بزيارة عمه فوضع مفرزة شرف لمرافقته من قوة (الهوسار). وقد اعجب (فريدريك وليم) أشد الاعجاب بتدريب (الهوسار) ولباسهم وكفاءتهم في ركوب الخيل. فقرر لدى عودته إلى (برلين) رفع حرسه الخاص إلى قوة كوكبة من (فرسان الهوسار). وتم تشكيل هذه الكوكبة في السنة التالية، ولم يأخذ عناصرها من قوة (الهوسار البروسيين العاملين تحت قيادة برونيكويسكي) بل شكلها من عناصر جديدة تمتطي خيولاً رمادية اللون تم جمعها وانتقاء فرسانها من (هنغاريا) و(بايروث) ومن بين الفرسان البروسيين اللائقين في كل أنحاء بروسيا. وتم اسناد قيادة كوكبة الفرسان الهوسار الجديدة إلى (فون بينيكندورف) يعاونه ضابطان كان أحدهما الملازم (هانز جوشيم فون زيبتن) وهو رجل كان عليه أن يبذل جهداً كبيراً لتكوين الثروة العسكرية البروسية. كان (زيبتن) قد احترف الحياة العسكرية عندما تطوع وهو في الخامسة عشرة من عمره - في كتيبة المشاة الرابعة والعشرين - وترفع من رتبة عريف إلى رتبة صف ضابط مساعد، وعندما بلغ الرابعة والعشرين من عمره كان لا يزال يحمل رتبة مساعد. وتم ترشيحه في مرات عديدة إلى رتبة ضابط (ملازم). غير أن رئيسه العقيد (فون شويرين)

---

(٣٠) بايروث: (BAYREUTH) مدينة ألمانية في بافاريا. تقع على نهر (ماين MAIN).

لم يكن يحبه(*) بسبب صوته الحاد، وبسبب ظهوره باستمرار بصورة مخالفة في تصرفاته وثيابه. وضاق (زيتن) ذرعاً فقدم طلباً بالاستقالة، وقبلت استقالته فوراً. فعاد إلى منزل والده. ومضت ثلاثة أعوام عندما واتاه الحظ، فقبل طلبه بالانضمام إلى كتيبة الدراغون السادسة، التي كان يقودها (فون ويثنو). وتم تعيينه برتبة ملازم. وكانت هذه الكتيبة قد ضاعفت عدد كوكباتها. غير أن (زيتن) لم يلبث طويلاً حتى دخل في صراع مع قائد كوكبته وتورط مرتين في مبارزتين لم يصب فيهما. لكنه تعرض في أثر المبارزة الأولى لعقوبة السجن في القلعة لمدة سنة. وتعرض في أثر المبارزة الثانية للطرد من الخدمة. وتوسط المشير (الفيلدمارشال فون بودنبروك) لدى الملك (فريدريك وليم) الذي تراجع عن موقفه. وقبل بعودة (زيتن) إلى الخدمة. ونظراً لما ظهر من (زيتن) من سلوك غير معتاد، ومن صعوبة في قيادته، فقد تم تعيينه في كوكبة حرسه الخاص – وهي كوكبة الهوسار – حيث أصبح بالمستطاع وضعه تحت المراقبة بصورة مستمرة.

أظهر (زيتن) كفاءة قيادية أثناء الخدمة في حرس (الهوسار) – في برلين – فتم ترفيعه إلى رتبة نقيب (كابتن) في سنة (١٧٣١ م) وألحق بعد ذلك على قوة (الهوسار) النمساوية – الهنغارية المشتركة ومعه نصف كوكبة من (هوسار برلين) ونصف كوكبة أخرى من (الهوسار البروسيين). وكان الهدف من هذا الالحاق هو اكتساب الخبرة في الأعمال القتالية لوحدات الهوسار الجديدة. وفي الوقت ذاته أعيد تنظيم قوات الهوسار في بروسيا فتم تشكيل كتيبتين من الهوسار تضمان كوكبات هوسار برلين الثلاث. ووضعت الكتيبتان تحت قيادة (فون وورم). وظهر الخلاف فوراً بين (زيتن) وبين (وورم)، فتحدى زيتن قائده العقيد (وورم) وطلب مبارزته، وهي المبارزة التي انتهت بإصابة الرجلين بجراح. وكان الملك (فريدريك وليم) ينظر بتقدير كبير إلى (العقيد وورم) فسارت الأمور بصورة سيئة في غير صالح (زيتن). غير أن الملك كان على فراش الموت. ثم لم تمض فترة طويلة حتى دخلت بروسيا الحرب. وقاد (وورم) كتيبته إلى سيليزيا. غير أن (وورم) كان يفتقر للخبرة التى كان يمتلكها (زيتن) كما

(*) فون شويرين : (VON SCHWERIN) هو القائد الذي اعتبر بطلاً في معركة بلينهايم سنة (١٧٠٤ م) وهو الذي أحرز النصر في معركة (مولويتز: MOLLWITZ) ثم رفع إلى رتبة مشير (فيلدمارشال) وقتل في معركة براغ.

كان يقتصر عنه في مجال التدريب لقيادة قوات الهوسار. وهذا ما أثار غضب الملك الجديد (فريدريك الثاني – الكبير) الذي لم يلبث طويلاً حتى عزل (وورم) عن قيادته وعين (زييتن) محله في قيادة كتيبة الهوسار الثانية. وجاءت الفرصة المناسبة لقيادة (زييتن) الذي أظهر كفاءة عالية أثناء الحروب السيليزية، مما اكسبه شهرة واسعة كقائد للفرسان (الخيالة) وتسلق سلم الرتب العسكرية بسرعة حيث تم ترفيعه إلى رتبة مقدم، ثم إلى رتبة (جنرال). وكثير من القادة (الجنرالات) البروسيين في سلاح الفرسان، بدأوا حياتهم العسكرية في الخدمة بكتيبة الهوسار الثانية تحت قيادة (زييتن) الذي احتفظ بقيادة كتيبته من سنة (١٧٤١) حتى سنة (١٧٨٦م) عندما توفي عن عمر يناهز السابعة والثمانين عاماً.

٤ – بروسيا تتحدى النمسا :

كان (شارل السادس)[٣١] من آل (هبسبورغ) امبراطوراً للامبراطورية الرومانية المقدسة، غير ان هذه الامبراطورية كما وصفها (فولتير) لم تكن مقدسة ولا رومانية ولا حتى امبراطورية، ذلك لأنها لم تكن أكثر من ذكرى تقليدية للامبراطور الجرماني القديم (أوتو العظيم)[٣٢].

لقد كانت (الواجهة الامبراطورية – أو الاسم الامبراطوري) هي واجهة خاضعة للانتخاب، وعلى الرغم من أن هذا الانتخاب للتاج بقي محصوراً في (آل هبسبورغ) اعتباراً من سنة (١٤٤٠م) وما بعدها، إلا أن الأمراء الالكتر) كانوا جميعاً وباستمرار في المواقع التي تسمح لهم بابتزاز التنازلات مقابل منح أصواتهم عند انتخاب الامبراطور. وكان على المرشح من (آل هبسبورغ)، أن يقدم عادة هبات

---

(٣١) شارل السادس : (CHARLE VI) ١٦٨٥ – ١٧٤٠. امبراطور الامبراطورية الجرمانية من سنة (١٧١١م) إلى سنة (١٧٤٠م) وهو الابن الثاني (لليوبولد الأول) ووالد (ماري تيريز). خاض مجموعة من الحروب ضد فرنسا وتركيا لم يحالفه الحظ في كثير منها. غير انه استطاع اقناع أوروبا بقبول ابنته (ماري تيريز) لتكون من بعده ملكة على النمسا (امبراطورة).

(٣٢) أوتو العظيم : (OTTON 1er LE GRAND) ملك جرمانيا سنة (٩٣٦م) وامبراطور الغرب سنة (٩٦٢م) مارس الحكم بكفاءة عالية. وحد من سلطات الأمراء. وهزم السلاف. وأوقف غزو المجر (MAGYARE) وهو الشعب الذي قدم من الأورال سنة ٨٩٦م واستقر في (هنغاريا).

مالية ضخمة من أجل ضمان انتخابه. وكانت نفقات التاج الامبراطوري ترتفع باستمرار في حين كانت سلطات الامبراطور تتلاشى وتضمحل، بحيث لم يبق من الامبراطورية إلا هيبتها التقليدية - المعنوية -. ولقد كان التاج الامبراطوري هو تاج للجرمان بصورة أساسية وليس تاجاً للنمساويين. إذا أن النمسا ذاتها لم تكن أكثر من إمارة (ارشيدوقية) في جملة إمارات الامبراطورية الرومانية المقدسة. وبالإضافة إلى ذلك فقد كان الامبراطور من (آل هبسبورغ) ملكاً على بوهيميا وهنغاريا.

لقد عمل (شارل السادس) بصفته امبراطوراً للامبراطورية المقدسة على تكوين حكومة مستقلة تماماً عن (فيينا) و(براغ) و(بريسبورغ) و(بودا). وكان للحكومة الامبراطورية مجلسها المعروف باسم (مجلس الدييت)[٣٣] في (راتيسبون) والذي يضم ممثلي ثلاثة اتحادات من الامارات (الالكترات) والمدن الامبراطورية. غير أن هؤلاء الممثلين لم يكونوا أكثر من عناصر للحوار وتمثيل الدول الألمانية المستقلة.

بالإضافة إلى ذلك، وعلى الرغم من حقيقة التسوية التي تمت في سنة (١٦٤٨م) لإعادة تنظيم الحدود بين الحكام، فإن هذه التسوية لم تتجاوز حدود السيادة الاقليمية، وبقي كل حاكم يمارس سلطته المطلقة وسيادته الكاملة على الاقليم الخاضع له. ولم تكن صلاحية (الدييت) ذاته بأكثر من صلاحية محدودة. ولم يكن لمقرراته سوى تأثير قليل. ذلك لأن (الدييت) كان يفتقر إلى الوسائل التي تسمح له بفرض ما يتم اتخاذه من مقررات. ونتيجة لذلك. لم تكن هناك قوة دفاعية امبراطورية، إذ ان ظهور مثل هذه القوة يتطلب اشتراك الدول ومساهمتها فيها. وكانت الامبراطورية مقسمة إلى عشرة أقاليم (أو دوائر). ولكن عبر إدارة الحدود هذه كانت هناك مجموعة مختلطة تشكل مزيجاً غريباً من الدول الجرمانية الكبيرة والصغيرة ذات السيادة والتي يزيد عددها على ثلاثمائة دولة. وكانت أكثر الدول أهمية في هذه المجموعة - بالإضافة إلى النمسا - هي دول بافاريا وساكسونيا وبروسيا.

كانت (برلين) تحكم (براندنبرغ) و(بروسيا الشرقية) اللتين كانتا تشكلان الكتلة الرئيسية في المملكة البروسية، وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت (برلين) تحكم أيضاً: (كليف ومارك ورافنسبرغ وبوميرانيا الشرقية وهالبرستادت ومنيدن). وبذلك كان من

---

(٣٣) الدييت (DIET) هو الهيئة السياسية التشريعية التي تهتم بمناقشة الخدمات العامة والشؤون الداخلية للبلاد. وقد اشتهرت مجالس (الدييت) في الدول الجرمانية بصورة خاصة.

الطبيعي أن يرتفع طموح منتخبي (الالكتر) في براندنبرغ وملوك بروسيا إلى مستوى توحيد هذه الدول المتعددة والتي كانت تتناثر بصورة مشوهة للأرض الجرمانية. ولم يكن باستطاعة هؤلاء تناسي ما كان عليه وضع الجرمان تحت علم (التيوتون) حيث كانت بروسيا الغربية وحدود البلطيق بين بوميرانيا وبروسيا الشرقية وقسم من بولونيا تشكل كلها اقليماً جرمانياً واحداً. وكان (فريدريك وليم) والد (فريدريك الثاني الكبير) يعتقد بأنه لا خيار أمام بروسيا إلا في توسعها أو زوالها.

لم يخلف امبراطور النمسا (شارل السادس) وريثاً ابناً يرث الملك من بعده، وكان مهتماً بأن تخلفه ابنته (ماريا تيريزا)[٣٤] في حكم ممتلكات النمسا. وقد كتب رسالة إلى (فريدريك وليم) في سنة (١٧٢٨م) يطلب فيها التزام بروسيا بحماية (المرسوم المبرمج)[٣٥] الذي يضمن للأنثى حق وراثة التاج النمساوي. ووافق (فريدريك وليم) على ذلك بشرط أن تضم دوقية (بيرغ) في غرب ألمانيا إلى مملكة بروسيا عند وفاة ملكها. وكانت اسبانيا وروسيا قد وقعتا (المرسوم المبرمج) مسبقاً، كما تعهدت فرنسا وانكلترا بضمان تنفيذه بعد ذلك بسنوات. وعندما شعر (شارل السادس) بتأييد الدول الأوروبية العظمى (لمرسومه المبرمج) نكث بوعده، وتراجع عن التزامه السابق بنقل ملكية (بيرغ) إلى (بروسيا). وأثار ذلك غضب (فريدريك وليم) ودفعه لعقد معاهدة سرية مع (فرنسا) العدوة التقليدية (للنمسا). وعندما ارتفع (فريدريك الثاني – الكبير) إلى سدة الملك بعد ذلك بفترة قصيرة، ورث عن أبيه في جملة ما ورثه التحالف السري مع فرنسا والعداء البروسي ضد النمسا.

---

(٣٤) ماريا تيريزا : (MARIE THERESE D'AUTRICHE) امبراطورة جرمانية. وملكة بوهيميا وهنغاريا. ابنة الامبراطور (شارل السادس) ولدت في فيينا سنة (١٧١٧م) وتوفيت سنة (١٧٨٠م) تزوجت فرانسوا أمير اللورين. وأنجبت منه جوزيف الثاني وماري انطوانيت. اشتهرت بحزمها وشجاعتها. تحالفت مع فرنسا وروسيا ضد بروسيا. وحاولت تدمير قدرة بروسيا العسكرية في حرب السبع سنوات غير أنها فشلت في ذلك. وأسهمت في اقتطاع جزء من بولونيا. اشتهرت بحكمتها وكفاءتها واكتسبت حب الشعب لها.

(٣٥) المرسوم المبرمج : (PRAGMATIC SANCTION DE MARIE THE RESE) هو مرسوم امبراطوري أصدره الملك شارل السادس. من أجل انتقال تاج الامبراطورية إلى ابنته ماري تيريز. وابعاد بنات أخيه جوزيف الأول عن حق الوراثة. وهناك (المراسيم المبرمجة) (PRAGMATIC SANCTIONS) وهي مجموعة الاجراءات التي اتخذها ملوك فرنسا للحدّ من هيمنة البابا على الكنيسة الوطنية الافرنسية. ومنها على سبيل المثال مراسيم الملك لويس التاسع (سانت لويس) سنة ١٢٦٨. ومراسيم شارل السابع سنة ١٤٣٨.

لم تمض بضعة أشهر على ذلك حتى توفي الامبراطور النمساوي (شارل السادس) في شهر تشرين الأول (اكتوبر) ١٧٤٠م، وخلفته ابنته (ماريا تيريز) الصبية المتزوجة والتي لم تتجاوز الثالثة والعشرين من عمرها. وكان عدد أفراد الشعب النمساوي الخاضع لحكم (هابسبورغ) يقارب (٢٥) مليوناً منهم (١٥) مليوناً يعيشون فوق الأرض النمساوية و(١٠) ملايين يعيشون خارج حدودها. وكان ملك بروسيا الشاب (فريدريك الثاني – الكبير) قد أخذ أهبته، واستعد لخوض الحرب ضد (آل هبسبورغ). وهي الحرب التي ستتحول إلى صراع عنيد بين (البروسيين من جهة، وبين (النمساويين) من جهة أخرى لتحقيق السيادة على الشعب الجرماني. ولم يكن عدد أفراد الشعب البروسي، مع كل الدول والامارات والمدن التابعة له يزيد على أربعة ملايين ونصف المليون.

«ان معركة – لوثن – وحدها ، كافية لتخليد إسم فريدريك كأعظم عبقرية عسكرية في أوروبا»

نابليون بونابرت

الفصل الثاني

حروب فريدريك

١ – المغامر البروسي.
٢ – الحرب السيليزية الأولى.
(أ) معركة (مولوتيز)
(ب) معركة (شوتوسيتز).
٣ – الحرب السيليزية الثانية.
(أ) معركة هوهنفريدبورغ.
(ب) معركة سوهر.
(ج) هنرسدورف ومعركتها.
(د) معركة كيسلدورف.
٤ – فريدريك يعيد تنظيم جيشه.
٥ – حرب السبع سنوات.
(أ) عمليات الربيع (١٧٥٧).
(ب) معركة (روزباك).
(ج) معركة (لوثن).
٦ – الأعمال القتالية سنة (١٧٥٨).
٧ – الأعمال القتالية سنة (١٧٥٩).
٨ – الفصل الأخير من الحرب.



١ – المغامر البروسي :

ما ان أصبح (فريدريك الثاني – الكبير) ملكاً حتى تغيرت علاقاته مع عائلته ومع الوزراء القدامى في الدولة فأضحت هذه العلاقات أكثر برودة، وأكثر عزلة وأقرب إلى الوحشية منها بالعلاقات المتحضرة والمتمدنة. فكان أن أقدم (فريدريك) على انتهار امه واخته، وأذل (فون دير شلنبرغ) و(دسوار العجوز) بصورة علنية فاضحة. وبدأ في العيش وراء قناع لا يمكن اختراقه أو الوصول إليه. لقد كان صلباً لا يضطرب، وفي حركة دائمة لا يسكن ولا يستقر، وهو إذ يتحرك فإنما يتحرك بإدراك تام لما يريد وتحت راية المصلحة المشتركة، يدفعه إلى ذلك رغبة بلقاء أي أخ يشاركه شعوره بالأخوة الألمانية سواء كان هذا الأخ داخل بروسيا أو خارجها. لقد كان نموذجاً كاملاً للأوتوقراطية الدينية، محروماً من كل شعور بالصداقة، والغدر من بعض صفاته، وعدم الالتزام بتعاليم الدين من خصائصه، والشك بكل ما حوله ومن حوله من طباعه. والغاية في النهاية هي التي تحرم الوسائل المستخدمة أو تحلّل استخدامها. لقد كان منكراً للجميل، جشعاً إلى السلطة سيئ الظن، ولم يكن يهتم بآراء الناس، فقد كان الملك باستمرار عرضة للهزء والسخرية، وما من ضرر فيما إذا وجه الناس انتقادهم للعرش الملكي فتلك هي عادتهم بصورة دائمة.

لقد حفظ التاريخ أقاصيص لا نهاية لها عن سلوكه وتصرفاته المميزة. ونظراً لما أحرزه من انتصارات وما حققه من نجاح حتى اكتسب عن جدارة لقب (الكبير أو العظيم). فقد رويت تلك الأقاصيص بعد موته محاطة بالتقدير والمحبة والاعجاب. ومن ذلك ما يروى عن زيارته لرهبان (كليف) ليعرف ما يفعله أولئك الرهبان بعائدات الغابات الملكية التي منحت لهم طوال قرون عديدة لاداء الصلوات على أرواح موتى الأمراء (الدوقات). وسأل (فريدريك) الرهبان عن سبب إقامة تلك المآدب (القداس) ذات التكاليف الباهظة. فجاءته الاجابة : «لهداية الأرواح إلى

الصراط المستقيم وابعادها عن النار؟» وقال (فريدريك) باستغراب: «الصراط المستقيم؟» انه أمر بالغ التكاليف بالنسبة إلى كل الغابات طوال هذا الوقت! وهلاّ بقيت هذه الأرواح البائسة على الصراط المستقيم بعد كل هذه المئات من السنين التي لم تتوقف فيها الصلوات على أرواحهم؟. وفكر الرهبان بأن أرواح الموتى لا زالت على الصراط المستقيم. وعاد (فريدريك) للسؤال عن التاريخ المحتمل لابعاد الأرواح البائسة عن الصراط المستقيم، غير انه ما من أحد من الرهبان استطاع اجابته. فقال (فريدريك) عندها: «عندما تبتعد هذه الأرواح عن الصراط – في طريقها إلى الجنة – اعلموني برسالة تبعثونها إلي» وبذلك انتهت الزيارة التي طالما حدث مثلها في ظروف مغايرة من المهرجانات والاحتفالات. وركب الملك جواده مبتعداً عن الرهبان الذين استمروا في ترتيل نشيد (الدوم) الذي كان من عادتهم ترتيله عند الاستقبال لتحية الزائر الضيف.

قام (فريدريك الثاني – الكبير) بزيارة لسجن (سباندو) فوجد فيه سجيناً واحداً فقط اعترف بأنه مذنب وأنه يستحق العقوبة التي أنزلت به، في حين أصر الباقون على براءتهم مما نسب إليهم من التهم. فما كان من (فريدريك) إلا أن صرخ: «أطلقوا سراح هذا الوغد حتى لا يدنس هؤلاء الأبرياء».

عندما قام (فريدريك) بغزو (غلوغو)[٣٦] عمل على تحريض الجالية البروتستانتية فيها، ووعد النمساويين بأنه لن يستخدم الجدران الخارجية للكنيسة البروتستانتية كمتاريس أو كحواجز بشرط ألا يعملوا هم بأنفسهم على هدمها. ولكن عندما استولى على (غلوغو)، وشاهد الكنيسة بنفسه، صرخ قائلاً: «يا لها من كنيسة ضخمة مرعبة. لقد كان من الطبيعي تدميرها».

وشاهد مرة أثناء جولة له في إحدى المدن لوحة كبيرة وضعت في مكان مرتفع وقد كتبها المواطنون وضمنوها عبارات نقد لاذعة للملك بسبب الضرائب التي فرضها على الشعب. فما كان من الملك (فريدريك) إلا أن أمر «بإنزال اللوحة ووضعها على ارتفاع مناسب حتى يراها المواطنون بوضوح أكبر».

---

(٣٦) غلوغو: GLOGOW وباللغة الألمانية: (GLOGAU) مدينة بولونية في سيليزيا. تقع على نهر الأودر.

على كل حال ، لم يكن (فريدريك) محبوباً طوال حياته ، وقد تلقى الناس في (برلين) خبر وفاته بارتياح كبير ، لا سيما وانه عرف عنه انه كان يكره (أهل برلين) واستمر في كراهيته لهم خلال فترة حكمه. كان الملك الشاب (فريدريك الثاني – الكبير) قد انطلق في صيف سنة (١٧٤٠م) إلى أراضي الراين ، ونشر فيها الذعر والخوف حتى من قبل أن يتوفى الامبراطور (شارل السادس). وكان (فريدريك) يريد الحصول على (برغ) وضمها إلى (بروسيا) ، وقد وجد السعادة في وقوف الوحدات الروسية أو الافرنسية على أرض الراين الغربية من أجل مساعدته على تحقيق هدفه. وكان (فريدريك) مثله كمثل أبيه متساهلاً في المسائل الدينية ، إذ كان مقتنعاً : «بأن الأعمال ترتفع كلها في النهاية إلى السماء ، ولو ان كل عمل يسلك طريقته الخاصة».. غير أن ذلك لم يمنعه من أن يعتبر نفسه (بطل الجرمان البروتستانت) لأن ذلك يتلاءم مع أهدافه السياسية. وهكذا ، وفيما كان الأب (فريدريك وليم) مستعداً لممارسة ضغط على الرومان الكاثوليك إذا ما تطلب الأمر الانتقام لاضطهاد البروتستانت من قبل الحكام الكاثوليكيين الرومان الجرمانيين في المقاطعات الأخرى. فقد جاء الابن (فريدريك الثاني) فذهب إلى ما هو أبعد من ذلك عندما أظهر استعداده لخوض الحرب من أجل مصلحة البروتستانتيين. وعندما حدث النزاع على الحدود بين أمير مينز (الالكتر) الكاهن الكاثوليكي ، وبين أمير هيس كاسل (لاند غراف) البروتستانتي. استطاع الكاهن الكاثوليكي (الالكتر) تشكيل تحالف يدعمه الامبراطور النمساوي. واستنجد أمير (هيس كاسل – اللاندغراف) بالملك فريدريك الذي كتب إلى أخيه (الكتر ماينز) ما يلي : «اننا لا نعرف إذا ما تطلب الأمر كيف يمكن لنا إيقاف دعمنا تجاه ما يتعرض له أمير هيس كاسل – اللاندغراف – اننا ملزمون بحمايته ومساعدته». وكان هذا التهديد كافياً لكسب الجولة لمصلحة اللاندغراف البروتستانتي وقد ترك أسقف (لييج) بدون إجابة على التحذير الذي أرسله للبروسيين ، مما أرغمه بالتالي إلى اتاوة قدرها (٢٠٠) ألف تالر مقابل ابتعاد الوحدات البروسية المحتلة لليبج. واكتشف الملك الشاب في نفسه القدرة على تحقيق النجاح فيما يطمح إليه. وسخر من وزرائه الذين حذروه من مغامراته ، ونصحوه بتجنب الحرب ، فقال لهم وهو يشير إلى أعداء بلاده – النمساويين – وأنصارهم : «إنهم عندما يتحدثون عن الحرب ، فإنهم

يجمعون العرافين – الايروكوا –[37] لاستشارة النجوم». ما ان علم (فريدريك الثاني – الكبير) بوفاة الامبراطور (شارل السادس) في نهاية شهر تشرين الأول (اكتوبر) ١٧٤٠م، حتى قرر على الفور الاستيلاء على (سيليزيا) النمساوية، وكان يطمع في أقاليمها الغنية مقابل التزامه بتنفيذ (المرسوم المبرمج). وكان اقليم (سيليزيا) يتاخم حدود (براندنبرغ)، ويضمن له عند ضمه مزيداً من النفوذ السياسي والمميزات الاستراتيجية لا سيما وأن ضم (سيليزيا) إلى (براندنبرغ) سيضعف من نفوذ ملك بولونيا الذي كان في الوقت ذاته أميراً (الكتر) لاقليم ساكسوني وبذلك يتم عزله عن حدوده الشرقية. وكانت (سيليزيا) أيضاً تطوق بولونيا من الغرب حيث الاقليم الذي كان يشتهي (فريدريك) في ضمه إلى بروسيا أيضاً.

لم يكن لبروسيا – بدهياً – أي حق قانوني أو حافز أخلاقي – معنوي – لضم مثل هذه الأقاليم إليها. وعندما وقف الوزير (بودويل) في محاولة لاقناع (فريدريك) بأن بعض النصوص أو الطلبات قد تثير الآخرين بسبب عدم شرعيتها، اجابه (فريدريك): «ولهذا السبب أنت هنا لإيجاد الحجة الشرعية، وقد صدرت الأوامر إلى الوحدات بالاستعداد للحرب». وفي يوم ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٧٤٠، تلقى الملك فريدريك خبر وفاة امبراطورة روسيا. فزادت مخاوفه تجاه جناحه الشرقي، وزاده ذلك تصميماً على احتلال سيليزيا. وليحدث بعد ذلك ما يحدث...

استعدت بروسيا للحرب في إطار من الكتمان الشديد والسرية المطلقة، وأخفت كل نشاطاتها باستخدام خطة خداعية يظهر منها أن هدف مسير القوات هو التوجه نحو الغرب لتأمين أقاليم (جوليش بيرغ) على نهر الراين، وهي الأقاليم التي أصبح من المعترف بتبعيتها لبروسيا منذ أيام (فريدريك وليم). وعلى كل حال، فقد أصبح السفير الانكليزي في (برلين) مقتنعاً منذ نهاية شهر تشرين الثاني (نوفمبر) بأن (سيليزيا) هي هدف تحرك القوات البروسية. فاستيقظت (فيينا) بصورة مباغتة على الخطر الذي بات يتهددها، وأرسلت المركيز (دي بوتا) بمهمة خاصة إلى (برلين) من أجل معرفة

---

(٣٧) الايروكوا: (IROQUOIS) مجموعة من الهنود استقروا فيما مضى جنوب – شرق بحيرات ايرييه وأونتاريو: (ERIE ET ONTARIO) وجمعهم اتحاد أطلق عليه اسم (اتحاد الأمم الخمس).

نوايا البروسيين. وعندما كان السفير في طريقه إلى «برلين» شاهد الارتال الضخمة للقوات البروسية وهي تتحرك نحو الجنوب، وعند هذه المرحلة، لم يعد الملك (فريدريك) في حاجة لانكار نواياه، فأعلن صراحة مطالبته بضم اقليم (سيليزيا) إلى بلاده. ومقابل ذلك، قطع على نفسه وعداً بدعم (ماريا تيريزا) وزوجها في طلبهما بحق وراثة التاج الامبراطوري. واستخدم الرجلان (فريدريك والسفير دي بوتا) أسلوب التهديد، وغادر السفير التمساوي بلاط (فريدريك) وهو يتوعد بقوله: «على الرغم من ظهور القوات البروسية بمظهر أكثر اناقة من مظهر القوات التمساوية، فإن رائحة البارود لدى القوات التمساوية هي الأقوى».

كان تقويم (فريدريك) لكفاءة القوات النمساوية – الهنغارية تقويماً صحيحاً. إذ كانت هذه القوات ممزقة في وحدتها وضعيفة في قدراتها العسكرية على الرغم مما كانت عليه من تفوق عددي كبير وعلى الرغم من اعتمادها على قاعدة بشرية واسعة. وكان على حق أيضاً في اعتقاده بأن المناخ السياسي في أوروبا هو مناخ ملائم له بحيث انه من الصعب اثارته عندما يقوم (فريدريك) بهجومه. غير انه كان مخطئاً في تقديره لما كان يتوافر للملكة النمسا الجديدة (ماريا تيريزا) من الصفات والكفاءات التي من أبرزها الحزم والقوة والحكمة، مما أدى إلى بروز الظاهرة التي لم يعرفها حكم (آل هبسبورغ) من قبل، والتي كانت من أبرز الظواهر المثيرة، وهي التقاف الشعب الهنغاري حول الملكة (ماريا تيريزا) باعتبارها ملكة له، وتقديم كل الدعم الممكن لها. وكانت هذه الظاهرة هي إحدى التحولات المثيرة فيما يطلق عليه إسم (حرب الوراثة النمساوية) والتي تقسم من ناحية العمليات – بحسب ما أصبح متعارفاً عليه – إلى قسمين متمايزين كان مسرح عملياتهما في أوروبا الوسطى وهما (الحرب السيليزية الأولى) و(الحرب السيليزية الثانية).

٢ – الحرب السيليزية الأولى:

ما ان وصل الملك (فريدريك الثاني – الكبير) إلى مسرح العمليات في (سيليزيا) حتى تولى بنفسه قيادة الكتلة الرئيسية من القوات البروسية والتي كانت تضم (٢٨) ألف مقاتل. وكانت هذه القوات قبل وصول الملك تعمل تحت قيادة (فون شويرين). وفي الوقت ذاته. كان على القوات الاحتياطية المكونة من (١٢) ألف مقاتل. أن تنطلق من (برلين) لتلحق بكتلة القوات الرئيسية تحت قيادة الأمير (ارنولت ديسو) الذي ورث القيادة عن أبيه فعرف باسم (الشاب ديسوار).

لم تكن القوات النمساوية في (سيليزيا) مستعدة للحرب عندما وقع الغزو البروسي، كما لم يكن عدد أفراد القوات النمساوية يزيد على (٦٠٠) فارس و (٣) آلاف من جند المشاة، وكانت هذه القوات تعمل تحت قيادة (الحاكم العسكري فون واليس، وهو جندي من أصل اسكتلندي). ووجد (واليس) نفسه بسرعة مطوقاً بالقوات البروسية، فتولى قيادة الحامية المكونة من ألف مقاتل نمساوي، ودافع عن (غلوغو). أما نائب (واليس) وهو (فون براون – الجرماني الايرلندي الروماني الكاثوليكي) فكان في جنوب سيليزيا عندما وقع الغزو البروسي، فأخذ بسحب قواته من (مورافيا) بمجموعات صغيرة، ودعم بها القلاع والتحصينات الدفاعية والمراكز القوية، فشتتها بذلك، ولم يحتفظ في قبضته من القوات إلا بستمائة فارس من (فرسان الدراغون).

كانت هناك نسبة كبرى من السكان البروتستانتيين بين المواطنين الجرمان في (سيليزيا). وقد استقبل هؤلاء بالترحيب (الملك فريدريك) الذي انتحل لنفسه من جديد (دور حامي البروتستانتية) وفي الوقت ذاته، اتخذ المواطنون من الرومان الكاثوليك – موقفاً سلبياً – تجاه الغزو البروسي. وهكذا، وعلى الرغم من رداءة الأحوال الجوية، فقد تقدمت أرتال القوات البروسية بثبات عبر الأراضي المغمورة بالمياه، وكان (الملك فريدريك) يتولى قيادة قوة الرتل الرئيسي، في حين كان (شويرين) يقود الرتل الأصغر. وهو الرتل الذي استولى على (ليغنيتز)[٣٨] بهجوم مباغت. وفي نهاية شهر كانون الثاني (يناير) ١٧٤١م. كانت القوات البروسية قد احتلت معظم الأراضي (السيليزية) بدون قتال حقيقي، ولو أن (غلوغو) و (بريغ) و (نيسا) بقيت محاصرة ولم تستسلم للقوات البروسية.

اعتبر (الملك فريدريك) أن (سيليزيا) أصبحت تابعة له، وأن الحرب قد انتهت. فعاد إلى (برلين) من أجل الوصول إلى تسوية سلمية عبر الطرائق الديبلوماسية. وعلم لدى وصوله إلى عاصمته بما أحزنه، فقد أخذت النمسا في حشد قواتها والاستعداد للحرب بحماسة. وسيطر القلق على فرنسا بشأن نصيبها من التركة، فطلبت

---

(٣٨) ليغنيتز: (LIEGNITZ) بالألمانية. وبالفرنسية (LIGNICA) مدينة بولونية في (سيليزيا).

ميادين الحروب السيليزية

براندنبرغ - سيليزيا وبوهيميا - مورافيا



إلى النمسا منحها الأراضي المنخفضة النمساوية واللوكسمبرغ ، في حين أخذ أمير (بافاريا – الالكتر) بالمطالبة بحقه في العرش الامبراطوري. وكانت القوات الافرنسية – البافارية قد أخذت بالاستعداد لغزو النمسا وبوهيميا . بينما اتخذت انكلترا وهولاندا الاتجاه المضاد لفرنسا ، وأرسلتا بمساعداتهما المالية إلى (فيينا).

أصبح (الملك فريدريك) مرغماً على العودة مباشرة إلى (سيليزيا) . حيث أخذ الموقف العسكري الجيد للقوات البروسية بالتدهور بسرعة . ونجح القائدان النمساويان (الجنرالان براون ولينتولوس) في تحويل (غلاتز) إلى قاعدة عسكرية صلبة ، ودفعا إلى داخل (سيليزيا) بقوات نظامية وغير نظامية من الأنصار – واستطاع (٦٠٠٠) جندي من شق طريقهما عبر القوات البروسية القائمة بالحصار ، وأمكن بذلك دعم الحامية النمساوية المدافعة عن (نيسا)[٣٩] . وأصبحت الطرق (السيليزية) والغابات المحيطة بها مرتعاً لنشاط المقاتلين غير النظاميين من المشاة والفرسان التابعين لجنسيات مختلفة كالهنغاريين والكروات[٤٠] والمجريين (فرسان الهوسار غير النظاميين).

كان البروسيون يعتبرون بأن فرسان الهوسار الكروات هم مقاتلون مفترسون وغير نظاميين ، ينقضون كالعقبان المفترسة فيثيرون اضطراباً لا نهاية له ، ويقتطعون مفارز من قوات الجيش ، ويجهزون على الجرحى . وهم يمتلكون جرأة كبيرة تدفعهم حتى حدود معسكرات القوات البروسية ، فيقتربون منها ويحيطون بها في وضح النهار ، ويراقبون كل حركة فيها ، ثم يرفعون تقاريرهم عن كل الفعاليات والأنشطة التي يلاحظونها . ولم يكن باستطاعة المشاة البروسيين الانضباطيين منافستهم في مضمار عملهم . غير أنهم كانوا يحملون تقديراً كبيراً لفرسان (الهوسار) بحيث أنهم لم يجرؤوا على مهاجمة الفرسان البروسيين الذين كانوا يمتلكون خيولاً أفضل ، ويتميزون بتدريب رائع مما جعلهم أكثر مرونة وأكثر كفاءة في القتال . ويذكر عن (فرسان الهوسار الكروات) انهم هاجموا حرس الملك من فرسان الدراغون في (شيلنبرغ) وأرغموا

---

(٣٩) نيسا : (NEISSE) مدينة بولونية في (سيليزيا) تقع على نهر (نيسا غلاتز) (NEISS DE GLATZ) وقد استولى عليها الأفرنسيون سنة ١٨٠٧ . وهناك نهر نيسا أو (NYSA) بالبولونية . وهو نهر ذو فرعين.

(٤٠) الكروات : (CROITIE) المقاطعة التي عاصمتها زغرب . وهي إحدى الجمهوريات الاتحادية اليوغوسلافية حالياً .

الحرس على الفرار بحيث لم يتمكن الملك (فريدريك ذاته) من النجاة إلا بجهد كبير. وقد برهن فرسان الهوسار المجريون والكراتيون غير النظاميين على كفاءتهم العالية في دعم الحاميات النمساوية وجمع المعلومات، وحرمان القوات البروسية من جمع المعلومات، فعلى الرغم من أن سكان (سيليزيا) كانوا في معظمهم من البروتستانت المتعاطفين مع الملك، كان من الصعب على القوات البروسية معرفة ما كان يحدث في الاقليم، وكان من المحال معرفة ما كان يجري وراء حدود الاقليم السيليزي، حيث كان جيش نمساوي جديد بقيادة (نيبرغ أو نوبرغ) يقتحم الحدود بمهمة تبديل حامية (نيسا). وقد استطاع هذا الجيش التحرك تحت قيادة قائده (الماريشال نيبرغ) بصورة غير مرئية أو منظورة بسبب غيوم فرسان (الكروات - الهوسار) التي كانت تحيط به.

كان من حسن حظ (فريدريك) انه أول من علم باقتراب الجيش النمساوي وذلك عندما أمكن له الحصول على بعض الجنود الفارين أو الضائعين من الجيش النمساوي. وكان القائد البروسي الشاب (ديسوار) قد استطاع الاستيلاء على (غلوغو) بهجوم ليلي مباغت. كما رفع (فريدريك) الحصار عن (بريبغ) واستعد لمجابهة الجيش النمساوي الذي كان يتقدم نحوه.

(أ) معركة (مولويتز):

كانت معركة (مولويتز) أول معركة يتولى قيادتها الملك (فريدريك الثاني - الكبير) وفيها أظهر كفاءته القيادية العالية وبرهن بأنه أعظم محارب في عمره، فكانت هذه البداية هي الباكورة التي حملت معها أعظم التوقعات لمستقبل فريدريك.

كان المناخ الشتوي لا يزال مهيمناً على (سيليزيا) (في منتصف شهر نيسان - ابريل - تقريباً). وهبت في تلك الفترة عواصف ثلجية جعلت أفق الرؤيا محدوداً بما لا يتجاوز العشرين أو الثلاثين متراً. وبلغ ارتفاع الثلج في حدود قدمين تقريباً. وكان (الماريشال نيبرغ) يعرف يقيناً مكان تمركز (فريدريك) ومواقع قواته، ذلك لأن فرسان (الكرواتيين) استطاعوا أسرأوقتل كل المراسلين البروسيين الذين بعث بهم (فريدريك) لاحضار قوات الدعم. هذا في حين لم يكن (فريدريك) يعرف أبداً مواقع قوات النمساويين وأماكن تمركزهم، على الرغم من أنهم لم يكونوا يبتعدون عنه بأكثر من عشرة كيلومترات. وهنا تدخل الحظ لخدمة (فريدريك) إذ

علم مصادفة من فلاح سيليزي عن وجود القوات النمساوية في مدينة (مولويتز) وأسرع (فريدريك) فقاد جيشه في الصباح المبكر من يوم ١٠ نيسان (ابريل) إلى مدينة (مولويتز) وباغت النمساويين وهم لا يزالون يتناولون طعامهم.

قد يكون من الغريب فعلاً أن يتخلى (نيبرغ) عن تدابير الحيطة، ويسمح للبروسيين بالاقتراب من مواقع قواته، بدون أن ينظم المراقبة لرصد تحركاتها. فقد سار (فريدريك) بجيشه دون أن يلتقي بأية قوة من الفرسان المراقبين، ولم يعرف (نيبرغ) باقتراب البروسيين إلا عندما حذرته انفجارات المقذوفات وتبادل النيران مع مراكز المراقبة الخارجية للمعسكر. فأرسل على الفور زمرة من فرسان (الهوسار) الذين عادوا مهرولين بسرعة ومعهم بعض أسرى فرسان (الدراغون) البروسيين. وعندها استدعى (نيبرغ) قائد فرسانه الجنرال الساكسوني (رومر). وقرع جرس الانذار وأرسلت القوات من القرى المجاورة لمجابهة الهجوم البروسي.

نظم (فريدريك) قواته للمعركة، فوضع قوة من (٦) كوكبات دراغون و (٣) كوكبات فرسان تحت قيادة (العقيد غراف فون روثنبرغ) (*) وذلك بمهمة مجابهة الفرسان النمساويين، وإتاحة الفرصة المناسبة لتنظيم قوات المشاة البروسيين لدخول المعركة. وقد نجح (العقيد غراف) في تنفيذ مهمته إلى أبعد الحدود، بحيث استطاع (الملك فريدريك) تنظيم قوة المشاة على نسقين تفصل بينهما مسافة ثلاثمائة ياردة. ويتكون النسق من ثلاثة صفوف. وتولى (فون شويرين) قيادة الخط – أو الصف – الأول، بينما تولى (الشاب ديسوار) قيادة الخط – أو الصف – الثاني. واحتفظ (فريدريك) لنفسه بالقيادة العامة. وقسمت قوة الفرسان

(*) العقيد غراف فون روثنبرغ : (COL. GRAF VON ROTHENBURG) جندي لامع. حالفه الحظ في أعماله القتالية. ولد في (بولنيشريتكو : POLNISCHRETKAU) والتحق بالجيش الافرنسي سنة ١٧٢٧، وانتقل بعد خمس سنوات للخدمة في الجيش الاسباني واشترك في بعض عمليات المغرب (مراكش). ثم عاد للخدمة في كتيبته الافرنسية والتي وصل فيها إلى رتبة عقيد، وذلك قبل أن ينتقل إلى الخدمة في الجيش البروسي سنة ١٧٤٠ حاملاً معه رتبته ذاتها. فكان أول عمل له اشتراكه في معركة (مولويتز).

البروسيين، فوضعت على الجناحين ومعها بعض أفواج قاذفي القنابل (غرونادييه) لدعمها وحمايتها ومساعدتها على الصمود.

كانت قوة البروسيين في ميدان المعركة تزيد على (٢٠) ألف مقاتل، منهم (٤) آلاف من الفرسان. وأكثر من ستين مدفعاً. وكان المجموع العام لقوات النمساويين يعادل أو يقل بنسبة ضئيلة عن عدد قوات البروسيين، ولم يكن معهم إلا (١٨) مدفعاً، غير أن قوة فرسانهم كانت تزيد على ضعف عدد فرسان البروسيين.

فتحت المدفعية البروسية نيرانها بكثافة في الساعة (١٤٠٠) ووجهتها إلى الجناح الأيسر للقوات النمساوية. والمكون من فرسان (رومر) وأوقعت بينهم على الفور خسائر فادحة. ولم يعد باستطاعة الفرسان النمساويين التوقف أو الاستقرار، ثم ثار غضبهم، وطالبوا قيادتهم بالتقدم والقيام بالهجوم. وكان (نييبرغ) بعيداً على مسافة ميلين - على الجناح الأيمن - وهو يتابع جلب القوات إلى ميدان المعركة. ولم يتمكن (رومر) من الحصول على أمر بالانطلاق للهجوم. حتى أصبح في النهاية عاجزاً عن كبح جماح جنوده أو إيقافهم لمدة أطول. فأعطى أمره بالهجوم إلى قوته المكونة من ثلاثين كوكبة. وعندها بدأ الاشتباك. ولم يصمد الفرسان البروسيون لثقل الهجمة، فتراجعوا إلى خطوط المشاة البروسية. وعبروا من خلالها. وطاردهم الفرسان النمساويون بجرأة. واستولوا على تسعة مدافع كانت تحتل مرابضها بين نسقي المشاة البروسيين. ووجدت قوات المشاة البروسية نفسها وهي مطوقة ببحر من الخيالة البيضاء وظهر في تلك اللحظة وكأن البروسيين قد فقدوا معركتهم الأولى.

لقد قيل بأن الفرسان البروسيين قد أخذوا معهم وهم في طريقهم للهرب الملك (فريدريك). ويظهر أن الملك ذاته قد اعتبر بأنه خسر المعركة التي لم يعد هناك أمل في تصحيح مسيرتها أو انقاذها. وأكّد (شويرين) هذه المخاوف ولو انه قال: (بأنه لا زالت هناك فرصة للصمود وكسب المعركة).

وهناك أيضاً مصادر ذكرت بأن (شويرين) هو الذي أشار على الملك بالابتعاد عن المعركة خشية وقوعه أسيراً في قبضة أعدائه. ومهما كان عليه الأمر، فقد أصبح من الثابت بأن الملك غادر ميدان المعركة بعد أن أسند إلى بطل (بلينهايم - فون

شويرين) بإدارتها وقيادة قواتها. وأسرع (فريدريك) في اتجاه (أوبلن)[٤١] لعبور الجسر القائم على (نهر الأودر). غير أنه عندما وصل إلى هناك وجد بأن فرسان الهوسار النمساويين قد سبقوه إليه. وقتل بعض فرسان الملك وحرسه عندما كانوا يتجولون حول المنطقة، فرجع الملك من جديد إلى (مولويتز) بعد أن ساورته الشكوك في احتمال كسب المعركة، وكان الفرسان النمساويون يتابعون المطاردة من مسافة قريبة.

خلال هذه المرحلة من معركة (مولويتز) بعث (شويرين) مراسلاً إلى قائد النسق الثاني (الشاب ديسوار) يأمره بالثبات في مواقعه والتمسك بالأرض مهما كانت النتيجة. غير أن (الشاب ديسوار) الذي كان يكره (شويرين) رد على ذلك بجفاء حيث قال: «بأنه يعرف واجبه، وأين يجب أن يكون، وانه لا شيء ينقذ الملك حتى يذكره به».

كانت خطوط النسقين من المشاة البروسيين تمتد جبهياً لمسافة ميل ونصف تقريباً. وقد استطاع جند المشاة المحافظة على مراكزهم وعلى المسافات التي كانت تفصل بينهم. ووجهوا نيرانهم بصورة اجماعية مرة بعد المرة، وأرغموا الفرسان النمساويين في كل مرة على التراجع من أجل تلقيم أسلحتهم ومعاودة الانقضاض. وعلى المجنبات استطاع جنود أفواج قاذفي القنابل الثبات في مواقعهم بعد أن شتتهم هروب الفرسان البروسيين، فكانوا والفرسان النمساويين يحيطون بهم كالجزيرة المعزولة. واستمر الصراع المرير على هذه الصورة حتى المساء، حيث قتل قائد الفرسان (رومر) وقائد المشاة على الجناح الأيسر (غولدلين) مما أحبط الروح المعنوية للنمساويين. وكانت خيول النمساويين تتساقط أثناء ذلك بتأثير نيران المشاة. أما فرسانها فقد أدركهم التعب وانتابهم اليأس بسبب فشلهم المتكرر وعجزهم عن اختراق خطوط البروسيين، ولهذا رفضوا التقدم من جديد بعد فشل انقضاضهم الخامس. وظهر أثناء المعركة أن جنود المشاة البروسيين كانوا أكثر كفاءة في التدريب على القتال من الجنود النمساويين، كما

---

(٤١) أوبلن: (OPPELN) بالألمانية وفي الفرنسية (OPOLE) وهي مدينة بولونية في اقليم (سيليزيا) ولم تكن أبداً ألمانية، وتقع على بعد (٣٥) ميلاً من (مولويتز: MOLLWITZ) على نهر (الأودر).

ان هؤلاء كانوا أقل قدرة في إطلاق النيران بسبب عدم استخدامهم لقضبان تنظيف البواريد المعدنية، فكانوا يطلقون بمعدل طلقتين مقابل خمس طلقات يطلقها جندي المشاة البروسي. كما كان مدى البارودة البروسية أبعد مما جعل من المحال على جندي المشاة النمساوي الثبات فوق الأرض. أو الوقوف على مسافة الرمي المجدي للبواريد البروسية.

شرعت الشمس في المغيب في الساعة (١٩٠٠) تقريباً. وأدرك (شويرين) أن الموقف قد تحول لمصلحة قواته، فأمرها بالتقدم العام، وأمكن طرد القوات النمساوية وابعادها عن ميدان المعركة. غير أنه كان من الصعب إجراء المطاردة. فتوقفت الاشتباكات، وانتهت بذلك معركة (مولويتز) التي بلغت اصابات القوات البروسية فيها (٤٦٠٠) إصابة ما بين قتيل وجريح ومفقود، في حين كانت الإصابات بين القوات النمساوية في حدود (٤٤٠٠) إصابة.

تجنب (فريدريك) بعدها الإشارة من قريب أو بعيد، وطوال حياته، إلى فراره من المعركة، غير أنه حمل في نفسه ذكرى أليمة ضد (شويرين). وقد بوغت الملك (فريدريك) بصمود القوات النمساوية وثباتها على الرغم من مجابهتها لقوات متفوقة عليها في عددها وفي مستوى تدريبها وبتجهيزها. وكان عليه أن يعترف أيضاً بقصور الفرسان البروسيين. وأصبح لزاماً عليه العمل بصورة منهجية لإعادة تدريب الفرسان البروسيين.

لم تشعر (ماريا تيريزا) بالثقة في أن تبدأ أعمالها القتالية ضد القوات الافرنسية – البافارية في حين لا زالت القوات البروسية تمارس نشاطاتها. فقررت إجراء مفاوضات مع (فريدريك) مرغمة وعلى غير ما كانت تريد وتتمنى. والتقى (فريدريك) مع (نييبرغ) بصورة سرية، وتم عقد اتفاقية (كلين شنيللندورف) التي تعهد فيها (فريدريك) بخداع حلفائه الافرنسيين، وذلك بتنفيذ مجموعة من الاشتباكات الخداعية وأعمال الحصار لتضليل الافرنسيين. وكان عليه في الحقيقة سحب بروسيا من الحرب، مما يحرر القوات النمساوية ويتيح لها فرصة العمل لتحرير بوهيميا وطرد الافرنسيين منها. ومقابل ذلك طلب (فريدريك) موافقة النمسا على احتفاظه (بسيليزيا) وتحقيق طموحه في ضمها إلى بلاده واخضاعها لحكمه.

على كل حال، لم تتمكن القوات النمساوية من إحراز أي نجاح في البداية ضد القوات الافرنسية – البافارية التي لم تجابه صعوبات كبيرة وهي تجتاح بوهيميا، وشعر (فريدريك) بالغيرة لما حققته قوات حلفائه الافرنسيين والبافاريين من نجاح، كما بوغت لما اعتقده من ضعف في القوات النمساوية. فعاد لتنفيذ اتفاقاته السرية، وأمر قواته باجتياح (غلاتز) و (مورافيا). غير ان القوات البروسية لم تتلق مساعدة تذكر من الافرنسيين وهي تجتاح مورافيا، ليس ذلك فحسب، بل ان القوات الافرنسية سرعان ما انسحبت من الاقليم. وأظهر المواطنون السّلوفاك عداء واضحاً للبروسيين، وانتشر فرسان الهوسار (الكروات) في كل مكان فقدموا دعماً قوياً للمواطنين السلوفاك، وظهرت صعوبة استيلاء (فريدريك) على (برون). كما أخذ (الساكسون) بمغادرة الاقليم والهجرة بشكل جماعي. وتسبب ذلك في حدوث هوة فاصلة ودائمة في التحالف البروسي – الساكسوني. ووجد (فريدريك) نفسه مرغماً على الانسحاب من (بوهيميا) وذلك من أجل مجابهة الجيش النمساوي القوي في معركة (شوتوسيتز) وهو الجيش الذي كان يضم (٣٠) ألف مقاتل تحت قيادة (شارل) أمير اللورين.

(ب) معركة شوتوسيتز:

وقعت معركة (شوتوسيتز) يوم (١٧) أيار (مايو) ١٧٤٢م. وكان (الشاب ديسوار) يمسك ببلدة (شوتوسيتز) في حين كان (فريدريك) يقف إلى يمينه ومعه أفواج المشاة قاذفي القنابل والفرسان والمدفعية. وقد تشابهت المعركة في بدايتها تشابهاً كبيراً مع المعركة السابقة (مولويتز) حيث قامت المدفعية البروسية بتركيز نيرانها ضد الفرسان النمساويين المتمركزين على الجناح. غير انه كان هناك اختلاف عن المعركة السابقة، حيث قام الفرسان البروسيون هنا ببدء الهجوم، فمزقوا قوات الفرسان النمساويين وأرغموهم على الفرار من المعركة. أما المشاة النمساويون في الوسط والذين هيمن عليهم الفزع قليلاً، فقد توجهوا مباشرة نحو (شوتوسيتز) حيث كانت الأرض شديدة التضاريس ووافرة الأخاديد مما جعل من المحال على الفرسان البروسيين اختراق صفوف مشاة أعدائهم. ودارت الاشتباكات بصورة وحشية. وخاض النمساويون معركتهم بما عرف عنهم من التصميم والعناد على الرغم مما انتابهم من الذعر. ولم يمض النهار حتى خسر النمساويون نصف تعداد قوتهم تقريباً. وانتشر على أثر ذلك الاعتقاد: «بأن القوات البروسية هي قوات لا تقهر» وترددت أصداء هذه

القناعة في أوروبا كلها بضورة عامة وفي (فيينا) بصورة خاصة.

عادت (ماريا تيريزا) من جديد لتلتمس طريق السلم مع (فريدريك). وتم توقيع (معاهدة برلين) في شهر تموز (يوليو) سنة ١٧٤٢ م. وهي المعاهدة التي وضعت نهاية للحرب السيليزية الأولى. وانسحبت (ساكسوني) ومعها (بروسيا) من الحرب. وقامت القوات النمساوية - الهنغارية بطرد القوات الافرنسية من (بوهيميا) ثم قامت بغزو (بافاريا) وطردت حاكمها (الالكتر) الذي كان قد تم تتويجه في الفترة ذاتها امبراطوراً (للامبراطورية الرومانية المقدسة) وأخرجته من عاصمته (ميونيخ) ووجدت (فرنسا) ذاتها مرغمة على العودة إلى الدفاع بعد أن خسرت معركة (ديتنجن)[٤٢] وبعد أن أخذت (ماريا تيريزا) في الاستعداد لغزو (الالزاس).

لم يكن (لفريدريك) علاقة بكل هذه التطورات والأحداث. وعلاوة على ذلك، لم تكن لديه الرغبة في رؤية (فرنسا) وهي تخرج منتصرة انتصاراً حاسماً، ذلك لأن مثل هذا الموقف سيتركه وحيداً في مجابهة النمسا على ما كان يعتقد. وكان (فريدريك) يشك بأن توافق (ماريا تيريزا) على فصل (سيليزيا) عنها بموجب (ترتيبات اتفاقية). وانه لن يتحقق ذلك إلا إذا أمكن قهر بافاريا وفرنسا واسبانيا بقوة السلاح. ولهذا أسرع لربط نفسه من جديد (بفرنسا) و (بافاريا) و (بالاتين) و (هيس كاسل). وحدث ما كان يتوقعه (فريدريك) فقد انطلقت القوات النمساوية لاجتياح (الالزاس) بعد أن أنهت استعداداتها، وعندها أصدر (فريدريك) أوامره إلى قواته باجتياح (بوهيميا) فوراً. وبدأت المرحلة الثانية من (الحرب السيليزية).

٣ - الحرب السيليزية الثانية :

زج (فريدريك الثاني - الكبير) قوة من (٨٠) ألف بروسي في شهر آب (اغسطس) سنة (١٧٤٤ م) ودفعها في اتجاه (براغ). واحتفظ بقوة احتياطية في (سيليزيا) تضم (٢٠) ألف محارب. ولم تحتمل (براغ) قوة الضربة البروسية، فسقطت بين أيدي (فريدريك) في شهر أيلول - سبتمبر - . وتابع (فريدريك) تقدمه

---

(٤٢) ديتنجن (DETTINGEN) قرية بافارية تقع على نهر المين (LE MAIN) وفيها انتصر النمساويون على الافرنسيين في سنة ١٧٤٣ م.

الظافر في اتجاه (تابور)[43] و(التمسا) ومعه القائدان (شويرين) و(الشايب ديسوار). انتقلت (ماريا تيريزا) في هذه الفترة إلى (بريسبورغ) مرة أخرى لتستثير الأمة الهنغارية ولتحرضها على تقديم الدعم لها. وصدر الأمر إلى (شارل – أمير اللورين) بمغادرة الالزاس. والتوجه بجيشه نحو الشرق لمجابهة القوات البروسية.

تغير الموقف، ولم يعد في مصلحة القوات البروسية العاملة في (بوهيميا) وذلك بعد تدفق فرسان الهوسار من الهنغاريين والكرواتيين. وبعد ان عملت المجر على عزل معسكرات (فريدريك) وفرض سيطرتها على ارتاله، وامساكها بالطرق الرئيسية، وأسرها لكل مراسل يبعث به (فريدريك) لتأمين اتصالاته. وبذلك أمضى شهراً كاملاً بدون أن يتصل بمملكته أو بأي مكان من أوروبا. ولم تتوافر له أية معلومات عن الأصدقاء أو الأعداء. وزاد الأمر سوءاً عندما قامت القوات النمساوية والساكسونية بالهجوم على قواته يوم ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) فاضطر (فريدريك) إلى الانسحاب بقواته إلى (بوهيميا) بعد أن تعرض لخسائر فادحة بالتجهيزات والمعدات، وعند ذلك، بدأت القوات النمساوية باجتياح (بافاريا) من جديد، واستعدت لاقتحام (سيليزيا) مجدداً.

(أ) معركة هوهنفريدبيرغ (*) :

اخترق (شارل – أمير اللورين) حدود (سيليزيا) بقوة تزيد على (٦٠) ألف مقاتل كان ثلثهم تقريباً من (الساكسون). وأمام هذا الموقف طبق (فريدريك) خطة ذكية استخدم فيها الجواسيس المزدوجين الذين لا يشك فيهم وذلك لتضليل (شارل) وحمله على الاعتقاد بأن «القوات البروسية ستنسحب من سيليزيا بمجرد دخول القوات النمساوية إليها. وستكرر ما سبق لها أن فعلته، حيث ستتراجع نحو الشمال حتى تتجنب عزلها عن قاعدتها في (بريسلاو)[44] ولم يكتف (فريدريك) بذلك، بل

---

(٤٣) تابور : (TABOR) مدينة تشيكوسلوفاكية في بوهيميا تقع على نهر (لوجنيس – LUJNICE) الذي يرفد نهر (فلتافا : VLTAVA).

(*) هوهنفريدبيرغ : (HOHENFRIEDBERG).

(٤٤) بريسلاو : (BRESLAU) وبالألمانية : (WROCLAW) مدينة بولونية في سيليزيا – تقع على نهر الأودر.

عمل على دعم هذه الخطة الخداعية وترسيخها في ذهن (شارل)، فقام بالجلاء عن قسم من جنوب – شرق سيليزيا. وكان (الملك فريدريك) قد صمم في الحقيقة على الهجوم بقوة (٧٠) ألف مقاتل، وذلك بمجرد نجاح الخطة الخداعية، ووصول القوات النمساوية إلى سهل (سيليزيا).

وقعت المعركة بين (هونفريدبورغ) و(ستريغو) التي كانت القوات البروسية تختفي وراءها. وكانت القوات البروسية قد أحضرت في الليلة السابقة للمعركة، ونظمت، فوق أرض المعركة واصطدمت مع قوات حرس المقدمة الساكسونية عند أول ضوء من يوم ٤ حزيران (يونيو) سنة (١٧٤٥ م). وكان (شارل – امير اللورين) لا يزال في فراشه عندما بدأت المعركة، ولم يوقظه أحد من نومه بحيث انه لما استيقظ كان الوقت متأخراً حتى ان قواته كانت قد أضاعت نصف المعركة. وبالإضافة إلى ذلك، فقد أكّد المشاة البروسيون من جديد تفوقهم على المشاة النمساويين سواء في مستوى تدريبهم واستعدادهم القتالي، أو في قدرتهم على استخدام أسلحتهم – بواريدهم – كما أظهر الفرسان النمساويون عدم رغبتهم بالاقتراب من الفرسان البروسيين الذين أظهروا نماذج جديدة وطرائق مبتكرة في معركتهم هذه. وعندما أزفّت الساعة الثامنة صباحاً أصدر (شارل – امير اللورين) أوامره بالتراجع، فأخذت أرتال قواته بالانسحاب تحت حماية المؤخرات. وبلغت خسائر البروسيين (٥) آلاف اصابة، في حين بلغت خسائر النمساويين والساكسونيين (٩) آلاف بين قتيل وجريح و(٧) آلاف أسير و(٨) آلاف مفقود (ضائع) كما غنم البروسيون من النمساويين (٦٦) مدفعاً. وأعلن (فريدريك) بأن هذا الانتصار العظيم لم يحدث مثله منذ معركة (بلينهايم – ١٧٠٤) وهي المعركة التي قادها (مارلبورو) في إطار حرب الوراثة الاسبانية.

تابعت القوات البروسية تقدمها خلف القوات النمساوية التي تناقص عدد أفرادها حتى (٤٠) ألف مقاتل، وأخذت في التحرك نحو الشمال الشرقي من (سيليزيا) وهدفها الوصول إلى الحدود. وفي شهر أيلول (سبتمبر) أنزل فرسان (الهوسار) الكرواتيين ضربات موجعة بالقوات البروسية. وهددت طرق مواصلاته مما اضطره إلى تخصيص قوة من (١١) ألف مقاتل من الفرسان والمشاة لحماية قوافل الامداد والتموين وحراسة المعسكرات. ثم أخذ في التراجع نحو (سيليزيا) وعبر نهر (البا).

وأقام معسكره الذي ضم (١٨) ألف مقاتل في سفح الجبال قريباً من قرية (سوهر)(*).

(ب) معركة سوهر:

تابع (شارل أمير اللورين) تحرك القوات البروسية، وعندما عرف مكان تمركزها قرر مباغتتها بهجوم ليلي بجيشه الذي أصبح يضم (٣٠) ألف مقاتل فقط. وقاد (الأمير شارل) تحرك قواته بكفاءة مستفيداً من ظلمة ليل (٢٩) أيلول – سبتمبر – (١٧٤٥م). ووصلت كتلة القوات النمساوية فاحتلت المرتفعات المقابلة لمعسكر (فريدريك) فيما انقضت قوة كبيرة من فرسان (الهوسار الكرواتيين) على متاع البروسيين وتجهيزاتهم. كما عملت هذه القوات في طريقها على إبادة كل من صادفته من نساء وأطفال ورجال. غير أن الكتلة الرئيسية تأخرت بالوصول عن مقدماتها بفترة ساعة من الزمان. واستطاعت مراكز المراقبة المتقدمة للقوات البروسية اكتشاف تحركاتها مع أول ضوء. وكان (فريدريك) وهيئة أركانه قد استيقظوا منذ فترة وشرعوا في العمل على الفور. وكان رد فعل القوات البروسية كما هو معروف عنها أسرع بكثير من حركة القوات النمساوية.

نظم النمساويون قواتهم للمعركة، فوضعوا على جناحهم الأيسر (٣٨) مدفعاً ومعها (١٥) كوكبة من الفرسان. وفتحت المدفعية النمساوية نيرانها، غير أن الفرسان والمشاة وقفوا جامدين مما دفع (فريدريك) إلى القول فيما بعد: «كان باستطاعتهم الانقضاض علينا كالصاعقة». والتفت (فريدريك) إلى العقيد قائد الفرسان المدرعين، وقال له: «ها هي فرصتك يا – بارنبروك – انقض عليهم بفرسانك المدرعين وتوغل بينهم». وانطلق الفرسان المدرعون وهم يصعدون التلال خبباً، غير أنهم لم يصطدموا بأية مقاومة، ولم تجابههم النيران، وكل ما وصلهم هو (قعقعة البواريد). وظهر أن الفرسان على الجناح قد فروا بعيداً عن المعركة. وتبع المشاة البروسيون فرسانهم المدرعين إلى الجناح الأيمن، وتسلقوا المرتفعات، وتعرضوا لخسائر فادحة بسبب تناثر شظايا القنابل التي أرغمتهم على التراجع. وقامت القوات البروسية بهجومها الثالث الذي تم فيه زج القوات الاحتياطية من كتائب المشاة. وأمكن بذلك

(*) سوهر: (SOHR-OR-SOOR).

الاستيلاء على المدفعية النمساوية وأمكن أيضاً طرد المشاة. وعندئذ نقل (فريدريك) بقية قوة فرسانه إلى جناحه الأبسر حيث كانت قوات النسقين لا زالت صامدة في أماكنها، محتفظة بالمسافات الفاصلة فيما بينها. وتمزقت قوات الفرسان النمساويين هنا أيضاً تاركة مجنبة قوات المشاة عارية من كل حماية.

تراجع المشاة النمساويون، والتجأوا إلى الغابة حيث لا يستطيع الفرسان البروسيون مطاردتهم إلى هناك. وفي الوقت ذاته، كان فرسان الهوسار الكرواتيون يعملون في المؤخرة على النهب والسلب فلم يقدموا أي دعم للقوات المشتركة في المعركة الرئيسية. وانتهت الاشتباكات وتوقف القتال الذي خسر فيه النمساويون (٤) آلاف مقاتل بين قتيل وجريح علاوة على (٣) آلاف أسير، فيما خسر البروسيون (٤) آلاف مقاتل بين قتيل وجريح.

(ج) هنرسدورف ومعركتها:

كان (فريدريك) على ثقة بأنه يجب عليه ارغام النمساويين على قبول شروطه لإيقاف الحرب. ولهذا أمر جيشه بالانسحاب على مهل والعودة إلى (سيليزيا). وعاد هو إلى (برلين) لتوجيه الصراع السياسي. وتشتت الجيش البروسي في معسكراته الشتوية، وافترض (فريدريك) بأن الجيش النمساوي سيفعل مثل ما فعله وانه سينتشر في معسكراته انتظاراً لانقضاء موسم الشتاء.

سارت الأمور مغايرة لما توقعه الملك (فريدريك). فقد وضع النمساويون والساكسون مخططاً لغزو (براندنبرغ) وحتى الاستيلاء على (برلين) مستفيدين في ذلك من العطالة التي يفرضها فصل الشتاء.

علم (فريدريك) بتفاصيل الخطة في الوقت المناسب. فعاد إلى (سيليزيا) فوراً بهدف فرض سيطرته على محاور اقتراب القوات النمساوية. وفي يوم (٢٣) تشرين الثاني (نوفمبر) ١٧٤٥ اصطدمت العناصر البروسية المتقدمة، والمكونة من الفرسان الخفيفة والفرسان الثقيلة المدرعة والمشاة بقوات حرس المقدمة من الفرسان الساكسون والتي دفعها (شارل أمير اللورين) أمام قواته. وكان القائد (زيبتن) يتولى قيادة قوات الهوسار البروسية ويتمركز في (هنرسدورف). فقام بقيادة قواته بهجوم عاصف دمّر فيه (٦) آلاف من قوة فرسان الساكسون ومشاتهم (والذين كانوا يعملون تحت قيادة فون بوشنر). وضاعت المباغتة، ولم يعد باستطاعة (الأمير شارل) الاعتماد على المفاجأة

لتحقيق مخططه الهجومي ، فاستدار على عقبيه ورجع إلى (بوهيميا) وبذلك انهار المشروع الهجومي بأكمله.

أصبح باستطاعة (فريدريك) الآن الانتقال إلى الهجوم، والقيام بغزو (ساكسونيا) فتحرك (العجوز ديسوار) من (الهال) في اتجاه (ليبزيغ) وعندما وصلها تابع مسيرته في اتجاه (دريسدن) وأقام جسراً على نهر (البا). وبذلك أصبح باستطاعة (فريدريك) الانضمام إليه عندما ينطلق في تحركه من (سيليزيا). وكانت هناك قوة من (الساكسون) تعمل تحت قيادة (ريتويسكي) وتضم وحدة نمساوية، قد تمركزت إلى الغرب من العاصمة (ساكسون). وأثناء ذلك كان (شارل أمير اللورين) يقود قوة من (٤٦) ألف مقاتل، ويسير بها من (بوهيميا) بهدف دعم حلفائه الساكسون ومساعدتهم.

(د) معركة كيسلدورف :

أمام هذا الموقف، أصدر (فريدريك) أمره إلى قائده (العجوز ديسوار) وطلب إليه شن الهجوم على (الساكسونيين) قبل أن ينضم إليهم (الأمير شارل) بقوته، وعدم الانتظار حتى يصل هو (فريدريك) بقواته. وعندما بدأ (العجوز ديسوار) بخوض معركته ضد الساكسونيين يوم (١٥) كانون الأول (ديسمبر) ١٧٤٥، لم يكن (الأمير شارل) يبتعد عن ميدان المعركة بأكثر من خمسة أميال. عندما انطلق (العجوز ديسوار) بهجومه من (كيسلدورف) اصطدم بالقوة الساكسونية التي كانت متمركزة في خنادقها. وسار المشاة البروسيون صعداً على سفوح التلال فيما كان الثلج يثقل خطواتهم والنيران الكثيفة تمزق صفوفهم وهي النيران التي تطلقها (٩) آلاف بارودة و (٣٠) مدفعاً. وتوقفت الخيالة البروسيون عند الأفق الخارجي لمحيط ميدان المعركة. وتراجع البروسيون القهقرى، المرة تلو المرة، وتساقطت صفوفهم وسط القتلى والجرحى الذين كانوا يتناثرون فوق أرض المعركة بصورة مرعبة. وشاهد أحد الأفواج النمساويين قوات المشاة البروسيين الممزقة وهي تقترب منه، فانطلق لمطاردتهم وتخلى عن خنادقه ومواقعه، وتبعته قوات من المشاة الساكسون. فانفتحت بذلك الثغرة التي انطلقت من خلالها قوة الفرسان البروسيين ومزقت القوات الساكسونية – النمساوية. وخسر (ريتويسكي) المعركة، وخسر معها (٣) آلاف من قواته بين قتيل وجريح بالاضافة إلى (٧) آلاف أسير. ومقابل ذلك خسر البروسيون (٤٦٠٠) رجل بين قتيل وجريح. ولم يبق أمام (شارل أمير اللورين) ما يفعله، فاستدار من جديد ورجع إلى

(بوهيميا). وكسبت القوات البروسية المعركة، وكسبت معها السلام. ذلك ان هذه المعركة قد وضعت حداً نهائياً للحرب السيليزية الثانية.

تم التوقيع على معاهدة (دريسدن)[45] بين النمسا وبروسيا في يوم عيد الميلاد من سنة (١٧٤٥) ووجدت النمسا نفسها مرغمة على التخلي عن (سيليزيا) وتركها في قبضة (بروسيا). واعترف (فريدريك) من جهته بزوج (ماريا تيريزا) وهو (فرانسيس ستيفن)[46] كامبراطور للامبراطورية الرومانية المقدسة. وبذلك استطاعت (بروسيا) التي طالما عانت من المحن والنوائب، أن تجد طريقها إلى القوة والسلام، بفضل ما تميز به (مليكها الشاب فريدريك) من الجرأة والكفاءة العسكرية العالية. استمرت الحرب بعد ذلك بين النمسا وفرنسا لمدة ثلاث سنوات أخرى، وكانت الأراضي المنخفضة وإيطاليا هما المسرح الرئيسي للأعمال القتالية. وأمكن في النهاية الوصول إلى تسوية سلمية في معاهدة (اكس لاشابيل) سنة ١٧٤٨ م.

لم تكن الملكة الصلبة والجريئة (ماريا تيريزا) تثق بالملك البروسي (فريدريك) وقد أحزنها ضياع (سيليزيا)، كما خاب أملها بانكلترا التي لم تقدم لحليفتها النمسا دعماً حقيقياً أثناء سنوات الحرب. فأخذت في البحث عن حلفاء جدد تستطيع أن تثق بصدق التحالف معهم، ومضت في الوقت ذاته بالاستعداد للحرب من أجل استئناف الصراع المسلح عندما تتوافر الظروف المناسبة.

٤ - فريدريك يعيد تنظيم جيشه:

اعتمد (فريدريك) في تحقيق انتصاراته المبكرة على تنظيم المشاة الرائع في الجيش الذي أورثه إياه والده (فريدريك وليم). وما ان فرغ (فريدريك الثاني) من

---

(٤٥) دريسدن: (DRESDEN) بالألمانية. وباللغة الافرنسية (DRESDE) مدينة ألمانية كانت عاصمة اقليم (الساكس) وتقع على نهر (البا). وفيها انتصر نابليون أيضاً على الحلفاء في سنة ١٨١٣م.

(٤٦) فرانسيس ستيفن: (STEPHEN - FRANÇIS) ويعرف باسم (فرانسوا الأول: FRANCOIS I) من مواليد نانسي (١٧٠٨ - ١٧٦٥م) امبراطور (الامبراطورية الجرمانية المقدسة) (١٧٤٥-١٧٦٥م) وهو والد (ماري انطوانيت). كان دوق اللورين باسم (فرانسوا الثالث) قبل أن يتزوج من الامبراطورة الجرمانية (ماريا تيريزا سنة ١٧٣٦).

معارك حربه الظافرة حتى بدأ على الفور تقريباً بإعادة تنظيم قوات المشاة البروسية وزيادة عدد أفراد وحداتها إلى ضعف ما كانت عليه تقريباً قبل (الحروب السيليزية).

سار (فريدريك الثاني) على عادة أسلافه، حيث كان من عادة البلاط البروسي البدء بإعادة تنظيم الحرس المشاة عندما يتم تنصيب ملك جديد مكان ملك سالف. فكان أول إجراء اتخذه الملك (فريدريك الثاني) هو حل (حرس بوتسدام العملاق) والمعروف باسم (كتيبة المشاة السادسة) وهي الكتيبة التي كانت أثيرة عند أبيه ومفضلة على كل ما عداها من كتائب الجيش. وأعيد تنظيمها على شكل (فوج وحيد من الحرس قاذفي القنابل). أما بالنسبة لبقية أفراد الكتيبة السابقة فقد دفعت لهم تعويضات تسريحهم أو نقلوا إلى (كتيبة المشاة ٣٥) التي نظمت وشكلت تحت قيادة (الأمير البروسي هنري) بالإضافة إلى من نقلوا إلى فوج الحامية الرابعة. أما كتيبة فريدريك الخاصة (وهي الكتيبة ٣٥) والمعروفة رسمياً باسم كتيبة (فون ديرغولتز) فقد أصبحت كتيبة جديدة تحمل إسم (كتيبة مشاة الحرس الملكي). وأضاف الملك فريدريك إلى هذا الحرس (كتيبة الحرس الراكب) باسم (فيلق الحرس) وكانت هذه الكتيبة من الفرسان الثقيلة (المدرعين) والتي حملت إسم سابقتها (كتيبة الفرسان الثقيلة الثالثة عشرة).

شكل (فريدريك) بداية من سنة ١٧٤٠ وما بعدها مجموعة من كتائب المشاة الجديدة؛ ففي سنة ١٧٤٠ شكل كتيبة البنادق القصيرة ٣٤ وكتائب المشاة حاملي البواريد ٣٣ و٣٥ و٣٦ و٣٧ و٣٨ و٤٠ وفي سنة ١٧٤١ شكل كتائب المشاة حاملي البواريد ٤١ و٤٢ و٤٣ وفي سنتي ١٧٤٢ و١٧٤٣ شكل كتائب المشاة حاملي البواريد ٤٥ و٤٦ و٤٧ و٤٨. ولم يتم بعد ذلك تشكيل أي كتائب من المشاة – باستثناء الكتيبة ٤٩ والتي كانت في الحقيقة كتيبة مهندسين. ثم عاد (فريدريك) فشكل في الفترة بين سنتي ١٧٧٢ – ١٧٧٤ كتيبة حاملي البنادق القصيرة (٥٠) بالإضافة إلى (٥) كتائب مشاة حاملي البواريد الطويلة (من الكتيبة ٥١ حتى الكتيبة ٥٥). وبالإضافة إلى ذلك، فقد كانت هناك (١٢) كتيبة مشاة في المواقع (حاميات). وعلى الرغم من أن هذه الكتائب مخصصة للدفاع عن القلاع والتحصينات. فقد تم استخدامها في الميدان كقوة هجومية وفي الفترة ما بين سنة ١٧٤٢ وسنة ١٧٥٣، شكلت ست أفواج مستقلة من قاذفي القنابل (حملت الأرقام من واحد إلى ستة) وأضيفت هذه الأفواج إلى الأفواج الاثني والعشرين والتي تم

تشكيلها عن طريق فصل السريتين قاذفي القنابل من كل كتيبة ودمجها في أفواج مستقلة. ولم تعط هذه الأفواج رموزاً عددية، وإنما تم منحها إسم قادتها.

استخدم (فريدريك) المشاة الخفيفة بشكل محدود، ولو أنه لم يكن هو أول من أدخل تنظيمات هذه المشاة الخفيفة في الجيش، إذ يعود تاريخ إنشاء هذه الوحدات في الجيش البروسي إلى سنة ١٦٥٦، غير أن الملك (فريدريك) عمل في سنة (١٧٤٠ م) على إعادة تنظيمها كقوة استطلاع (أدلاء) ولم يكن حجم هذه القوة في بداية الأمر يزيد على نصف سرية تم جمع أفرادها وتجنيدهم من الصيادين وحراس الحقول. وزاد عدد أفراد هذه القوة فبلغ في سنة (١٧٦٠م) ستمائة رجل. وقد استخدم عناصر هذه القوة بصورة خاطئة في معظم الأحيان، حيث تم زجهم كقوة مشاة عادية – نظامية –. ودمّر معظم قوة هذه الوحدة بالقرب من (سباندو)[٤٧] حيث كان تدافع بصورة غير ملائمة عن اقليم مفتوح (سهل) ضد قوات القوزاق (الروس). وفي سنة (١٧٦٣م) اعيد تنظيم قوة المشاة الخفيفة فأصبحت تضم (٣٠٠) رجل، ولم تتزايد هذه القوة إلى تنظيم كتيبة حتى سنة (١٧٨٧م) حيث تم تجهيز كل فرد من أفراد كتيبة المشاة الخفيفة ببارودة (كارابين). وبصورة عامة، لم يكن للمشاة الخفيفة دور قتالي بارز أثناء الحروب السيليزية، وقد اضطلع فرسان (الهوسار) بالدور الذي كان على وحدة المشاة الخفيفة الاضطلاع به في اليوم الأخير من تلك الحروب. واقتصر دور الجنود الذين تم جمعهم من الغابات لضمهم إلى المشاة الخفيفة، على حمل البريد، وتوجيه الوحدات المقاتلة ومرافقة قوافل الامداد.

لم يعدل (فريدريك) تنظيم المشاة، على الرغم مما بذله من جهد كبير لزيادة عدد وحداتها، وعلى الرغم أيضاً مما أدخله في فترة إعادة التنظيم من أساليب تعبوية (تكتيكية) جديدة ومن ابراز نماذج جديدة من الوحدات. أما بالنسبة للفرسان فكانت قصتهم مع (الملك فريدريك) مختلفة تماماً. فقد أظهر (فريدريك) غضبه واستياءه من فرسانه البروسيين في معركة (مولوتيز) ولهذا لم يعمل على تكوين كتائب جديدة من الفرسان الثقيلة المدرعة، باستثناء كتيبة الحرس الجديدة (قوة الحرس). غير أن (فريدريك) نظم خمس كتائب من فرسان (الدراغون) (حملت أرقام كتائب

---

(٤٧) سباندو: (SPANDAU) مدينة ألمانية كانت تقع على مسافة قريبة من برلين تقع على نهر (لاسبريه: LASPREE) وعندما اتسعت برلين أصبحت سباندو ضاحية من ضواحيها.

الدراغون من ٨ – ١٢) وقد أخذت هذه الكتائب مكانها جنباً إلى جنب مع كتائب الفرسان الثقيلة المدرعة، وحددت مهمتها بتشكيل قوة الصدمة لاختراق قوة الفرسان النمساوية وتمزيقها.

كانت الحروب السيليزية – على نحو ما سبق عرضه – حروباً ثورية في بعض ملامحها وطرائقها، بسبب استخدام طرائق تعبوية جديدة، وزج نماذج جديدة من القوات، مثل قوة الخيالة الخفيفة والمرنة جداً في تحركاتها، واستخدام الأنصار، وقوات الهوسار غير النظاميين من المجريين، وفرسان الكرواتيين الخفيفين. وفرسان البولونيين والساكسون. وكان من الصعب على الفرسان البروسيين التعامل مع مثل هؤلاء الأعداء في بداية الأمر. ولم يتم تحقيق أي نجاح إلا عندما تم توسيع سلاح (الهوسار) البروسي. وعندما تولى (فريدريك الثاني) تاج الملك. لم تكن قواته تضم إلا (٩) كوكبات من قوة (فرسان الهوسار) فعمل طوال الفترة من سنة (١٧٤١ م) حتى سنة (١٧٧٣ م) من أجل زيادة قوتها وأمكن له في هذه الفترة تكوين (٨١) كوكبة من الجرمان، و(٩) كوكبات من (البوسنة) وتم تنظيم هذه الكوكبات في كتائب أعطيت التسلسل الرقمي (من ٣ – ١٠). ولم تسلح هذه الكوكبات (بالرماح أو المزاريق) – باستثناء كتائب الهوسار البوسنيين – التي سلحت بالرماح.

استخدمت (ماريا تيريزا) بطريقة رائعة زمر الجنود غير النظاميين وعصابات الأنصار كوحدات حرة تعتمد على الجنود الهنغاريين والنمساويين المسرحين. والذين يتقاضون رواتبهم من أعمال السلب والنهب والغنائم. وكان الكثيرون منهم مجرمين. متعطشين للدماء. يدخلون الرعب في قلوب الأصدقاء والأعداء على السواء. وقد برهنت التجربة على انه من المحال محاربتهم بالطرائق العسكرية التقليدية التي كانت مستخدمة في تلك الأيام. وعلى الرغم مما كانت تحققه هذه الوحدات غير النظامية من فوائد لمصلحة السيد الذي يدفع لها رواتبها. إلا أنه كان من الصعب – بالمقابل – مراقبة أعمالها أو السيطرة عليها. وقد أظهرت هذه الوحدات فعالياتها وقدراتها بصورة خاصة في فرض سيطرتها على الطرق (محاور الإمداد والتحرك) وتهديد موارد التموين وجمع المعلومات عن العدو. وقد رفض (الملك فريدريك) في بداية الأمر تكوين وحدات من البروسيين لتشكيل (الوحدات الحرة) ووضع أمله في تطوير الهوسار النظاميين. من أجل الاضطلاع بواجب مزدوج: الأول: اختراق قوات العدو والوصول إلى مؤخراته. والثاني: قتال (الوحدات

الحرة) للعدو. على كل حال. فقد تجددت الحرب. واندلعت نيرانها في سنة (١٧٥٦ م) وعندها لم يتردد (فريدريك) في تكليف عدد من الضباط البروسيين والأجانب والشخصيات البارزة والمغامرين وحتى المجرمين وقطاع الطرق بتشكيل (كتائب حرة) وأفواج وسرايا من المشاة والفرسان - الخيالة - بحيث لم تمض فترة طويلة حتى وضعت لائحة تضم (٤٥) وحدة أو تشكيلاً من مختلف التنظيمات المخصصة لممارسة العمليات الخاصة. وكان معظم أفراد هذه التنظيمات يرتدون ثياباً عسكرية مميزة خاصة بهم. وكانوا بصورة عامة أفضل انضباطاً وأحسن تجهيزاً من أمثالهم أو ما يقابلهم عند النمساويين.

كانت المدفعية البروسية تتكون في سنة (١٧٤٠ م) من ست سرايا فقط. غير أن هذا العدد تضاعف في السنة التالية عندما شكل (فريدريك) كتيبة مدفعية الميدان الأولى التي ضم فيها السرايا القديمة. وشكل في الوقت ذاته (كتيبة مدفعية الميدان الثانية) والتي ضمت (٥) سرايا مدافع ميدان وسرية مدافع قاذفة. وفي سنة (١٧٦٢ م) ضم أمر القتال قوة من المدفعية تضم (٣٠) سرية، نظمت كل (٥) سرايا في فوج من الأفواج. وكل ثلاثة أفواج في لواء مدفعية. وكان رجال المدفعية في وحدات مدافع الميدان أو المدافع القاذفة (الهاوتزر) يشكلون زمر المدفعية في الفروع الثلاثة المميزة وهي: مدفعية القلاع والتحصينات، ومدفعية الألوية، وبطاريات المدفعية. وكانت مدفعية الألوية المستقلة لدعم المشاة وعادة ما كانت عيارات هذه المدافع تتراوح بين ٢، ٣، ٤ رطل، ويخصص مدفع للفوج المشاة. وتم استبدال هذه المدافع بمدافع أكثر ثقلاً ومن عيار (٦) ارطال بعد سنة (١٧٥٦ م)، وكانت حضيرة المدفعية تضم مدفعين يتولى قيادتهما مرشح أو رقيب أو عريف مدفعي. ويتكون سدنة المدفع من جنديين يدعمهما بعض جنود المشاة أو المجندين المحليين من قوة الاقاليم. وكان لدى بروسيا في بداية الحروب السيليزية (٦٠) مدفعاً. وارتفع هذا العدد حتى سنة ١٧٥٨ حتى زاد على (٢٠٠) مدفع. وفي السنة التالية بلغ عدد المدافع في بطاريات المدفعية ومدفعية الكتائب (٥٨٠) مدفعاً. ويذكر أن بطاريات المدافع لم تكن تختلف عن بطاريات الكتائب إلا من حيث استخدامها، إذ كان واجب بطاريات المدافع العمل بصورة مركزية في تشكيل الكتلة الرئيسية من المدفعية للتعامل مع .بطاريات المدفعية المعادية.

تأثر (فريدريك) كثيراً عندما شهد في سنة (١٧٥٧ م) المدفعية الروسية المتطورة

والتي كانت تجرها الأحصنة – الخيول – نظراً لما كانت تقدمه هذه المدافع من دعم مباشر وقريب لقوة الفرسان الروس، ولم تمض سنتان حتى عمل (فريدريك) على إدخال المدفعية المجرورة في تنظيم الجيش البروسي. وكانت البطاريات الأولى تتكون من عشر مدافع، عيار المدفع منها (٦) ارطال. يجر كل مدفع (٦) خيول غير أنه تم استبدال هذه المدافع فيما بعد بمدافع أكثر خفة – من عيار (٣) ارطال. تجرها زمرة من أربعة خيول.

كانت وحدات المهندسين تضم وحدات إقامة الجسور، وزارعي الألغام والمتفجرات. وكانت هذه الوحدات في أيام (فريدريك وليم) تشكل سلاحاً صغيراً يحتل مرتبة ثانوية في تنظيم الجيش غير أن هذا السلاح لم يلبث أن تطور في عهد (فريدريك الثاني) في تنظيم (الجهاز الفني – التقني) الذي حددت واجباته بشق الطرقات وإصلاحها وإقامة الجسور على الأنهار وزرع الألغام وتنفيذ أعمال التدمير. وكان هذا الجهاز الفني يتكون بكامله من الضباط الفنيين والضباط المحاربين الذين لم يتجاوز عددهم في سنة (١٧٨٦ م) (٤٨) ضابطاً و(٣٠) مساعداً. وقبل أن يتوسع هذا (الجهاز) ويتطور. كانت هناك سريتان من زارعي الألغام وعشر سرايا لإقامة الطرق والجسور، واجبها الأول هو العمل لخدمة المدفعية.

تلك هي التطورات، وذلك هو الجيش الذي قدر له بقيادة مليكه الشاب (فريدريك الثاني) الكبير أن يغير مجموع العلاقات الأوروبية في مرحلة البعث القومي لأوروبا. ولقد خرج (فريدريك الثاني) من حروبه الأولى، وقد حقق أكبر أهدافه بضم (سيليزيا). ولكن هل استسلمت الملكة (ماريا تيريزا) وأقرت بضياع (سيليزيا) نهائياً من قبضتها؟ لقد كانت الإجابة السلبية على هذا التساؤل هي بداية التطورات اللاحقة والتي أدت إلى تجدد الصراع المسلح.

٥ – حرب السبع سنوات :

خرج الملك (فريدريك الثاني) من الحربين السيليزيتين الأولى والثانية وهو يبحث عن السلام. وعندما بلغه توقيع معاهدة (اكس لاشابيل) التي أقامت السلم بين فرنسا والنمسا، هتف قائلاً: «لن أهاجم قطة بعد اليوم، ولن أخوض الحرب إلا للدفاع

عن نفسي فقط ». ولعله في قوله هذا يعبر عن فشله في تقويم المضمون الحقيقي لانتصاراته في أعماله العدوانية. فقد تركت هذه الانتصارات استياء في النمسا، بقدر ما أثارت مخاوف فرنسا أيضاً. وفي الحقيقة، فقد أصبحت هذه المشاعر المشتركة من الحزن والخوف بين الدولتين الافرنسية والنمساوية هي الحافز القوي لتوحيد إرادتيهما من أجل دفن العداء التقليدي فيما بينهما. والانطلاق من ذلك نحو العمل المشترك لدعم القضية المشتركة. وكان من سوء حظ الملك (فريدريك) أو من حسن حظه. تبني مستشار الملكة (ماريا تيريزا) وهو (فون كونيتز)[٤٨] لهذه القضية. وبذل كل جهد مستطاع لتحقيقها. وقد رأى (الأمير فون كونيتز) بأن (فريدريك) قد اعتمد في أعماله العدوانية على الخلاف التقليدي القائم بين النمسا وفرنسا. فاقترح على الملكة (ماريا تيريزا) أن تتقرب إلى فرنسا من أجل الحصول على دعمها ومساعدتها لاسترجاع (سيليزيا). ومقابل ذلك، تقدم النمسا إلى فرنسا (الأراضي المنخفضة النمساوية). وأظهرت (ماريا تيريزا) حماستها لاقتراح مستشارها (فون كونيتز) للتقرب من البلاط الافرنسي، نظراً لما كانت تحمله من كراهية ضد الملك البروسي (فريدريك الثاني). ونظراً لما صرّح به (فريدريك) وما أظهره من استخفاف تجاهها.

تقدم (الأمير فون كونيتز) بمخططه إلى البلاط الافرنسي. واعتمد فيه على المعطيات التالية

أولاً: ان الملك البروسي (فريدريك) هو المستثمر الوحيد للمنافسة القائمة بين فرنسا والنمسا.

ثانياً: ان امبراطورة روسيا (اليزابيت) والتي أهانها (فريدريك) باطلاقه عليها لقب (رسولة الشيطان) كانت تواقة ومتحمسة لضم بروسيا الشرقية لبلادها.

ثالثاً: يمكن استمالة (ساكسوني) عن طريق وعدها بتقديم (مغدبورغ) لها.

---

(٤٨) الأمير فون كونيتز: (PRINCE VONDE KAUNITZ-VENCESLAS ANTOINE)، رجل دولة نمساوي، برز أيام شارل السادس وماريا تيريزا. وهو من مواليد فيينا (١٧١١ - ١٧٩٤م) وقّع على معاهدة (اكس لاشابيل) سنة ١٧٤٨م. وعيّن بعدها سفيراً للنمسا لدى البلاط الافرنسي أسهم بدور كبير في تحقيق التحالف (الافرنسي - النمساوي) ووجه السياسة النمساوية طوال ثلاثين سنة من خلال دوره كمستشار للملكة (ماريا تيريزا).

رابعاً : يمكن إستمالة (السويد) عن طريق وعدها بمساعدتها لضم إقليم (بومورانيا).

خامساً : تقدم فرنسا دعماً للنمسا مقابل حصولها على (الأراضي المنخفضة النمساوية).

سادساً : يمكن بذلك تكوين تحالف يضم شعوب دول يبلغ عدد أفرادها (٧٠) مليون نسمة مما يساعد على تمزيق بروسيا وشعبها الذي لا يزيد عدد أفراده على (٤,٥) مليون نسمة، وإزالة بروسيا من الوجود.

لقد كان هذا الاقتراح مضاداً للسياسة التقليدية الافرنسية. غير أن (مدام دو بومبادور)[٤٩] والتي كانت تمسك بالسلطة الحقيقية في البلاط الافرنسي، تبنت هذا الاقتراح، وعملت لتحقيقه بكل اندفاع وحماسة. ويذكر هنا أن (فريدريك) كان قد أهان (مدام دو بومبادور) عندما أطلق عليها لقب (الآنسة السمكة) وعندما شهر بأمها التي عرفت بأنها (زوجة سيئة السمعة). ولكن، وقبل الوصول إلى الاتفاق النهائي بين النمسا وفرنسا. خطت انكلترا خطوة كان من شأنها دفع مسيرة الأحداث نحو التسارع، والتعجيل بإظهار الأزمة.

كانت الحكومة الانكليزية مهتمة أعظم الاهتمام بأمن (هانوفر). بقدر ما كانت مشغولة أيضاً بحروب المنافسة الاستعمارية – غير المعلنة – بينها وبين فرنسا. ولهذا عرضت الحكومة الانكليزية على حكومة روسيا القيصرية تقديم مساعدة ضخمة لتأمين (هانوفر) وحمايتها عن طريق قيام روسيا بحشد قواتها وتركيزها على حدودها الغربية.

---

(٤٩) مدام دو بومبادور (MARQUIZE DE POMPADOUR ANTOINETTE POISON) الحظية الأثيرة للملك لويس الخامس عشر. من مواليد باريس (١٧٢١ – ١٧٦٤) مارست نفوذها وهيمنتها على الملك وعلى الحكومة. ولم يكن تأثير تدخلها في شؤون الدولة موفقاً دائماً أو في مصلحة فرنسا في كل الأحوال. وقد أسهمت بدور كبير في زج فرنسا بحرب السبع سنوات. وذلك عندما اقنعت الحكومة بالتوقيع على معاهدتي فرساي (١٧٥٦ و ١٧٥٧) مما أدّى إلى ربط فرنسا بالبلاط النمساوي. وقد اشتهرت مدام دو بومبادور – بحمايتها ورعايتها للأدباء والفنانين والرسامين الذين بادلوها الوفاء في أعمالهم الأدبية والفنية.

ثارت شكوك الملك (فريدريك الثاني) ومخاوفه تجاه التحركات الديبلوماسية في عواصم الدول المجاورة وكان (يخاف روسيا أكثر مما يخاف ربه) على حد تعبيره، وكان يعرف ان ملكة روسيا (اليزابيت) ووزيرها (الكونت بيستوزين ريامين) يحملان شعوراً مريراً ضد بروسيا وملكها. ولهذا فقد توافر له سبب مقنع لاحتمال قيام روسيا بالتحالف مع النمسا للهجوم على بروسيا الشرقية وسيليزيا.

خلال هذه الفترة علم (فريدريك) بأمر المفاوضات التي كان يجريها (الأمير كونيتز) في البلاط الافرنسي. فقرر بدوره التقرب إلى انكلترا، وعرض عليها الضمانات التي تطلبها من أجل سيادة (هانوفر) وأمنها. وقبلت انكلترا العرض، وألغت بالمقابل اتفاقها الذي لم يتم توقيعه مع روسيا القيصرية. وتبع ذلك توقيع معاهدة بين انكلترا وبروسيا – في (ويستمانيستر) – في شهر كانون الثاني – يناير – ١٧٥٦ م ونظراً لما تضمنته نصوص هذه المعاهدة – كمعاهدة دفاعية – فانها لم تنتهك التزامات – فريدريك – تجاه فرنسا، أو تتعارض معها. وعلى كل حال، فقد كان (الملك فريدريك) يدرك تماماً بأنه إذا ما انفجرت الحرب فستكون (هانوفر) في مركز ثقل المخططات الافرنسية ولهذا فإنها ستتعرض بالضرورة للغزو الافرنسي. ولم تلبث فرنسا في شهر أيار (مايو) ١٧٥٦ أن وقعت مع النمسا معاهدة دفاعية بهدف اضعاف تأثير المعاهدة الانكليزية – البروسية (وهي المعاهدة المعروفة باسم – معاهدة فرساي الأولى) ومع قدوم فصل الصيف، كانت أوروبا مقسمة إلى معسكرين متضادين تقف فيهما انكلترا وبروسيا في معسكر واحد ويقف مقابلهما المعسكر الافرنسي – النمساوي والذي تدعمه روسيا والسويد وسكسونيا. لقد كان نجاح (الأمير كونيتز) في تنفيذ مخططه نصراً كبيراً للنمسا، غير انه كان كارثة مقنعة ومموهة بالنسبة لفرنسا. فقد أظهرت حروب الوراثة النمساوية – وحرب السبع سنوات بصورة خاصة والتي يطلق عليها في كثير من الأحيان إسم الحرب السيليزية الثالثة – مدى الضعف الذي كانت عليه المستعمرات الافرنسية في اوهيو والهند حيث كانت المنافسة – أو الحرب غير المعلنة – تتطور باستمرار فيما بين فرنسا وانكلترا. حتى قيل في حينها بأن اندلاع حرب جديدة في أوروبا سيؤدي إلى ظهور احتمال كبير بتجريد فرنسا من معظم مستعمراتها فيما وراء البحار، علاوة على ان مثل هذه الحرب لن تقدم لفرنسا أي دعم، وانها أي فرنسا لن تكون أكثر من طرف تابع. وهذا ما حدث في الواقع.

علم (فريدريك) عن طريق جواسيسه بأن قيصرة روسيا (اليزابيت)[٥٠] قد أخذت في الالحاح على ملكة النمسا (ماريا تيريزا) بالاسراع في إنهاء استعداداتها العسكرية للحرب. ورأى انه من الخطر انتظار (ماريا تيريزا) حتى تنهي استعداداتها، فقرر أن يسبقها بتوجيه ضربته. وعبر عن قراره هذا فيما كتبه: «ليس من المهم بعد ذلك كله أن يطلق علي أعدائي إسم المعتدي، لا سيما وقد توحدت أوروبا كلها ضدي».

كان الموقع الجغرافي لبروسيا يساعد (فريدريك) على العمل على (الخطوط الداخلية). وقد ظهرت أهمية هذا العامل الضخم بسبب عدم وجود حدود يمكن لبروسيا الدفاع عنها تجاه حلف قوي يتفوق عليها بالقوى بمعدل ثلاثة إلى واحد. فإلى الجنوب كان هناك الجيش النمساوي الذي سينضم إلى الجيش الساكسوني على مسافة لا تبعد أكثر من أربعين ميلاً عن برلين. وفي الشمال، كانت السويد التي تستطيع حشد قواتها في (سترالساند) لتكون على بعد (١٣٠) ميلاً من برلين. أما في الشرق، فإن القوات الروسية ستصبح على مسافة (٥٠) ميلاً من برلين وذلك بمجرد عبورها نهر الأودر. وفي الغرب، تصبح القوات الافرنسية على بعد (١٠٠) ميل من برلين وذلك بمجرد عبورها الحدود البروسية عند (هال). ولكن بقي شرط واحد يمكن استخدامه لانقاذ بروسيا، وهو ان هذه الجيوش جميعها لم تكن على درجة واحدة من الاستعداد لخوض الحرب. فالنمسا لم تنضم بعد إلى ساكسونيا، وروسيا لا زالت بعيدة عن غرب بولونيا في المناطق المحرومة من الطرق. ولا زالت قوات السويد في البلطيق وقوات فرنسا في الراين.

طلب (فريدريك) إلى النمسا في شهر تموز (يوليو) أن تقدم ضماناً بعدم استخدام الوحدات النمساوية المحتشدة في (بوهيميا) ضد (بروسيا). وجاءته الإجابة غامضة وهروبية، ولم يعد باستطاعته الانتظار. فوجه قوة من (١١) ألف مقاتل لمراقبة السويد. ووجه قوة أخرى من (٢٦) ألف مقاتل لمراقبة روسيا، وترك قوة من (٣٧) ألف مقاتل للدفاع عن (سيليزيا). وقاد بنفسه قوة من (٧٠) ألف مقاتل، فباغت ساكسونيا بالهجوم يوم (٢٩) آب (أغسطس) ١٧٥٦ م، وبدون أن يعلن عليها

---

(٥٠) (اليزابيت بتروفنا: ELISABETH PETROVNA) ابنة بطرس الكبير. من مواليد (كولومنسكو) (١٧٠٩ – ١٧٦٢) وقد أصبحت امبراطورة لروسيا اعتباراً من سنة ١٧٤١ م.

الحرب، وتمكن من احتلال (دريسدن) يوم (١٠) أيلول (سبتمبر). ثم ألقى الحصار على (بيرنا)[٥١] ولم يلبث ان التقى بالجيش النمساوي قرب (لوبوسيتز) وألحق به الهزيمة في شهر تشرين الأول (اكتوبر).

(أ) عمليات الربيع (١٧٥٧):

أدى غزو (فريدريك) لاقليم (ساكسوني) إلى انفجار عاطفي عنيف، وإلى هيجان كبير في مجلس (الدييت الامبراطوري النمساوي) الذي اعتقد بأن (فريدريك) يعمل من أجل السيطرة ووضع النمسا تحت رحمته. وثارت المقاومة داخل المانيا - بروسيا - ذاتها بسبب مخاوف الامراء من تعاظم سيطرة (فريدريك) وزاد الأمر سوءاً عندما قررت الدول المتحالفة ضد بروسيا، زج قوة (٥٠٠) ألف مقاتل في ميدان المعركة لسحق (المعتدي البروسي).

انتظر (فريدريك) حتى مضى فصل الشتاء، وزالت الثلوج من على الطرق والدروب. فتقدم نحو (براغ). وعندما وصلها اصطدم بالجيش النمساوي يوم ٦ أيار (مايو) ١٧٥٧، وألحق به هزيمة منكرة، ثم حاصر (براغ) وتابع تقدمه نحو الجنوب، فاصطدم بالقرب من (كولن) بجيش نمساوي يعمل تحت قيادة (المارشال دون) ويعادل ضعف قوة الجيش البروسي. ووقعت معركة يوم (١٨) حزيران (يونيو) انتهت بهزيمة الجيش البروسي، وخسارته (١٣) ألف مقاتل من أصل قوته التي كانت تضم قبل المعركة (٣٣) ألف مقاتل. ووجد (فريدريك) نفسه مرغماً على رفع الحصار عن (براغ) والانسحاب بجيشه إلى (ساكسوني).

جاء هذا النصر الذي أحرزه (دون) ليشجع قيادة الحلفاء على اتخاذ موقف حاسم، فتقرر حصار (فريدريك) بحلقة من النيران، وتم وضع المخطط على النحو التالي: يتولى الأمير (جوزيف-أمير الساكس هيلدبورغهوزن) قيادة جيش الرايخ المكون من (٣٣) ألف مقاتل، ويتحد مع جيش (الماريشال سوبيز)[٥٢] الذي يضم

---

(٥١) بيرنا: (PIRNA). مدينة ألمانية في اقليم ساكسونيا. تقع على (نهر البا) وانتصر فيها فريدريك الثاني على الساكسون والنمساويين مرتين (في سنة ١٧٤٥ وفي سنة ١٧٥٦).

(٥٢) سوبيز: (PRINCE DE SOUBISE-CHARLES DE ROHAN) ماريشال فرنسا من مواليد باريس (١٧١٥ - ١٧٨٧ م) عرف باستقامته وأناقته. وكفاءته القيادية المتوسطة. انتصر عليه فريدريك في معركة (روزباك).

(٣٠) ألف مقاتل للعمل من أجل استرجاع ساكسونيا. وفي الوقت ذاته يتحرك (الماريشال ايستريه) ومعه الدوق (ريشيليو) بقوة (١٠٠) ألف مقاتل، للتوجه إلى (هانوفر) ومحاربة (الدوق كمبرلند). أما القوات الروسية التي استولت على (ميمل) فتنطلق لغزو بروسيا بقوة (١٧) ألف مقاتل. في حين تنطلق قوة سويدية مكونة من (١٧) ألف مقاتل أيضاً بقيادة (بارون انغرن ستيرنبورغ) للانقضاض على (بوميرانيا) - ويبقى على القوات النمساوية المكونة من (١٠٠) ألف مقاتل أن تنطلق بقيادة (شارل أمير اللورين) ومعه (المشير دون) للعمل ضد جيش (فريدريك) في (كولن) وبذلك تكون القوة التي حشدت لتدمير (فريدريك) قد بلغت (٣٩٠) ألف مقاتل تقريباً. وفي هذا الوقت كان (فريدريك) ينسحب بجيشه من أمام (الماريشال دون) وليس معه أكثر من (٢٥) ألف مقاتل، ثم ليسير بهم مسافة (١٧٠) ميلاً حتى إذا ما وصل إلى (ايرفورت) وجد أن قوات (سوبيز) قد أخذت تتهدده.

وقع ملك فرنسا لويس الخامس عشر مع الملكة (ماريا تيريزا) معاهدة فرساي الثانية في الأول من أيار (مايو) ١٧٥٧، وهي المعاهدة التي تعهدت فيها فرنسا بتقديم مساعدة للنمسا بمعدل (٣٠) مليون ليرة افرنسية من أجل استخدامها في دعم روسيا ومساعدتها. وفي شهر حزيران (يونيو) بدأ (الماريشال ايستريه) تحركه حتى وصل (هانوفر) واصطدمت قواته بقوات (دوق كمبرلند) يوم ٢٦ حزيران (يونيو). وأصدر القائدان أوامرهما إلى قواتهما بالتراجع. غير أن وحدة فرنسية صغيرة تدخلت بدون اذن لها، فتجدد القتال الذي أدى إلى هزيمة القوات الانكليزية والهانوفرية في (هاستنبيك) قرب (هاملن). وعلى أثر ذلك تم استبدال (الماريشال ايستريه) بالدوق (ريشيليو) الذي وقع مع (الدوق كمبرلند) اتفاقية فخرية في (كلوسترسيفن)[٥٣] تقضي بانسحاب القوات الانكليزية والهانوفرية، وعودتها إلى انكلترا. غير أن الحكومتين الانكليزية والافرنسية رفضتا بعد أسابيع قليلة الاعتراف بهذه الاتفاقية. وكان على (ريشيليو) بعد ذلك الانضمام إلى (سوبيز) بقواته، غير ان القوات الافرنسية، لم تتمكن من تغيير عاداتها التقليدية، فمضت تنهب الأقاليم وتستبيحها. واستمرت في تقدمها وهي تناوب بين المسير وأعمال السلب. ومضى (سوبيز) إلى (مغدبورغ) القاعدة الصناعية البروسية الهامة، والتي اعتزم أن ينطلق منها إلى (برلين).

---

(٥٣) كلوستر سيفن: (CLOSTERSEVEN) وبالألمانية (KLOSTERZEVEN) قرية في (هانوفر).

كانت القوات الروسية في هذا الوقت ذاته تتقدم نحو قلب بروسيا وترتكب في طريقها أبشع الجرائم البربرية التي لم يسمع بها أحد من قبل. والتي حفظت بعض المصادر التاريخية صورة مصغرة عنها من خلال النص التالي : «**كانت القوات الروسية تشنق السكان الأبرياء على الأشجار ويبقرون بطونهم. ويمزقون أجسادهم. ويستخرجون قلوبهم وأحشاءهم. ويجدعون أنوفهم ويصلمون آذانهم. ويكسرون عظام أقدامهم. ويشعلون النيران بالقرى والأكواخ. ويشكلون حلقة حول البيوت المحترقة ليقذفوا بالنار كل من يحاول الفرار من سكان هذه البيوت. وقد أثارت قسوتهم الوحشية بصورة خاصة النبلاء ورجال الدين. فعمل الجنود الروس على شد وثاق هؤلاء وربطوهم بذيول خيولهم وانطلقوا لسحلهم موجة بعد موجة. أو تجريدهم من كل ثيابهم. ودفعهم إلى ألسنة اللهب المحتدمة. وقد وصل انتقامهم المجرد من كل شعور إنساني إلى درجة ممارسة الأساليب الوحشية ضد الأموات. فكانوا يفتحون القبور، ويقذفون البقايا مما يجدونه فيها ليتناثر في كل مكان فوق سطح الأرض**»[٥٤] .

كان لا بد للملك (فريدريك) من بذل محاولة لإيقاف هذا الخطر، فأمر المشير (لوهوالدت) بقيادة (٢٥) ألف مقاتل للهجوم على (٤٠) ألفاً من القوات الروسية في (غروس جاغندورف) ووقعت المعركة يوم (٣٠) آب (اغسطس)، وانتصرت القوات الروسية، ولم يبق أمامها أي عائق للزحف على (برلين) غير أن هذه القوات توقفت بسبب النقص في المواد التموينية. وبلغ موقف (فريدريك) في شهر تشرين الأول (حالة اليأس) حتى خيل له بأنه خسر الحرب، ولم يبق هناك مجال لتصحيح مواقفه.

ولكن وعلى الرغم من ذلك، ومع إدراكه التام للفرص النادرة المتوافرة أمامه، فإنه لم يتمكن من الوقوف جامداً وقرر التحرك من جديد ضد فرنسا. فترك قوة من (٤١) ألف مقاتل في (لوزاتيا) بقيادة (الدوق بيفيرن) وأسند إليها مهمة مجابهة جيش (شارل – أمير اللورين) الذي كان يضم (١١٢) ألف مقاتل. وانطلق في يوم (٢٥) آب – اغسطس – إلى (دريسدن) لجمع جيشه. ومن (دريسدن) سار إلى

---

(٥٤) المرجع :

FREDERICK THE GREAT: (HIS COURT AND TIME EDITED BY THOMAS CAMPBELL) . VOL. III P. 102.

(ايرفورت)[٥٥] حيث وصلها يوم (١٣) أيلول - سبتمبر - حيث كان (سوبيز) ينسحب إلى (ايزناك). وهنا قدم (فريدريك) رشوة إلى (دوق ريشيليو) قدرها (١٠٠) ألف تالر، حتى يبقى سلبياً. فأخذ (دوق ريشيليو) الرشوة وانسحب في اثر (سوبيز) وتم الجلاء عن (غوثا). وترك (فريدريك) قوة بقيادة الجنرال (سيدليتز) لمراقبته. وفي ١٩ أيلول (سبتمبر) حاول (سوبيز) ومعه (هيلدبورغهوزن) التقدم من (غوثا) فاصطدما بقوة (سيدليتز) فاضطرا إلى الانسحاب بقواتهما على عجل[٥٦].

لم يتمكن (الدوق بيفيرن) من الصمود في وجه قوات (شارل أمير اللورين) واضطر إلى الانسحاب إلى (براسلاو). وفي الوقت ذاته، كان (الكونت هاديك) يتقدم نحو برلين بقوة (٣٥٠٠) جندي نمساوي. ونجح (هاديك) بالوصول إلى (برلين) فدخلها يوم (١٦) تشرين الأول (اكتوبر) وفرض على عاصمة (فريدريك) غرامة قدرها (٣٠٠) ألف تالر مقابل انسحابه. وعندما علم (فريدريك) باغارة (هاديك) ترك قوة من (٧) آلاف مقاتل تحت قيادة (المارشال كيث) من أجل حماية (براسلاو) والدفاع عنها، ومضى لانقاذ عاصمته، غير أنه علم في (٢٠) تشرين الأول (اكتوبر) بأن تحركه قد جاء متأخراً جداً، وأن الوقت قد فاته، فقرر العودة. وأثناء غيابه (كان (سوبيز) الذي تلقى دعماً مكوناً من (١٥) ألف رجل بقيادة المارشال (دوبروغلي) قد بدأ بغزو (ساكسوني) واجتياحها، ووصل يوم ٢٧ تشرين الأول (اكتوبر) إلى (فيسينفل) حيث يسيطر منها على (كيث) و(ليبزيغ).

---

(٥٥) ايرفورت : (ERFURT) مدينة ألمانية في (تورينج : THURINGE) على نهر جيرا (GERA) وفيها التقى نابليون بقيصر روسيا سنة ١٨٠٨ بحضور عدد من ملوك أوروبا وأمرائها. وأعقب ذلك توقيع معاهدة لمصلحة فرنسا.

(٥٦) كان الجيش الافرنسي في هذه الفترة يمر بحالة مزرية من فقد الانضباط. ويمكن قياس ذلك من خلال الأسلاب والغنائم التي سرقها، والتي خلفها وراءه أثناء انسحابه العاجل. حيث ضمت هذه الأسلاب : أضمدة وروائح عطرية ومساحيق نسائية وشعوراً نسائية مستعارة وحقائب نسائية ومظلات وببغاوات في الأقفاص : في حين كانت جمهرة من المطربين والطبالين والمزمرين وماسحي الأحذية والحلاقين والطباخين والمهرجين والبغايا. تتابع مسيرة الجيش وتسير معه إلى (ايزناك) - المرجع - فريدريك العظيم - بلاطه وعصره - (نشر توماس كامبل - جزء ٣ - ص١٠٩).

وقد طلب (سوبيز) من البلدين (كيث وليبزيغ) الاستسلام. غير أن طلبه هذا قوبل بالرفض الصريح.

مر (فريدريك) في طريق عودته على (كيث) وضم حاميتها إلى قوته، فأصبح جيشه يضم (٢٢) ألف مقاتل تقريباً. وهنا علم بتراجع (سوبيز) واتجاهه نحو (نهر سال).

(ب) معركة روزباك — ٥ تشرين الثاني — نوفمبر ١٧٥٧ م:

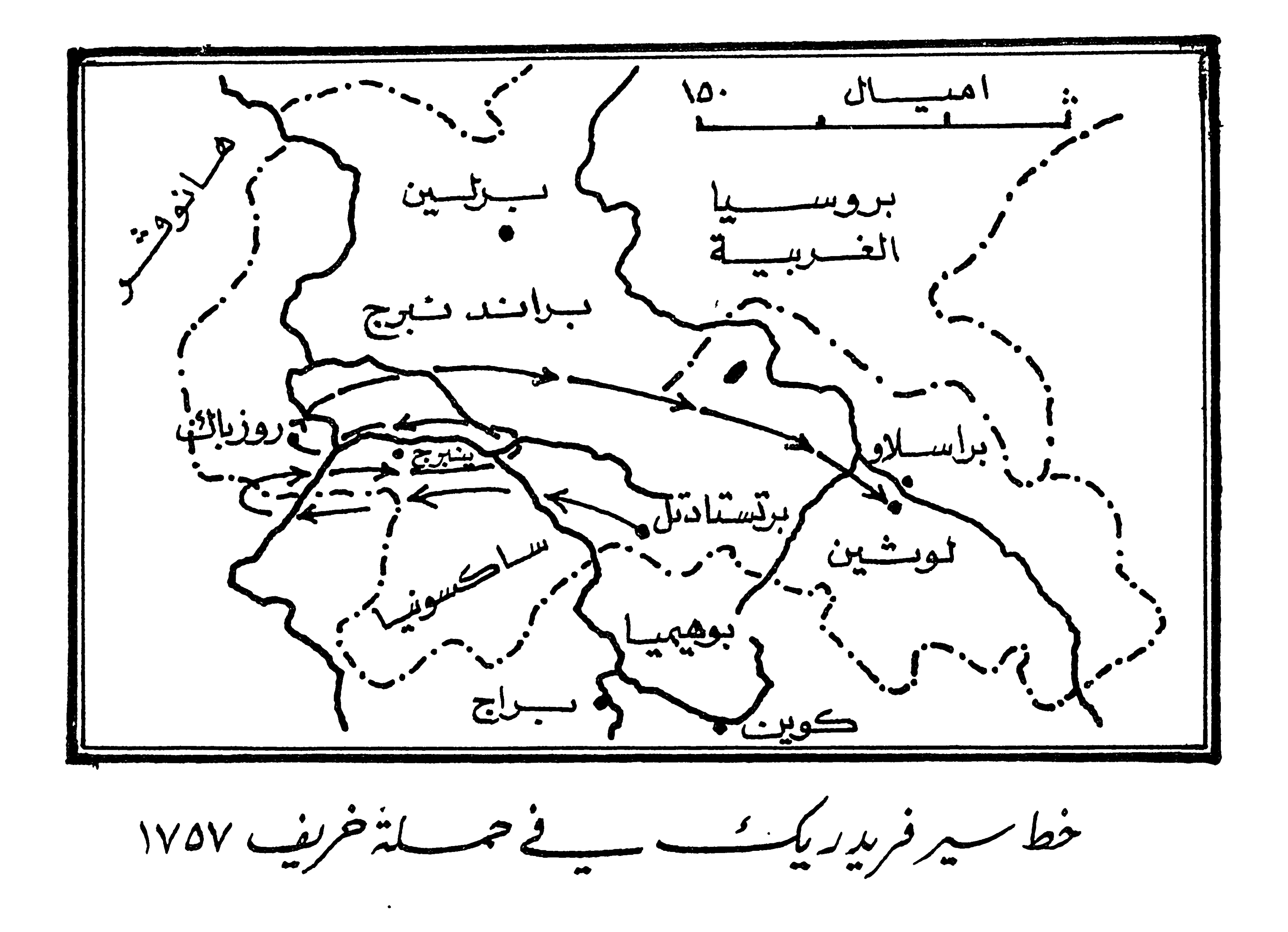
غادر (فريدريك) مدينة (ليبزيغ) يوم ٣٠ تشرين الأول — اكتوبر — ١٧٥٧. ووصل إلى (ويسنفل)[٥٧] في اليوم التالي، وهاجم على الفور المراكز المتقدمة للقوات الافرنسية، غير أنه وجد أن الجسر القائم على نهر (سال) قد دمر. كما وجد (كيث) بأن الجسرين في (ميرسبورغ) و(هال) قد دمرا أيضاً. ووقف (فريدريك) ليجابه موقفاً خطراً، وهنا ارتكب (سوبيز) حماقة جنونية، فقد أخذ في الابتعاد عن نهر (سال)[٥٨] والانسحاب إلى (موشلن). فأصلح الجنود البروسيون الجسور الثلاثة بسرعة. وعبر (فريدريك) وقواته النهر يوم ٣ تشرين الثاني (نوفمبر) وأقام معسكره في (بروسدورف) بالقرب من (موشلن). ودفع على الفور قوة من (١٥٠٠) فارس بقيادة (سيدليتز) وذلك بهدف الاغارة على معسكر الاعداء. واتخذ قراره بالهجوم — بالقوة — في اليوم التالي. غير أن الاغارة المباغتة التي قام بها (سيدليتز) أقنعت (سوبيز) بضرورة التحرك أثناء الليل، لاحتلال مواقع أكثر أمناً. ووجد (فريدريك) أن المواقع التي احتلها خصمه (سوبيز) كانت قوية جداً بحيث يصعب مهاجمته، فقرر الانتقال في يوم (٤) تشرين الثاني (نوفمبر) إلى (روزباك)[٥٩].

---

(٥٧) ويسنفل: (WEISSENFELS) مدينة ألمانية في مقاطعة (ساكس آنهالت).

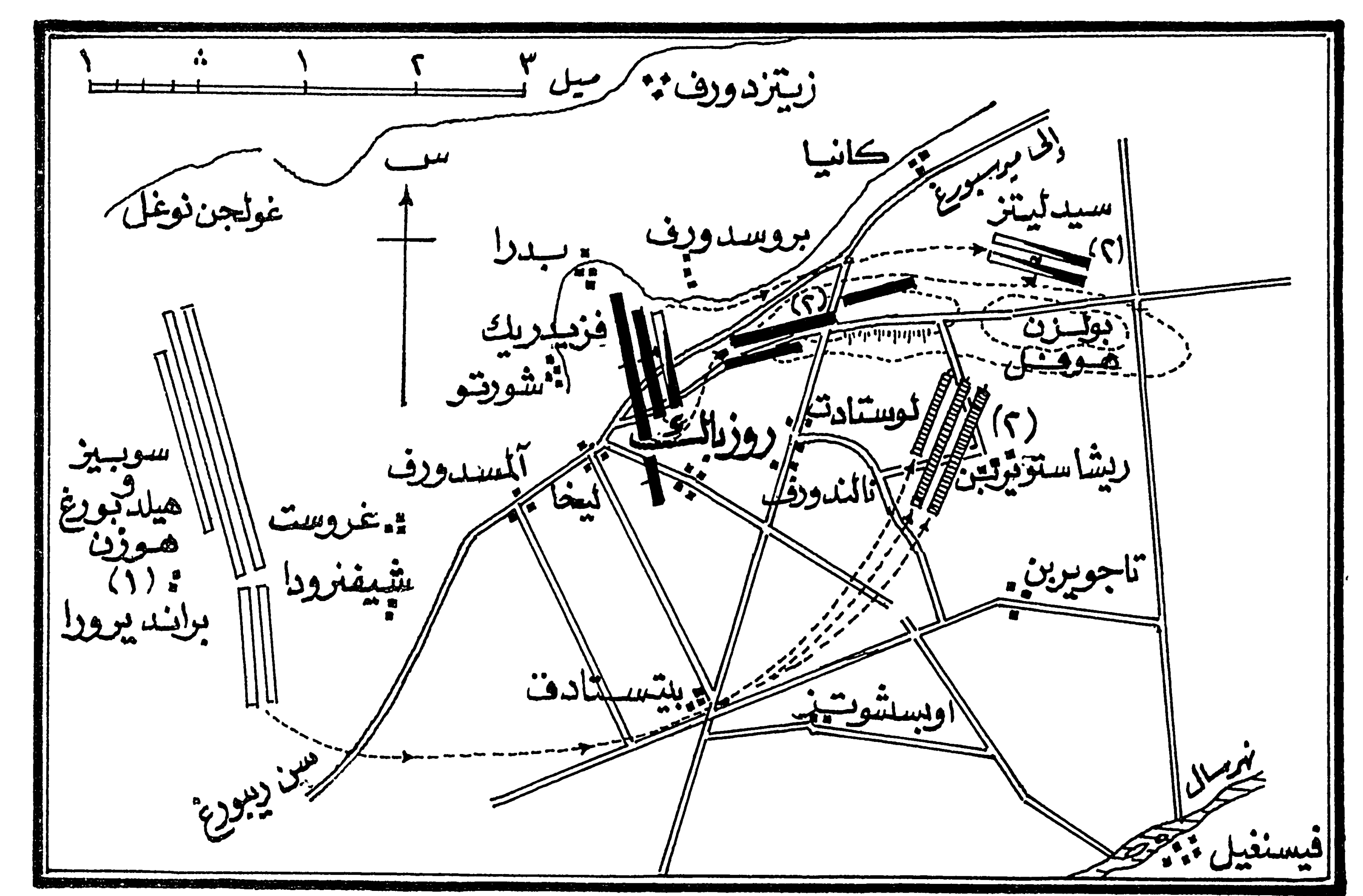
(٥٨) سال: (LA SAALE) نهر ألماني، يرفد نهر (البا ELBE) ويمر بينا (IENA) والهال (HALLE) وطوله ٤٢٧ كيلومتراً.

(٥٩) روزباك: (ROSSBACH) قرية من قرى (الساكس).



خط سير فريدريك في حملة خريف ١٧٥٧

معركة روزباك ١٧٥٧



أثار جبن (سوبيز) سخط ضباطه وأهاج نقمتهم ، وكان من بينهم (بيير دو بورسيه) الذي اكتسب شهرة واسعة في الحملات التي حدثت خلال الفترة من (١٧٤٤ حتى ١٧٤٧) وبصورة خاصة في معارك (كوتيان) و (الألب البحرية – مارتيم). وقد تأكد (بيير دو بروسيه) من الموقف الضعيف الذي يتعرض له (فريدريك) فاقترح على (سوبيز) القيام بعملية إلتفاف (استدارة) من حول الجناح الأيسر لقوات (فريدريك) والامساك بخطوط انسحابه وتراجعه. ولما كان (سوبيز) و (هيلدبورغ هوزن) معجبين بتفوق قواتهما ، ومزهوين بأنهما يمتلكان من القوة ضعف ما كان يمتلكه (فريدريك) فقد قررا مهاجمته في اليوم التالي صباحاً ، وبذلك تنتهي إلحملة ، لا سيما وان التعب الذي أصاب جنودهما قد جعل من الصعب على هؤلاء بذل المزيد من الجهد.

انتهت مهمة (سوبيز) عند حدود اتخاذ القرار لمهاجمة (فريدريك). ولم يتخذ أي إجراء لتنفيذ مناورة (بورسيه) حتى صباح يوم (٥) تشرين الثاني (نوفمبر). وكان (سوبيز) ومعه بعض وحدات الحلفاء يبحثون عن العلف لخيولهم ودوابهم عندما وصلت إلى (سوبيز) من (هيلدبورغ هوزن) الرسالة التالية : «يجب عدم إضاعة لحظة واحدة ، والقيام بالهجوم على العدو فوراً. إذ من الواضح بأن مناورته نهار الأمس لا تهدف إلى مهاجمتنا. وإنما تهدف إلى قطع خطوط مواصلاتنا مع (فريبورغ). ولهذا فإنني أقترح التقدم بقواتنا حتى مرتفعات (شيفنرودا) والهجوم على العدو من جناحه». غير أن (سوبيز) لم يكن قد أنهى استعداداته بعد. وكان الميدان الذي ستقع المعركة فوق أرضه بعد قليل يتشكل من سهل فسيح محروم من الأشجار والحواجز. وكانت (روزباك) تحتل مرتفعاً بسيطاً يمكن منه رؤية معسكر الحلفاء بوضوح تام. وكانت هناك مجموعة من الجداول والسواقي تمزق سطح السهل ما بين (روزباك) و (بولزن) و (جانوس). وكانت التلال حساسة تجاه حركة ارتال الخيول ، بسبب رداءة الدروب والممرات عبر التربة الطينية الرملية. غير ان التلال ذاتها كانت مثيرة للسائحين وعشاق الطبيعة ، إذ أنها كانت تضم سهولاً مسطحة من النادر جداً العثور على مثلها. وكان نهر (السال) يمر إلى الجنوب من (روزباك) فيروي السهل وقرية (فيسينفل) الصغيرة والتي تبتعد مسافة أميال قليلة عن (روزباك) وإلى الجنوب الشرقي منها. (انظر مخطط المعركة). عندما تلقى (سوبيز) رسالة (هيلدبورغ هوزن) أرسل مفرزة من الفرسان الافرنسيين بقيادة (الكونت سان جورج) للوصول إلى

(غروست) التي تقع على بعد ثلاثة أميال إلى الغرب من (روزباك) وذلك لمراقبة معسكر فريدريك ومتابعة تحركاته، والعمل في الوقت ذاته على حماية الجناح الأيسر للقوات الحليفة أثناء تحركها. وأصدر (سوبيز) أوامره إلى جنوده في الساعة (١١٠٠) من أجل تقويض المخيم (المعسكر). وتم تشكيل المقدمة من قوات الفرسان النمساوية والحليفة لها، على أن يتبع تحركها جند المشاة من الافرنسيين والنمساويين، وتعمل قوة الفرسان الافرنسيين على حماية مؤخرة القوات المتحركة. وتوقفت قوة حرس المقدمة عندما وصلت إلى (بيتستادت) حيث انضم إليها الفرسان الافرنسيون. وعقد القادة (الجنرالات) مؤتمراً لمناقشة الموقف. ثم تابعت القوات تحركها بعد ان انحرفت قليلاً نحو اليسار (الشمال) لتأخذ اتجاه (ريشا ستويربن). وكانت سرعة المسير بطيئة جداً. وقد حشد (سوبيز) كل ما لديه من موسيقيين للعزف أمام القوات. فكانت أصوات قرعات الطبول وزمير الأبواق يثير البهجة في النفوس، كما لو كانت هذه القوات قد أحرزت النصر.

كان فريدريك يقف متحفزاً وهو يتابع هذه التحركات المختلفة من مركز قيادته (سرادقه) فوق مرتفع (هيرنهاوس) في (روزباك)، وقد أقام في مركز قيادته هذا النقيب (جودي). وأرسل مجموعة من دوريات الاستطلاع التي وصلت إلى معسكر الافرنسيين فوجدته فارغاً بعد أن غادرته القوات. وعلم (فريدريك) من الفلاحين بأن (سوبيز) قد سلك وقواته الطريق المؤدي إلى (بولزن هوفل) غير أن (فريدريك) لم يعرف بعد – بصورة ثابتة وأكيدة – فيما إذا كان هدف (سوبيز) هو الوصول إلى (فريبورغ) نظراً لحاجة قواته للإمدادات والتموين. أو أنه يعتزم السير إلى (بولزن هوفل) وهو احتمال مستبعد نظراً لأن الجسر فيها لا زال مدمراً. أو لعله يريد السير إلى (ميرسبورغ) بهدف عزل القوات البروسية ومنعها من الوصول إلى (نهر سال). وبقي (فريدريك) حائراً أمام هذه الاحتمالات الثلاثة.

كان (الملك فريدريك) يتناول طعام الغداء في الساعة (١٤٠٠) عندما اقتحم عليه غرفته النقيب (جودي) وتقدم إليه بخطوات مسرعة ليعلمه بأن قوات العدو وصلت إلى (لوستادت) وانها أخذت في الانحراف في اتجاه الجناح الأيسر للقوات البروسية. وصعد (فريدريك) إلى سرادقه – مركز قيادته – وألقى نظرة سريعة تأكد فيها من أن العدو يعتزم الهجوم على جناحه ومؤخرته لإبعاده عن خطوط مواصلاته

وعزله عنها. ولم يلبث أن أصدر أوامره في الساعة(١٤٣٠) والتي تم تنفيذها بسرعة مذهلة حملت قائداً افرنسياً على القول: «لقد تغير المشهد كما لو كان مشهداً في الأوبرا». وفي الساعة (١٥٠٠) كان معسكر القوات البروسية قد تقوض، وحملت الخيام، وانتقلت القوات إلى مواقعها الجديدة. وبينما كانت القوات تنفذ هذه العمليات. انطلق الجنرال (سيدليتز) – وعمره لا يتجاوز الثالثة والثلاثين عاماً – وهو يتقدم (٣٨) كوكبة من الفرسان، ويقودهم بسرعة – خبباً – فيغادر (روزباك) كالعاصفة، وكان محور تحركه مستوراً عن أنظار العدو – باستثناء بعض مفارز المراقبة التي كانت تقف بعيداً على يمين محور تحرك قوات (سيدليتز) ووصل في تقدمه إلى مرتفعات (جانوس) و(بولزن). وتبعته قوات المشاة البروسية ومعها بطارية مدفعية ثقيلة تضم (١٨) مدفعاً. ووصل (فريدريك) مع المؤخرة، فأمر قواته باحتلال مواقعها على مرتفعات (جانوس) بين يسار المشاة وأيمن قوات (سيدليتز) من الفرسان. وترك في (روزباك) قوة من (٧) كوكبات بهدف مراقبة (سان جرمان).

لم يدرك (سوبيز) سبب هذه التحركات السريعة التي كانت تجري أمامه، وظن أن القوات البروسية قد شرعت بالانسحاب التام. ولهذا أصدر أوامره إلى وحدات الحراسة المتقدمة بالإسراع لاحتلال تلال (جانوس). ولم تحدد هذه الأوامر التي صدرت بصورة معجلة المكان الذي يجب على القوات أن تنتقل فيه لتشكيل القتال أو توقيت ذلك، كما لم يحدد أيضاً مكاناً مناسباً يضع فيه الجنود حقائبهم وتجهيزاتهم الخاصة للتخفيف عنهم قبل الاشتباك. وهكذا تحركت قوات المشاة على شكل ثلاثة أرتال طويلة تتقدمها كتائب الافرنسيين والبيمونتيين ومقاتلي (مايي).

وكانت هناك كتيبتان من الفرسان الثقيلة – من النمساويين والافرنسيين – تسيران على أجنحة الأرتال المتحركة وعلى جبهة الرتل الأيمن. وتركت عشر كوكبات من الفرسان الافرنسيين في الاحتياط. ولم تدفع هذه القوات أمامها مفارز الاستطلاع أو عناصر أمن متقدمة، فكانت هذه الأرتال تسير كالعمياء. أما تغطية الجناح الأيسر لهذه الأرتال فقد القيت على عاتق (١٢) كوكبة من الفرسان الافرنسيين.

لقد تغيرت الآن صورة الموقف التعبوي – التكتيكي –. لقد كان (سوبيز) و(هيلدبورغ هوزن) يعتقدان انهما سيقلبان نظام (فريدريك) المائل ضده وذلك بالهجوم عليه من جناحه. وكانت ذريعتهما في ذلك هي ان (فريدريك) قد أضاع

المبادأة ، وأن قواتهما تتفوق عددياً بدرجة كافية وانه لم يبق عليهما إلا السير للالتفاف من حول مجنبته اليسرى ومهاجمته ، ويصبح النصر مضموناً لقواتهما. **فماذا حدث من تغير حقيقي على أرض المعركة ؟**

لم يدرك (سوبيز) و (هيلدبورغ هوزن) أن جناح قواتهما هو الذي أصبح معرضاً للهجوم في الساعة (١٥٣٠) – حيث كانت أرتال قواتهما تتحرك بصورة عمودية في اتجاه مواقع (فريدريك) الذي أصبح باستطاعته ضرب قوات أعدائه من أجنحتها. وزاد الموقف سوءاً اعتقاد (سوبيز) و (هيلدبورغ هوزن) أن القوات البروسية لا زالت تنسحب بأقصى سرعتها ، الأمر الذي دفع (سوبيز) إلى دفع قوته الاحتياطية من الفرسان ونقلها إلى المقدمة لتعمل تحت قيادة (دوبروغلي)[٦٠] . ونتيجة لذلك ، تزايد حجم الهدف المقابل للقوات البروسية. وفي هذا الوقت ذاته كان (سيدليتز) يختفي وراء مرتفعات (بولزن) ومعه قوة مكونة من (٤) آلاف فارس ، وهو يراقب ، التحرك البطيء لرؤوس أرتال قوات الحلفاء وهي تقترب منه. وعندما ضاقت المسافة الفاصلة بين قواته وقوات الحلفاء ، قاد فرسانه بسرعة الهيدبا ، وبدون أن ينتظر أوامر مليكه (فريدريك). ولم تمض أكثر من دقائق قليلة حتى أعطى (فريدريك) شارة بدء الهجوم – وهي قذف غليونه في الهواء – وحاول الفرسان الافرنسيون عندها تنظيم صفوفهم ، غير ان قوة الفرسان البروسيين بكاملها كانت قد تقدمت بسرعة مذهلة وصدمت فرسان الحلفاء بقوة كقوة الاصطدام بجدار صلد. وتعرض الجناح الأيمن – للفرسان النمساويين – أول ما تعرض للصدمة. فلم يتمكن هؤلاء من الانتقال من تشكيل الرتل إلى تشكيل المعركة ، ولم يتمكنوا من زج أكثر من ثلاث أو أربع كوكبات في المعركة. ولم يكن الموقف على الجناح الأيسر بأفضل مما كان عليه على الجناح الأيمن. فقد انقض الفرسان البروسيون بسرعة البرق. وأخذوا في دفع كتلة القوات التي لم تتمكن من الانتشار. ووجهوها نحو فريبورغ. وفي هذه الأثناء ، كان (سيدليتز) قد أعاد تنظيم قواته ، وابتعد بها إلى ما وراء (تاجويربن).

عندما تم تنفيذ ذلك فتحت المدفعية البروسية نيرانها من مرابضها في تلال

---

(٦٠) دوبروغلي : (LE MARECHAL VICTOR FRANÇOIS DE BROGLIE) من عائلة أبرزت عدداً من القادة والعلماء والوزراء وهي عائلة من بييمونت في أصلها. وقد عاش (١٧١٨ – ١٨١٤) وبرز في حربه هذه.

جانوس، لتدمر قوات مشاة الحلفاء التي لا زالت تنتظم بالأرتال وتسير على الطرق. وقاد (الأمير البروسي هنري) سبعة أفواج من المشاة، وتقدم بها تحت حماية المدفعية، بهدف تكثيف الضربة، ودعم هجوم الفرسان على كتائب العدو المتقدمة. وكان هذا الهجوم حاسماً في تطوير المعركة. فكانت نيران المدفعية تدمر ما تستطيعه، وتترك لقوة المشاة هذه الفرصة لتدمر بنيرانها المحكمة والدقيقة من لم تدمره المدفعية.

وبدأت القوات الحليفة بالتراجع وهي في حالة من الاضطراب والفوضى، في محاولة لتجد لها ملجأ عند كتائب الدعم. ووجد مشاة الحلفاء انه من المحال عليهم الانتشار في تشكيل القتال. وهنا أمسك (سيدليتز) بالفرصة، فانطلق من (تاجويربن) ليصدم مشاة الحلفاء صدمة أرعبتهم وأفقدتهم صوابهم، وأخذ (سيدليتز) في دفع مؤخرات الحلفاء وتوجيهها نحو الطريق عبر ميدان المعركة حيث كانت المدفعية البروسية تنتظر وصول موجات القوات المعادية لتدمرها. وهذا ما دفع أحد قادة الحلفاء إلى القول: «ان بالإمكان القول بثقة تامة بأن سبب نجاح البروسيين في هذا اليوم هو اعتمادهم على المدفعية واستخدامها بفاعلية، بحيث انها لم تترك لمشاة الحلفاء الفرصة لاتخاذ تشكيل القتال أو التقدم. ولولا المدفعية لما كانت هزيمة الحلفاء كاملة، ولكان نجاح الفرسان البروسيين أقل روعة مما ظهر في المعركة».

تقرر مصير المعركة في الساعة (١٦٣٠). وكان الجناح الأيمن لقوات (فريدريك) قد وصل إلى (لوستادت) في حين كان جناحه الأيسر قد بلغ (ريشا ستويربن). وكانت القوات البروسية تتابع تقدمها ومدفعيتها تسير مع عرباتها على الأجنحة وهي مجمعة. ولم تكن هناك مقاومة تذكر أمام زحف القوات البروسية، فقد تحول تراجع قوات الحلفاء إلى هزيمة منكرة، وانتشر جنود الحلفاء على مسافة أربعين ميلاً حول ميدان المعركة وهم ينهبون ويقتلون ويغتصبون النساء ويسرقون ويرتكبون كل أنواع الجرائم. وأكد الجنود الافرنسيون مرة أخرى خلال هذه الحملة ضعف انضباطهم. وعلى الرغم من توقف المطاردة، فقد أدى ضعف الانضباط لدى القوات الافرنسية خاصة ولدى قوات الحلفاء بصورة عامة إلى انتشار حالة من الذعر، جعلت هذه القوات أشبه بالرعاع والغوغاء منها بالقوات النظامية، وهذا بدوره مما ساعد على تمزقها وتشتتها.

أوقف (فريدريك) مطاردة قوات الحلفاء، لا بسبب هبوط الظلام، وإنما من أجل اعادة تنظيم قواته بسرعة، والتوجه بها إلى سيليزيا. حيث كان ينتظره عمل حاسم.

خسر البروسيون في المعركة (١٦٥) قتيلاً و (٣٧٦) جريحاً. في حين بلغت خسائر الحلفاء (٣) آلاف قتيل وجريح و (٥) آلاف أسير بينهم (٨) قادة - جنرالات - و (٣٠٠) ضابط، بالإضافة إلى (٦٧) مدفعاً و (١٤) راية و (١٥) علماً. وكمية كبيرة من المتاع.

كانت النتائج السياسية لمعركة (روزباك) عظيمة بحيث لا ينافسها إلا قلة من معارك التاريخ الحاسمة. إذ كانت هذه المعركة هي نقطة التحول في تاريخ بروسيا خاصة وتاريخ أوروبا عامة، فقد ظهرت (بروسيا) كقوة يحسب حسابها، ولم تعد الأقاليم على نحو ما كانت عليه من قبل. لقد تعرضت بروسيا في الحروب السابقة لاجتياح القوى الأجنبية. وعانت مدنها وقراها من الاحراق والسلب والنهب والتدمير، وجابه المواطنون كل أنواع القهر والاضطهاد. وجاءت معركة (روزباك) تعبيراً عن تجاوز الشعب الجرماني - البروسي لمحنته عندما وجد في قائده (فريدريك الثاني) القدرة التي يمكن لها حشد كل القوى واستخدامها لمصلحة الشعب البروسي.

(ج) معركة لوثن - ٥ - كانون الأول - ديسمبر - ١٧٥٧ م:

لم تكن أوروبا تتوقع أن يهدر نصر بروسيا في (روزباك) سدى، وأن يتحول إلى مجرد ذكرى تزين صفحات التاريخ، فقد أزالت هذه المعركة الخطر الذي كان يتهدد مصير بروسيا وشعبها، غير أنه كان لا بد من احراز انتصارات أخرى حتى تقتنع الأطراف كلها بعقم محاولات القضاء على الشعب البروسي بقوة السلاح.

وفي الوقت ذاته، عصرت معركة (روزباك) الجيش الافرنسي حتى النواة، وأكدت أن مزاعم الجيش الافرنسي الذي لا يقهر ليست أكثر من أسطورة، وان عظمته ليست أكثر من ظواهر فارغة. وقد استيقظت الشعوب الأوروبية كلها بصورة مباغتة على هذه الحقيقة المثيرة، بحيث انه ما من معركة طوال حرب السبع سنوات استثارت مشاعر الناس واستأثرت باهتمامهم بمثل ما أثارته معركة (روزباك) وبات الأصدقاء والأعداء على السواء يسخرون من قادة الحلفاء ويستهزئون بهم. وزاد ضحك الناس وسخريتهم عندما تناهى إلى سمعهم بعد فترة قصيرة منح الملك لويس الخامس عشر لقائده المهزوم (سوبيز) رتبة (ماريشال فرنسا). هذا في أوروبا، أما في

انكلترا، فقد استقبلت أنباء انتصار (الملك فريدريك) بالبهجة الفرحة، واقيمت الزينات ومهرجانات الألعاب النارية حتى غطت الأنوار الباهرة أرض الجزيرة الانكليزية كلها. وتغير موقف البرلمان الانكليزي، فبعد أن رفض في سنة ١٧٥٧، التصويت على منح (فريدريك) مساعدة مالية قدرها (١٦٤) ألف جنيه استرليني، جاء في سنة ١٧٥٨ ليوافق على دعمه بمبلغ مليون ومائتي ألف جنيه استرليني. وليست القضية هي قضية دعم مالي. وإنما هي دليل على ما راود تفكير القادة الانكليز من فائدة في دعم بروسيا لقهر العدو التقليدي لانكلترا، مما يسمح لها بتوجيه فعالياتها ضد هذا العدو فيما وراء البحار. وفي كل الأحوال، كان انتصار (فريدريك) على خصمه (سوبيز) و (هيلدبورغ هاوزن) هو نصر محدود أو نصف انتصار من وجهة نظر (فريدريك)، إذ ليس باستطاعته الوقوف عندما أنجزه، طالما أن سيليزيا لا زالت تجابه مأزقاً حرجاً للغاية.

منح (فريدريك) قواته فترة اسبوع للراحة، والاستعداد لمتابعة الصراع المسلح واعادة التنظيم. حتى إذا ما أقبل يوم (١٣) تشرين الثاني (نوفمبر) ١٧٥٧. غادر (ليبزيغ) ومعه (١٣) ألف رجل، وسار بهم مسافة (١٧٠) ميلاً حتى وصل (بارشويتز) يوم (٢٨) تشرين الثاني (نوفمبر). وفي الوقت ذاته، كانت مدينة (شويدنيتز) قد استسلمت للنمساويين يوم (١٤) تشرين الثاني (نوفمبر). وفي يوم (٢٣) تشرين الثاني (نوفمبر) هزم (بيڤرن) وقواته في (بريسلو - أو - بريسلاو) وانسحب من الاقليم. وفي (بارشويتز) عين (فريدريك) الجنرال (زييتن) لقيادة جيش (بيڤرن) المهزوم. وكلفه بحشد القوات في (بارشويتز) يوم (٣) كانون الأول - ديسمبر -. وفي هذا اليوم ذاته، تقدم (فريدريك) من (نيو ماركت) واستولى عليها بإغارة مباغتة نفذتها قوة الفرسان الخفيفة. وحصل (فريدريك) وهو في (نيو ماركت) على معلومات غاية في الأهمية تفيد بأن (شارل أمير اللورين) و (الماريشال دون)[٦١] قد غادرا معسكرهما في (لوهي) وانهما في سبيلهما إلى (ليزا) حيث وصل

---

(٦١) الماريشال دون: (LEOPOLD-JOSEPH DAUN) ماريشال نمساوي من مواليد فيينا (١٧٠٥ - ١٧٦٦) اشتهر بكفاءته العسكرية العالية. وهزم فريدريك في ثلاث معارك أبرزها معركة (لوكن) ١٧٥٧. وهزمه فريدريك في معارك أخرى أبرزها معركة لوثن.

جناحهما الأيمن إلى قرية (بورن) أما جناحهما الأيسر فقد امتد إلى (ساغشوتز). وظهر بوضوح أن تقدم (فريدريك) السريع قد باغتهما، إذ كانا يعتقدان بأن (فريدريك) سيصرف قواته إلى معسكراتها الشتوية بعد انتصاره في معركة (روزباك).

ترك (شارل ودون) مدفعيتهما الثقيلة في (بريسلو – أو – بريسلاو). وأسرعا في يوم (٤) كانون الأول – ديسمبر – لعبور ساقية (شريغوتيز). واحتلا مواقعهما على الضفة الغربية للنهر. وكان جيشهما يضم (٨٤) فوجاً من المشاة و(١٤٤) كوكبة من الفرسان و(٢١٠) مدافع، فكان المجموع الكامل لأفراد قوة هذا الجيش يتراوح بين (٦٠ – و – ٨٠) ألف جندي تم تنظيمهما على شكل نسقين. أسند الجناح الأيمن فيهما لقيادة (لوشوسي) وهو الجناح الذي كانت تغطيه مستنقعات (بورن). وكان مركز القوات – الوسط – في مواجهة (لوثن). أما الجناح الأيسر والذي كان تحت قيادة (ناداستي) فقد امتد إلى ما وراء (ساغشوتز). وقد تمت تغطية هذا الجناح بالمحطومات. وبقيت خيالة الجناح الأيمن في (غودروتيز). كما تركت خيالة الجناح الأيسر في (لوثن). وكان اختيار الموقع من الناحية الدفاعية اختياراً جيداً نظراً لما تميز به هذا الموقع من التحصين الطبيعي القوي. وكانت نقطة الضعف فيه هو امتداد خطوط الدفاع على جبهة واسعة بحيث زاد طول هذه الجبهة على خمسة أميال ونصف الميل (من أقصى الجناح في الأيمن إلى أقصى الجناح في الأيسر).

لم يكن (فريدريك) يمتلك في مجابهة هذه القوة الهائلة أكثر من (٣٦) ألف رجل، منهم (٢٤) ألف جندي مشاة نظموا في (٤٨) فوجاً و(١٢) من الفرسان نظموا في (١٢٨) كوكبة. بالإضافة إلى (١٦٧) مدفعاً منها (٦١) مدفعاً ثقيلاً وعشرة مدافع ثقيلة جداً. وكان الميدان المتوقع للمعركة يشكل أرضاً سهلية منبسطة – مفتوحة – كان (فريدريك) يجري مناوراته فوقها في أيام السلم ولهذا فقد كان يعرفها بصورة جيدة جداً.

انطلق (فريدريك) في مقدمة جيشه البروسي من (نيو ماركت) وذلك في الساعة (٥٠٠) من صباح يوم (٥) كانون الأول – ديسمبر –. وفي منتصف المسافة تقريباً ما بين (نيو ماركت) و(لوثن) توقف الجيش، وجمع (فريدريك) ضباطه (جنرالاته) تحت ظل شجرة، وأعطى أوامره وتعليماته النهائية لهم: «**اعتقد بأنني لا أكون قد فعلت شيئاً إن تركت أنا القوات النمساوية فوق الأرض السيليزية. واعلمكم**

انني قررت الهجوم ضدهم خلافاً لكل ما تنص عليه مبادئ الحرب. انني أعرف بأن قوة شارل تتفوق على قوتنا بمعدل ثلاثة أضعاف، ولكن يجب علي أن أغامر مهما كانت النتيجة. ان علي أن أسير هذه الخطوة وإلا فقدت كل شيء. يجب علينا إلحاق الهزيمة بالعدو أو الموت جميعاً تحت نيران بطاريات مدفعيته. هكذا أفكر، وهكذا سأعمل.. انصرفوا الآن، ورددوا على مسامع أفراد كتائبكم ما قلته لكم».

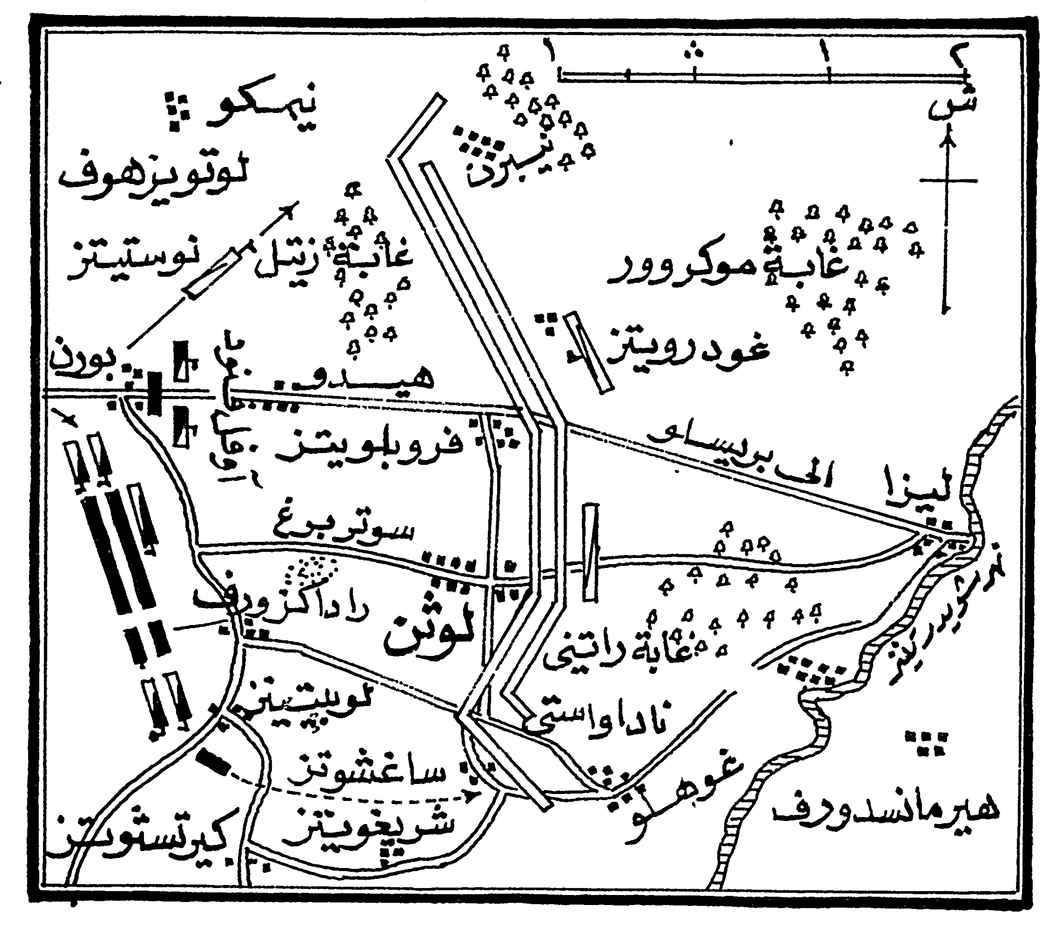
كان مخطط (فريدريك) يتلخص بالتقدم مباشرة على محور طريق (بريسلو) واختراق الجناح الأيمن للقوات النمساوية. والإفادة بعد ذلك من ميزة امتداد الجبهة الدفاعية للقوات المعادية من أجل اختراقها جيبياً. ثمَّ الانتقال بالهجوم على جناحه الأيسر، وطرده بعيداً عن خطوط مواصلاته. وبذلك يمكن له وضع ثقل الجيش بكامله على الجناح الأيسر للقوات المعادية، من أجل ضرب أقسى حلقات العدو بجناح القوات البروسية الأيمن. وقد ضمن (فريدريك) بهذا المخطط تجنب الأخطاء التي أدت إلى هزائمه في معركتي (براغ) و(كولن).

أصدر (فريدريك) أمره إلى قواته باستئناف المسير بعد أن أخذت قسطها من الراحة. وحدد هدف المسير بالوصول مباشرة إلى (بورن). وكانت طليعة القوات (حرس المقدمة) تتكون من (١٠) أفواج من المشاة و(٦٠) كوكبة من الفرسان. وسار (فريدريك) كعادته في مقدمة القوات. في حين كانت الكتلة الرئيسية للجيش تتقدم على أربعة أرتال خلف (حرس المقدمة). وكانت موسيقى الكتائب تعزف الموسيقى، فيما بدأ الجنود ينشدون:

تأكد انني سأعمل ما يجب علي عمله.
أينما كان مركزي وأياً كان واجبي.
سأنفذ مهمتي فوراً وبحماسة.
وعندما سأفعل ذلك - تأكد من نجاحي.

وتقدم ضابط إلى الملك (فريدريك) وسأله فيما إذا كان يرغب بإيقاف الانشاد، فرد عليه: «لا - أبداً، بمثل هؤلاء الرجال سيمنحني الله النصر يقيناً في هذا اليوم».

معركة لوشن ١٧٥٧



وصلت القوات البروسية إلى (بورن) وأجرت التماس مع قوات العدو، عندما كانت الخيوط الأولى للشفق ترتسم على الأفق. وفيما كان الضباب يغطي سطح الأرض. وشوهد رتل طويل من الفرسان وهو يمتد عبر الطريق الصاعد بينما كان جناحه الأيسر يختفي في وسط الضباب. وظهر لأول وهلة بأن هذه القوات هي من

قوات الجناح الأيمن النمساوي. غير أن الشك بأمر هذه القوات قد تبدد عندما امتدت قوات الرتل في مواجهة الجناح النمساوي وعلى جانبه. واكتشف الجنرال (نوستيتز) حقيقة الموقف. ولكن في وقت متأخر. إذا لم تلبث كتائبه الخمس أن تمزقت على الفور وسقط (نوستيتز) ذاته في قبضة الأسر بعد أن أصيب بجراح قاتلة. وسقط معه في الأسر (٨٠٠) مقاتل من القوات النمساوية. وانتقلت (بورن) إلى قبضة القوات البروسية.

أعقب ذلك فترة من الهدوء، وانقشع الضباب، وأصبح بإمكان المراقب في مرتفع (بورن) أن يشاهد الجيش النمساوي بكامله وهو ينتشر من (نيبرن) وحتى (ساغشوتز) وأن يعد أفراده فرداً فرداً.

كان استيلاء القوات البروسية على قرية (بورن) عاملاً حاسماً في هزيمة القوات النمساوية وليس ذلك لأنه أصبح باستطاعة (فريدريك) الاشراف على مواقع قوات أعدائه كلها، وإنما أيضاً لأن الاستيلاء على (بورن) ومرتفعاتها قد حرم القوات النمساوية من رؤية القوات البروسية التي كانت تتقدم مختفية على شكل أربعة أرتال وهي تتجه إلى (بورن). وعندما اقتربت هذه الأرتال، وجه (فريدريك) قوة فرسان حرس المقدمة للتقدم نحو الامام لمطاردة بقايا قوة (نوستيتز) التي كانت تتجه نحو الجناح الأيمن النمساوي والذي كان يتولى قيادته (الكونت لوشوسي)، وقد شاهد (لوشوسي) هذا، القوات المتقدمة، فخيل إليه انه بات مهدداً بهجوم قوة كبيرة، فأرسل في طلب الدعم بصورة عاجلة، وعندها أرسل إليه (المارشال دون) قوة الفرسان الاحتياطية مع قسم من فرسان الجناح الأيسر. وعندما كان يحدث ذلك، كانت أرتال المشاة البروسية الأربعة قد أعادت تشكيلها في رتلين حتى إذا وصلت (بورن) انحرفت نحو اليمين تحت غطاء المرتفعات الأرضية، واتجهت وهي تتابع تقدمها نحو الجنوب. وكان من المحال على المشاهد ان تقع عيناه على ما هو أجمل من هذا المنظر. حيث كانت كل الرؤوس في الأرتال تسير متوازية وتبتعد بعضها عن بعض بمسافات متساوية لتشكل خطاً واحداً. وكانت الفرق كلها تسير بمثل هذه الدقة، حتى كأنها لوحة مرسومة على الأرض بريشة فنان. أو كأنها تسير للعرض وعلى استعداد لتغيير تشكيلها في لحظة واحدة.

وكان أمر المسير للمعركة كالتالي: يسير الجناح الأيمن في المقدمة، وتسبقه قوة حرس المقدمة المكونة من ثلاث كتائب بقيادة الجنرال ويدل، ثم تأتي قوة الجناح الأيمن بقيادة (الأمير موريس ديسو) ومعه (زييتن) لقيادة (٤٣) كوكبة فرسان

و (٦) أفواج مشاة. ويسير الجناح الأيسر في أثر الجناح الأيمن ويتبعه، بقيادة (الجنرال ريتزو) ويضم بقية قوة المشاة، وتتولى حراسة مجنبته قوة مكونة من (٤٠) كوكبة فرسان بقيادة (الجنرال دريسن). تدعم كل كتلة من الفرسان بقوة (١٠) كوكبات من فرسان الهوسار. أما المؤخرة فتكون بقيادة (الأمير أوجين ورتمبرغ) وتضم إليها (٢٥) كوكبة فرسان.

كان (شارل أمير اللورين) ومعه (المارشال دون) يقيمان في طاحونة في (فروبلوتيز). ونظراً لاختفاء جيش (فريدريك) عن الأنظار. فقد ظنا أنه يتراجع بأقصى سرعته. مما حمل (المارشال دون) على القول: (البروسيون يبتعدون في سيرهم) ويجيبه (شارل): (دعهم يبتعدوا ولا تزعجهم). ولكن ما ان مضت فترة قصيرة من الظهيرة، حتى ظهرت مقدمات الأرتال البروسية وهي تتقدم ما بين (لوبيتينز) و (ساغشوتز) لتتهدد في تقدمها الجناح الأيسر النمساوي في أضعف نقاطه. ووجد القائد (ناداستي) انه يجابه قوات بروسية متفوقة جداً بصورة مباغته، .فأخذ في إرسال (المراسل العداء) في اثر (المراسل العداء) الآخر وهو يطلب من الأمير شارل ارسال الدعم العاجل. ولكن كان الوقت قد أصبح متأخراً جداً. ففي الساعة (١٣٠٠) كان قائد المقدمة (الجنرال ويدل) يتقدم تحت دعم نيران (٦) مدافع. ويتبعه الرتل الأيمن بقيادة(الأمير موريس). فتصل هذه القوات إلى (ساغشوتز) وتجتاحها مدمرة في طريقة المواقع الدفاعية المعادية. وفي هذا الوقت ذاته، كان (زيبتن) يقود كوكبات فرسانه ليطرد (ناداستي) من مواقعه، وليدفعه مع قواته في اتجاه الجنوب، حيث تنتظره كتائب الدعم الست لتعمل على تدميره مع قواته. في حين كانت نيران المدفعية في الخلف تدمر قوة الفرسان النمساويين. وقام (زيبتن) بقيادة فرسانه، مبتعداً بهم عن الأرض الوعرة بحركة استدارة حتى يجابه (ناداستي) ورجاله ويدفعهم إلى داخل غابة (راتني). وما أزفت الساعة (١٣٣٠) حتى كان (جناح ناداستي) قد انتهى. وأصبح الميدان بكامله ما بين (ساغشوتز) و (لوثن) مغطى بفلول القوات الممزقة والتي كانت تطاردها قوة فرسان الهوسار البروسية، ويتبعهم المشاة الذين كانوا يتقدمون على نسقين. وكان (ويدل) على الجناح الأيمن، و (موريس) في الوسط. و (ريتزو) في اليسار، وجميعهم تدعمهم المدفعية الثقيلة التي أخذت على عاتقها مطاردة القوات النمساوية بنيران (الرمي الضام).

بوغت (شارل أمير اللورين) وهو يتابع تقدم القوات البروسية، فاستدعى على

عجّل خيالته الذين كان قد أرسلهم لدعم (لوشوسي)، وفي انتظار وصول هذه القوات، أخذ في زج وحدات المشاة على التتابع، كوحدات صغيرة ممزقة، مما ساعد القوات البروسية على تمزيقها بسرعة.

كانت الحامية المدافعة عن (لوثن) لا تشكل أكثر من قوة صغيرة. غير أن هذه القوة قاومت زحف القوات البروسية بشجاعة نادرة، وصفها أحد الضباط (الأمير لين) وكان يخدم في إحدى كتائب المشاة النمساوية بقوله:

«ركضنا قدر ما نستطيع وبأقصى سرعة لنا، وكان قائدنا (المقدم) قد قتل منذ الصدمة الأولى، وقتل في أثره مساعده (الرائد). وقتل كل الضباط حتى لم يبق منهم إلا ثلاثة. فقمنا بعبور ساقيتين كانتا تقعان إلى اليسار بعد أول بيت من بيوت (لوثن) وبدأنا في تشكيل خط دفاعي مقابل القرية. غير أنه كان من المحال الوقوف أو البقاء. فقد كانت المدفعية تصب نيرانها بكثافة لا يمكن تصورها، لتصم الآذان، ولترسل الشظايا كالمطر المتساقط على رؤوس أفواج المشاة. ونظراً لمصرع كل الضباط، فقد توليت القيادة. واحضر لي ضابطان من افواج (قاذفي القنابل) كل ما بقي معهما من أفراد قواتهما. وانضم إلينا بعض الهنغاريين أيضاً. وساعدنا الحظ بانضمام بقية الجنود الشجعان من فوجي، غير ان مجموع هذه البقايا لم يتجاوز قوة المائتي مقاتل. ولم يبق هناك ما نستطيع عمله، فتوليت قيادتهم إلى المرتفعات حيث مقر القيادة في طاحونة (فروبلوتيز)».

شهدت (لوثن) حالة مرعبة من الازدحام والفوضى، واختلطت الوحدات بعضها ببعض، وبلغت شدة الزحام في بعض الساحات بحيث أنها أصبحت تضم من (٣٠ حتى ١٠٠) نسق – بالعمق – وأدى ذلك إلى صراع قاتل ومذبحة دموية، حيث قاتل النمساويون قتالاً يائساً حتى النهاية. وكان كل فوج يتقدم يقابله فوج من الطرف الآخر، إلى أن أصبح (الملك فريدريك) مرغماً على زج الجناح الأيسر لقواته بكامله، غير أنه أمر هذه القوات بعدم استخدام نيران البنادق في الاشتباك داخل (لوثن). وتقدم الحرس بقيادة الجنرال (مولندورف) ولم يتمكن أحد من مجابهة زحفه، وبعد نصف ساعة أخرى من المقاومة الضارية، نجحت القوات البروسية في طرد أعدائها واخراجهم من مواقعهم.

انتهت بذلك عملية القضاء على المقاومة في (لوثن). غير أن احتلال القوات البروسية للقرية أبرز مشكلة جديدة. إذ بات من الصعب مغادرة القرية أو التحرك فيها بعد أن أحضر النمساويون بطارية مدفعية احتلت مرابضها على التلال الواقعة إلى شمال القرية. وكانت وحدات المشاة النمساوية تنتشر على زوايا قائمة بالنسبة لجبهتها الأصلية. وهنا أيضاً تدخل (الملك فريدريك) فأمر بقية جناحه الأيسر بالتقدم. غير أن تلك المدافع صدت تقدم القوات البروسية وردتها على أعقابها. فوضع (فريدريك) مدافعه الثقيلة جداً ومعها بطارية مدفعية ميدان على مرتفعات (بيتربورغ) في شمال (راداكزورف). وأمكن بذلك تدمير المدفعية النمساوية، واستطاعت النيران المرعبة للمدفعية الثقيلة جداً إنهاء المعركة.

تراجعت القوات النمساوية عن كل مواقعها في الساعة (١٦٠٠). وحاول (لوشوسي) جمع فرسان الجناح الأيمن النمساوي في (فروبلويتز) وإعادة تنظيمهم. غير انه شاهد مشاة (دوتزو) وهم يتحركون إلى الأمام لطردهم من مواقعهم. وكان من سوء خظ (لوشوسي) انه لم يكن يعرف بأمر (٤٠) كوكبة من الفرسان كانت تختفي وراء قرية (راداكزورف). ولهذا فقد بوغت عندما انطلقت قوة الفرسان هذه – تحت حماية بطاريات مدفعية (بيتربورغ) شمال (راداكزورف) وأخذت في الانقضاض عليه بأقصى سرعة لها. في حين كانت هناك (٣٠) كوكبة تهاجم قواته من الأمام. وأخذ فرسان (الدراغون) يضربون مجنبة قواته. بينما كان فرسان الهوسار يلتفون حول مؤخرته. وقتل (لوشوسي) وتمزقت الوحدات التي كان يقودها.

انحرف (دريزن) بعد ذلك إلى يمينه حتى يهاجم مشاة النمساويين في المؤخرة. بينما تولى (ويدل) مهاجمتهم من الجانب على مسافة غير بعيدة عن (لوثن). وانهارت كل مقاومة نمساوية مع غروب شمس ذلك اليوم. وأخذت فلول القوات في الفرار بسرعة وهي تتصايح (لينجُ كل بجلده).

شق (الملك فريدريك) طريقه في وسط الزحام حتى بلغ قرية (ليزا) فوجد هناك البلدة الصغيرة وقد اكتظت بجموع الهاربين واللاجئين. وتوجه إلى ساحة القصر، حيث قابل عدداً من الضباط النمساويين، وقد أمسكوا الشموع بأيديهم. فترجل عن حصانه والتفت إليهم قائلاً: **(مساء الخير يا سادة، باستطاعتي القول انكم لم تكونوا تتوقعون وجودي هنا. فهل بالإمكان أن يجد المرء مأوى لليلة واحدة فقط بينكم)**.

أصدر (فريدريك) أوامره يوم (٦) كانون الأول - ديسمبر - باعطاء الجنود يوماً للراحة. وفي اليوم التالي تقدم إلى (بريسلو - أو - بريسلاو). وأرسل (زيبتن) ومعه نصف قوة الخيالة (الفرسان) و(٩) أفواج من المشاة، والوحدات الخفيفة لمطاردة (شارل أمير اللورين). فانطلق (زيبتن) في المطاردة حتى يوم (٩) كانون الأول - ديسمبر - وأسر أكثر من ألفي مقاتل نمساوي. في حين استمر (فريدريك) في حصار (بريسلو) حتى يوم (١٩) كانون الأول - ديسمبر - حيث سقطت المدينة في قبضة القوات البروسية التي أسرت فيها (١٧) ألف مقاتل واستولت على (٨١) مدفعاً.

اختلفت المصادر قليلاً في تقويم حجم الخسائر. وذكر ان القوات البروسية فقدت (٦) آلاف رجل بين قتيل وجريح، وخسرت القوات النمساوية (١٠) آلاف جندي بين قتيل وجريح بالإضافة إلى (٢١) ألف أسير، و(١١٦) مدفعاً و(٥١) راية و(٤) آلاف عربة امداد وتموين. وبلغت خسائر الحلفاء الكاملة في هذه الحملة ما بين (٤١,٤٤٢) رجلاً و(٥٦,٤٤٦) رجلاً. وفي التقويمين - مع ما فيهما من اختلاف - يمكن القول ان خسائر الحلفاء كانت قاتلة، وأشبه ما تكون (بالإبادة).

كان من أبرز نتائج معركة (لوثن) انها حررت (سيليزيا) بكاملها تقريباً - باستثناء غابة (شويدنيتز) - كما انها أظهرت بروسيا كأضخم قدرة عسكرية في أوروبا كلها. مما دفع بعض المؤرخين إلى القول:

«بأنه ما من معركة في التاريخ القديم أو حتى في التاريخ الحديث يمكن لها أن تضاهي معركة (لوثن) أو تنافسها، سواء في طريقة تنفيذها أو في نتائجها. انها تشكل فصلاً مميزاً في العلم العسكري. ذلك لأنها تبرز النظرية المتلاحمة مع أساليب التطبيق. وهي نظرية من نتاج عبقرية الملك فريدريك وحده».

وكتب نابليون بونابرت في معرض تعليقه على معركة (لوثن):

«تمثل معركة - لوثن - لوحة رائعة من التحركات ومن المناورات والقرارات. وتكفي وحدها لتخليد - فريدريك - ووضعه على مستوى أعظم القادة. وقد كانت كل مناوراته في هذه المعركة متوافقة مع مبادئ الحرب: انه لم يعرض مجنبة قواته لمراقبة أعدائه وأنظارهم، ذلك لأن أرتاله ذاتها كانت بعيدة عن الأنظار. ولقد كان

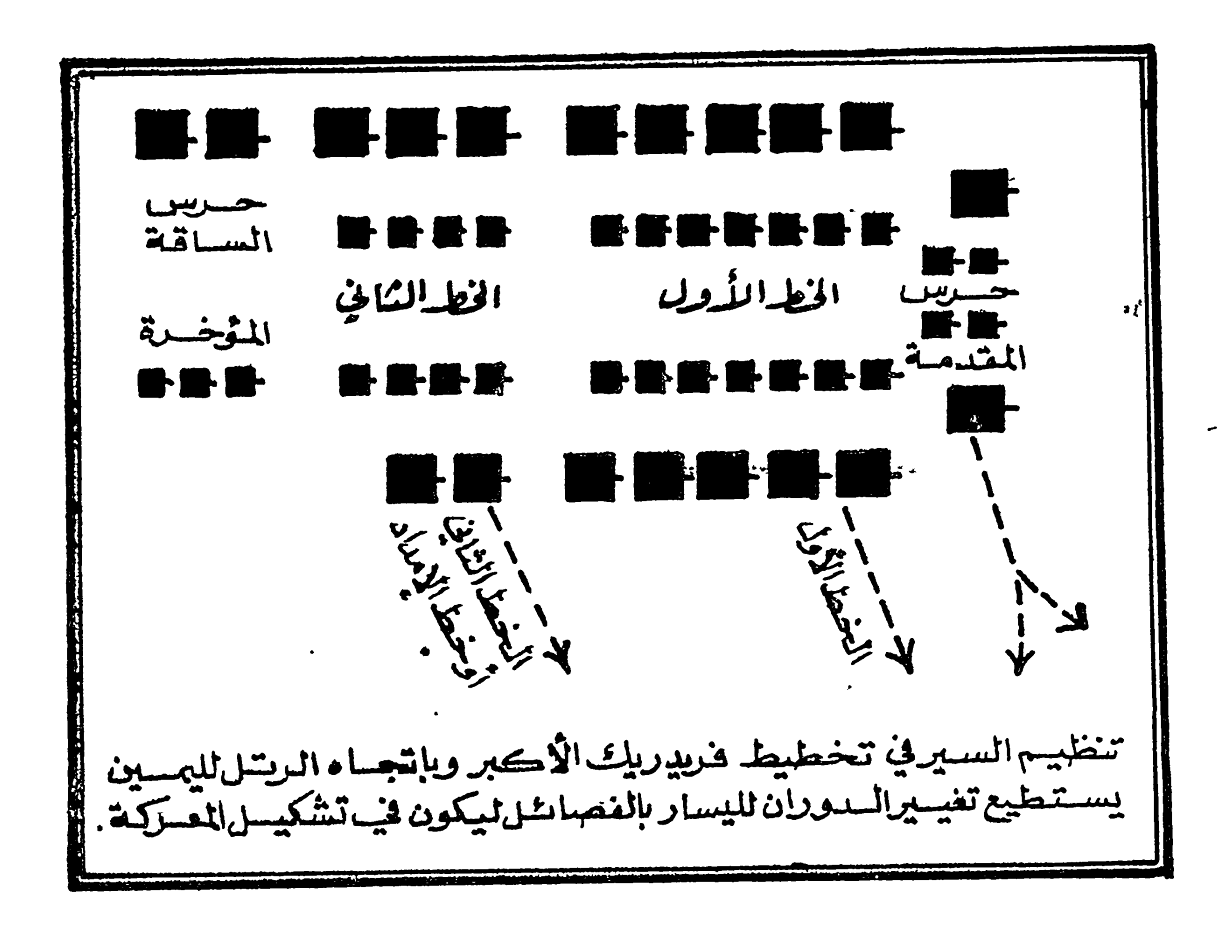
النمساويون يتوقعون له ان يعمل بعد استيلائه على بورن من أجل احتلال المواقع على المرتفعات المقابلة لهم. ولهذا فقد مكثوا بدون حراك في انتظاره. بينما عمل هو من جانبه على الافادة من الضباب ومن المرتفعات الأرضية ليدفع قوات حرس المقدمة بصورة مختفية – ومقنعة – وتابع تقدمه حتى أمكن له مهاجمتهم في أقصى جناحهم الأيسر».

قد يكون من المناسب هنا، وقبل الانتقال لمتابعة الحرب التي استمرت بعد ذلك لمدة خمسة أعوام، التوقف قليلاً لمقارنة أسلوب (الهجوم المائل) الذي أبدعه (فريدريك) وطبقه في معركتيه الظافرتين (روزباك ولوثن). ففي (روزباك) لم تكن للحلفاء قيادة موحدة، ولم يضع القادة مخططاً واحداً. وبدلاً من أن يتمسكوا بخط دفاعهم عند (سال) حتى يتمكنوا من تدمير البروسيين، غادروا هذه الخطوط وفعلوا ما كان يريده فريدريك، إذ قدموا له الشروط المناسبة للمعركة. حيث تقدموا تحت أنظاره، وعرضوا عليه جناح قواتهم، وخاضوا المعركة بدون أي تنسيق للتعاون، وخاضوا المعركة أيضاً وهم يجهلون ما كان يفعله فريدريك بسبب حرمانهم من عناصر الاستطلاع وبذلك نجح فريدريك في استخدام (نظامه المائل) لضربهم من أجنحتهم. وفي معركة (لوثن) بدأ فريدريك معركته بضرب الجناح الأيمن، وانتهى بضرب الجناح الأيسر مستخدماً (النظام المائل) ذاته. وتميزت عمليات فريدريك هنا بتنسيق التعاون التام بين الفرسان والمشاة والمدفعية. وكان العامل الحاسم بعد ذلك فيما أحرزه (فريدريك) من انتصار، هو في استحواذه على ثقة رجاله به، والانقياد لتنفيذ أوامره بدقة مذهلة – انظر مخططات النظام المائل المرفقة –.

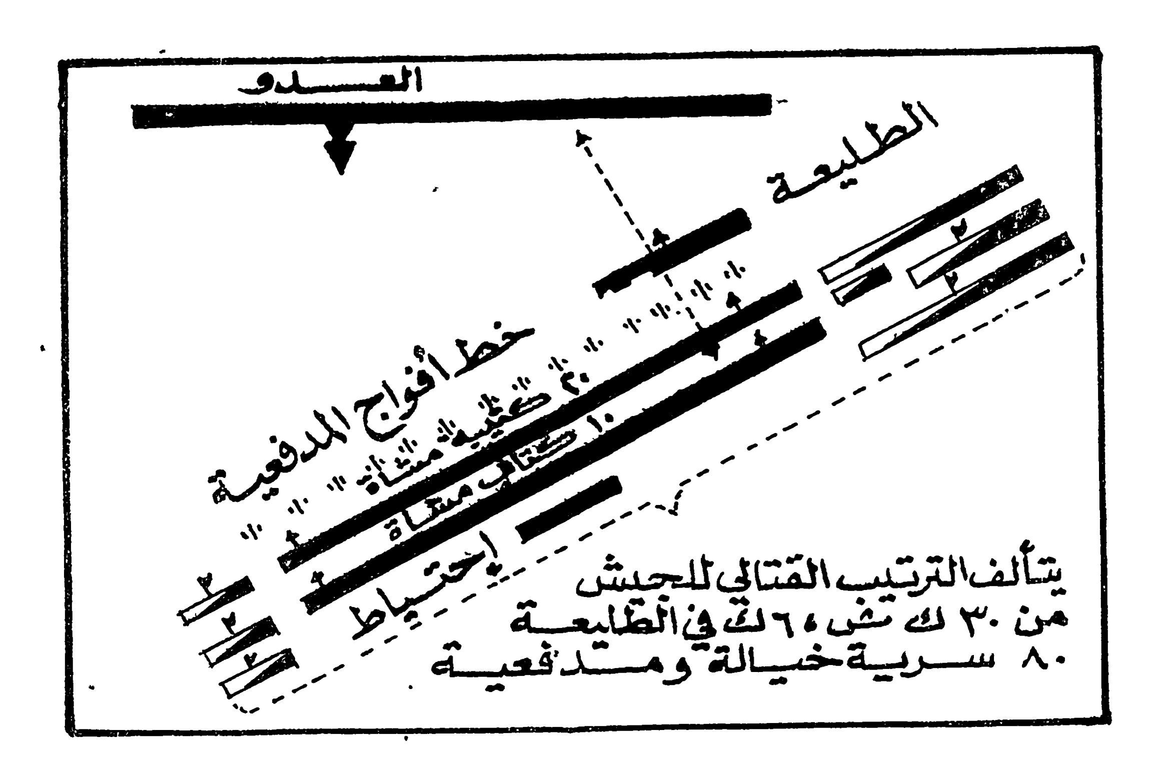
٦ – الأعمال القتالية سنة ١٧٥٨ م

زورندورف وهوشكيرش :

تحرك (فريدريك) إلى مورافيا في ربيع سنة ١٧٥٨. غير أنه لم يلبث أن فقد (٤) آلاف عربة امداد وتموين، على الرغم من الحراسة القوية التي كان يمزقها الأنصار النمساويون ويدمرونها بهجماتهم المباغتة. ووجد (فريدريك) نفسه مرغماً على الانسحاب من جديد إلى (سيليزيا).



تنظيم السير في تخطيط فريدريك الأكبر وباتجاه الرتل لليمين يستطيع تغيير الدوران لليسار بالفصائل ليكون في تشكيل المعركة.



يتألف الترتيب القتالي للجيش من ٣٠ ك مش، ٦ ك في الطليعة ٨٠ سرية خيالة ومدفعية

استأنفت القوات الروسية أعمالها الهجومية في صيف سنة ١٧٥٨ تحت قيادة قائد أعلى جديد (فيرمور) يقال انه من أصل انكليزي، وأمكن لهذه القوات الاستيلاء على (كونيغسبرغ) و (ثورن)[٦٢] و (البينغ) وذلك قبل فرض حصار على (كوسترين). وقاد (فريدريك) الجيش البروسي عبر (براندنبرغ) وخاض معركة (زورندورف) التي استمرت لمدة يومين (٢٦ و ٢٧ آب – أغسطس). وانتصر (فريدريك) انتصاراً حاسماً في أكبر المعارك الدموية التي وقعت في هذه الحرب، وخسر البروسيون (١٢) ألف مقاتل، في حين زادت خسائر القوات الروسية على ضعف هذا العدد. ولم يتمكن (فريدريك) من مطاردة القوات الروسية واستثمار انتصاره، ذلك لأن القوات النمساوية كانت قد عادت لاجتياح ساكسونيا وسيليزيا.

تحرك (فريدريك) في البداية إلى (سيليزيا) حيث اصطدم بقوات (دون) في (هوشكيرش)[٦٣] قريباً من (بوتزن)[٦٤] فعمل (فريدريك) على إقامة معسكره فوق أرض لا تصلح للدفاع، وكان جيشه يضم (٣٠) ألف مقاتل. في حين كان معسكر (دون) المقابل يضم (٦٠) ألف مقاتل. وقد احتج قادة (فريدريك) على اختياره السيئ لهذا الموقع الذي أقام فيه معسكره، وكان مما قالوه له: (يجب شنق – دون – فيما لو لم يقم بالهجوم) فأجابهم فريدريك بكبرياء وصلف: (يخاف النمساويون منا أكثر مما يخافون حبل المشنقة). وخاب ظن (فريدريك) فقد قام (دون) بالهجوم قبل أن تشرق الشمس. وعلى الرغم من أنه خسر (٦) آلاف مقاتل نمساوي، إلا أنه نجح في تدمير أكثر من ربع قوة الجيش البروسي، وقتل في هذه المعركة (المشير كيث) و (فرانز أمير برونسويك) و (الأمير موريتز فون انهالت ديسو) و (الجنرال فون كروشوف) و (الجنرال هاغن). وكان الانتصار الذي أحرزه

---

(٦٢) ثورن: (THORN) بالألمانية، وبالافرنسية: (TORUN) وهي مدينة بولونية في (بوميريلي) وتقع على الضفة اليمنى لنهر الفستولا. وهي مدينة قديمة أسسها الفرسان التيوتون.

(٦٣) هوشكيرش: (HOCHKIRCH) قرية في الساكس. انتصر فيها الماريشال (دون: DAUN).

(٦٤) بوتزن: (BAUTZEN) مدينة ألمانية في الساكس على نهر (سبريه: LA SPREE) وانتصر فيها نابليون بونابرت على الروس والبروسيين في سنة ١٨١٣ م.

(الماريشال دون) هو الانتصار الثالث الذي يحرزه على (فريدريك) خلال فترة ستة عشر شهراً. غير أن (دون) لم يطارد القوات البروسية مما سمح للملك (فريدريك) بالمحافظة على الكتلة الرئيسية من جيشه.

٧ - الأعمال القتالية سنة ١٧٥٩ م - كونرسدورف ١٢ - آب - أغسطس - ١٧٥٩ م :

تناقص الجيش البروسي مع بداية سنة ١٧٥٩ إلى قوة (١٠٠) ألف مقاتل، معظمهم من المجندين. ومع بداية شهر آب - أغسطس - من هذه السنة، تقدم جيش روسي ضخم تحت قيادة قائد جديد هو (الجنرال سالتيكوف)[٦٥] فاحتل (فرانكفورت - على نهر الأودر). وانضم إلى هذا الجيش جيش نمساوي آخر بقيادة (سكوت) و(لودون) الذي كان قد أمضى من قبل فترة (١٢) سنة في الجيش القيصري. وأصبح الجيشان الروسي والنمساوي يتألفان من حوالي (٦٠) ألف رجل منهم حوالي (٤١) ألف روسي و(١٩) ألف نمساوي، وكانا معززين بـ(٢٤٨) مدفعاً.

اسرع (فريدريك) كعادته فقاد جيشه الذي ضم (٤٨) ألف رجل معززين بمائتي مدفع، حتى وصل (فرانكفورت) وشرع على الفور بتنظيم معركته التي خاضها يوم ١٢ - آب - اغسطس. كان القائد العام للقوات الروسية - النمساوية (الجنرال سالتيكوف) قد وضع قواته جنوبي - شرقي مدينة (فرانكفورت) بالترتيب القتالي الخطي، مع الاحتفاظ باحتياط مناسب. وقد رتبت القوات على مرتفعات (كونرسدورف)[٦٦] الثلاثة (مولبرغ وشبيتص ويودنبرغ) وكانت الوديان العميقة تفصل بين هذه المرتفعات، وقد بلغ الطول العام للموقع الممتد عليها حوالي أربعة كيلومترات ونصف.

بدأ فريدريك هجومه (بالنظام المائل) كعادته. فركز اتجاه الضربة الرئيسية على

---

(٦٥) الجنرال سالتيكوف : GEN. SALTYKOV

(٦٦) كونرسدورف : (KUNERSDORF) قرية ألمانية قريبة من (فرانكفورت سيرلودر).

الأفواج الروسية المتمركزة على مرتفع (مولدبرغ) من الجبهة والجانب، ونجح في احتلال هذا المرتفع، واستولى على نصف المدفعية الروسية، وخيل إليه انه على وشك الانتهاء من المعركة، فأرسل إلى برلين (يعلن انتصاره الكامل). غير أن المعركة لم تكن قد بدأت بعد بالنسبة للقوات الروسية. إذ ما كادت القوات البروسية تنتقل للهجوم على مرتفع (شبيتص) في منتصف الموضع الدفاعي الروسي حتى اصطدمت بمقاومة ضارية، وتحولت المعركة إلى مذبحة دموية رهيبة، وكان الجنرال (سالتيكوف) يدفع خلالها القوات إلى مكان المعركة من الجناح الأيمن، ومن الاحتياطات. مما أوقف تقدم القوات البروسية. الأمر الذي دفع (فريدريك) إلى زج الكتلة الرئيسية لقوات فرسانه، التي أصبحت أفضل خيالة أوروبا». ومع ذلك فقد صدت متكبدة خسائر فادحة. وبعد صد الخيالة البروسية، انطلقت الأفواج الروسية — المشاة — بقيادة (رومیانتسوف) بانقضاض سريع، مستخدمة ضربات الحراب وطردت المشاة البروسية من المرتفع نحو الوادي، ثم طورت هجومها نحو مرتفع (مولبرغ) طاردة القوات البروسية عنه. ولم تستطع القوات البروسية صد ضربات الحراب الروسية المركزة فلاذت بالفرار. وهكذا، انتهت موقعة (كونرسدورف) التي استمرت (٧) ساعات فقط خسر خلالها الجيش البروسي حوالي (١٩) ألف رجل بين قتيل وجريح و(١٧٢) مدفعاً. وكانت خسائر القوات الروسية حوالي (١٣) ألف رجل وخسائر النمساويين حوالي ألفي رجل. وفي موقعة (كونرسدورف) خسر (الملك فريدريك) معظم جيشه، واقتربت بروسيا من حافة الهاوية. وقد كتب (فريدريك) بعد هذه المعركة: **«أنا لست محظوظاً لاني لا أزال حياً، ومن جيشي البالغ (٤٨) ألف رجل بقي عندي (٣) آلاف فقط، الكل يهزبون وليست لي سلطة على أحد...»**.

لقد جاءت الضربة الحاسمة الأخيرة من قبل الفرسان النمساويين (بقيادة لودون) الذين استطاعوا تمزيق بقايا القوات البروسية، وكاد الملك (فريدريك) ذاته يقع في الأسر، لو لم تسرع لنجدته حفنة من (الفرسان الهوسار) اختطفته وهي في طريقها للفرار. غير أن فقدان المطاردة الروسية المنظمة سمح لفلول هذه القوات مرة ثانية بالتجمع على بعد كيلومترات قليلة من فرانكفورت. والنقطة البارزة في هذه المعركة هي تفوق التكتيك الروسي على التكتيك البروسي. إذ ان (نظام الهجوم المائل) الذي جلب (لفريدريك) النصر على النمساويين والافرنسيين، لم ينجح في هذه المرة بسبب المقاومة الضارية للقوات الروسية، وبسبب الكفاءة العالية التي أظهرها (كونرسدورف) في

المناورة بالقوات بحسب سير المعركة، ونقلها من أحد القطاعات غير المهاجمة إلى الأخرى المهاجمة، كما ان احتفاظ (كونرسدورف) بقوات احتياطية ضخمة ساعده على تحقيق المناورة بالقوات وزجها في الوقت المناسب بالمكان المناسب.

استطاع (فريدريك الثاني) شق طريقه إلى النجاة، وانقاذ بروسيا من جديد، بسبب الشكوك المتبادلة بين أعدائه بعضهم تجاه بعض، وبفضل سلبيتهم تجاهه. فقد رفض الروس متابعة تدمير القوات البروسية، ومطاردة فلول جيش فريدريك الممزق، وذلك لاعتقادهم بأن الدوق الكبير بطرس والذي كان على وشك اعتلاء عرش روسيا، هو من المعجبين بشخصية الملك البروسي (فريدريك العظيم) وكفاءته القيادية، فمضى (سالتيكوف) لقضاء وقته في المجون والخلاعة تاركاً لوحداته الروسية الحرية لممارسة النهب والتدمير والرعب وارتكاب أبشع أنواع الفظائع بحق السكان الجرمان في بروسيا الشرقية، و(براندنبرغ).

أما بالنسبة للملك (فريدريك) فقد كانت كارثته في (كونرسدورف) بداية لمجموعة من المحن والنوائب المتلاحقة. فقد مضى بعد هذه المعركة إلى (ساكسونيا) وهي الاقليم التي كانت تضمن له باستمرار المورد الرئيسي لتجنيد القدرة البشرية القتالية. وكان وصوله إلى هناك هو الإشارة إلى (دون) بالانسحاب لتنفيذ مناورة ذكية، لم ينتبه لها (فريدريك) في بداية الأمر، فشكل قوة من (١٥) ألف مقاتل وأسند قيادتها إلى أحد قادته (فينك) وكلفه بمطاردة (دون) غير ان هذا قام باستدارة في الوقت المناسب، ولم يلبث أن طوق الجيش البروسي في (ماكسن) يوم ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٧٥٩. وأرغم (فينك) وجيشه على إلقاء السلاح والاستسلام. وخسر فريدريك بذلك كل قواته ولم يبق معه أحد. ومضت أشهر قليلة على ذلك، قام بعدها (لودون) بقيادة جيش دمر به قوات بروسية كان يتولى قيادتها (فوكيه) وذلك بالقرب من (لاند سوت).

٨ - الفصل الأخير من الحرب:

عندما علم (فريدريك) بتلك الأخبار المثيرة، تحرك من جديد في اتجاه (سيليزيا). وأثناء تحركه كان الجيش النمساوي بقيادة (دون) و(لاسي) يتحرك بصورة موازية لأجنحته، وعندما وصل إلى (ليغنيتز) علم بانضمام قوات نمساوية جديدة بقيادة (لودون) إلى جيش (دون). ولم يكن جيش فريدريك يضم أكثر من

ثلاثين ألف مقاتل ، في حين أصبحت القوات النمساوية تتفوق عليه – عددياً – بمعدل ثلاثة إلى واحد تقريباً. وفي الوقت ذاته ، كانت هناك قوات روسية ضخمة قد عبرت (الأودر) ووقفت وهي على استعداد للقتال في انتظار نتيجة المعركة التي سيخوضها (دون) ضد القوات البروسية. وعلم (فريدريك) من بعض الجنود النمساويين الفارين بأن قائد قوات خصمه (دون) يعتزم القيام بتقرب ليلي لمباغتة القوات البروسية بهجوم قبل شروق الشمس.

قرر (فريدريك) التحرك على الفور – في ليل ١٤ آب – أغسطس – ١٧٦٠ م. وسار بجيشه في اتجاه العدو. ونظم القوات للتحرك على ظرفي الطريق. ودارت معركة ليلية رهيبة ، خسر فيها الجناح الأيمن الذي كان يقوده (لودون) أكثر من (١٠) آلاف مقاتل ، وانضم (دون) الذي كان يتولى قيادة الجناح الأيسر إلى القوات الروسية ، وأصبح تفوق أعداء (فريدريك) مرعباً بحيث أنه لم يجد في نفسه الجرأة على شن هجوم ضدها. فاكتفى بما أحرزه من نصر، وقرر اخلاء ميدان المعركة. وفي الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي ، كان (فريدريك) وجيشه ، قد وصل إلى مسافة بعيدة بدرجة كافية عن مسرح القتال ، بعد أن أخذ معه ما حصل عليه من غنائم (كالمدفعية والبواريد) وبعد أن أخلى الجرحى من قوات الطرفين (البروسيين والنمساويين).

قامت قوة روسية مكونة من (٢٠) ألف مقاتل بإغارة مباغتة على (برلين) في بداية شهر تشرين الأول – اكتوبر – ١٧٦٠ م غير ان هذه القوة فشلت في احتلال عاصمة (فريدريك). وبعد ذلك باسبوع انضمت إلى القوة الروسية قوة نمساوية مكونة من (١٥) ألف مقاتل بقيادة (لاسي) واستطاعت هذه القوة المشتركة احتلال (برلين) لمدة أيام قليلة ، وانتزعت من أهلها غرامة بلغت أربعة ملايين (تالر).

رجع (فريدريك) من جديد إلى (ساكسوني) بهدف إعادة تنظيم جيشه وجمع المحبذين. والحصول على الموارد الضرورية لمتابعة الحرب. ولم يلبث (دون) أن بدأ في ملاحقته ، وطلب إلى (لاسي) أن يلحق به أيضاً. وكان (دون) كما اشتهر في الحرب (سيد الدفاع) قد أخذ في حفر الخنادق وتنظيم المواقع الدفاعية في (تورغو)[٦٧] على مسافة قريبة من (البا) ومعه (٥٠) ألف مقاتل. وقرر (فريدريك)

---

(٦٧) تورغو : (TORGAU) مدينة ألمانية في (ساكس – انهالت) تقع على نهر البا.

مهاجمته على الرغم من أن قوته لم تكن تتجاوز (٤٤) ألف مقاتل، وأسند قيادة (ثلث) قوته إلى (الجنرال زيبتن) الذي كان مقاتلاً رائعاً، إلا أنه يفتقر إلى الخبرة في مجال ممارسة القيادة الميدانية على المستويات العليا. وقد أصدر الملك (فريدريك) أمره إلى (زيبتن) بمهاجمة الجناح الأيمن للقوات النمساوية هجوماً جبهياً. وقاد (فريدريك) الكتلة الرئيسية من قواته، للقيام بحركة استدارة واسعة قطع فيها مسافة أربعة عشر ميلاً عبر الغابة حتى يتمكن من مهاجمة (دون) من الخلف وضرب مؤخرته.

كان لدى (دون) قوة كبيرة من المدفعية بلغت (٤٠٠) مدفع نصفها مدافع جديدة لم تستخدم من قبل. وقد استطاعت هذه المدافع أن تعيد انتشارها بسرعة، وأنزلت بقوات المشاة التي دفعها (فريدريك) للمعركة خسائر فادحة. وقد بدأت المعركة في منتصف النهار تقريباً، ودارت الاشتباكات منذ البداية بصورة وحشية تجاوزت في قسوتها كل معارك فريدريك السابقة. وزاد الأمر سوءاً عندما فشل (زيبتن) في هجومه الجبهي بسبب ظهور بعض الشكوك وسوء التفاهم. ومع اقتراب المساء. كانت القوات النمساوية تسيطر على الموقف بصورة جيدة مما دفع القائد الجريح (دون) إلى ارسال رسالة إلى (فيينا) للاعلام عن انتصاره في المعركة. وكانت هذه هي وجهة نظر (فريدريك) أيضاً في تقويمه لنتيجة الاشتباكات فقرر سحب قواته مع بداية الليل لمسافة أميال قليلة. حتى يتم له إعادة تنظيمها من أجل الانطلاق بهجوم جديد في اليوم التالي.

كان من المفروض ان ينطلق (زيبتن) بهجومه الرئيسي في الساعة (١٣٠٠) غير انه لم يفعل، وعندما أشارت عقارب الساعة إلى (١٨٠٠) – أي بعد تأخير لفترة خمس ساعات – انطلق (زيبتن) بهجومه في وسط الظلام الحالك، ليضرب بقوته الجبهة النمساوية في المكان الذي حدده (فريدريك). وعندما تناهى صخب المعركة وضجيجها إلى (هولزن) قائد معسكر (فريدريك) أسرع باستنفار المقاتلين من خيامهم، ونظمهم على عجل، وزجهم للقتال ضد مؤخرة القوات النمساوية. ولم تمض أكثر من ساعات قليلة حتى خسر (دون) معركته، وكانتُ هذه المعركة هي آخر المعارك الكبيرة التي خاضها (دون). كما كانت بدورها أيضاً من آخر معارك (فريدريك) العظمى. وهذا ما أكدّه (فريدريك) ذاته عندما كتب فيما بعد: «**لقد كانت معركة تورغو من أقسى معارك الحرب، وأكثرها حرجاً، وأشدها مأزقاً**». وخسر

البروسيون في هذه المعركة (١٤) ألف رجل بين قتيل وجريح، في حين بلغت خسائر النمساويين (٢٠) ألف رجل بين قتيل وجريح، بالإضافة إلى (٤٥) مدفعاً غنمتها القوات البروسية. وبقي جيش (دون) موجوداً – على قيد الحياة – وحافظ على استعداده لخوض معارك جديدة. ولم تتمكن معركة (تورغو) من ابادته أو تدميره بصورة نهائية.

لم تقع أعباء الحرب على كاهل الشعب البروسي وحده، ولو ان نصيب بروسيا كان كبيراً بسبب صغر حجم الشعب البروسي الذي لم يكن يتجاوز الخمسة ملايين، والذي اضطر لتكوين جيش مقاتل لم ينقص عدد أفراده المقاتلين في يوم من الأيام عن (١٠٠) ألف حتى يتمكن من الصمود في وجه الدول المتحالفة (فرنسا والنمسا وروسيا)، والتي كان عدد أفراد شعوبها يزيد على مائة مليون مما ساعدها على زج قوات عسكرية في أوروبا الوسطى والغربية تزيد على ربع مليون. ولقد شكل هذا الحجم من القوى عبئاً ثقيلاً بات من الصعب على الدول الأوروبية – العظمى – احتماله بصورة مستمرة، لا سيما بعد أن زادت أعباء الحرب وخسائرها على الغنائم المحتملة. وكانت (النمسا) أول دولة احتملت ثقل الحرب وخسائرها، مما دفع المستشار (كونيتز) إلى تحذير الملكة (ماريا تيريزا) في كانون الأول (ديسمبر) ١٧٦٠، بأن موارد النمسا لم تعد تسمح لها للقيام بأكثر من حملة واحدة. وفي ربيع السنة التالية (١٧٦١) كان حجم القوات النمساوية قد تناقص حتى قوة (٢٠) ألف مقاتل فقط.

في تلك الفترة، تولى تاج الحكم في انكلترا (الملك جورج الثالث)[٦٨] الذي أظهر رغبته في وضع نهاية للحرب بمجرد استلامه لسلطاته. وكان مثل هذا الشعور عاماً في كل الأوساط الانكليزية والافرنسية. لا سيما بعد أن حصلت انكلترا على كل ما تريده في مجال التوسع البحري فيما وراء البحار، في حين خسرت فرنسا معظم مستعمراتها وأصبح موقفها صعباً جداً. وتوقفت انكلترا عن دفع مساعداتها لبروسيا في

---

(٦٨) الملك جورج الثالث: (GEORGE III) من مواليد لندن (١٧٣٨ – ١٨٢٠ م) أصبح ملكاً لانكلترا سنة (١٧٦٠) تميز عهده بضياع المستعمرات الانكليزية في أمريكا. وصراعه ضد الثورة الافرنسية.

سنة ١٧٦٢. وفي تلك الفترة جاءت وفاة قيصرة روسيا (اليزابيت)[٦٩] في كانون الثاني (يناير) ١٧٦٢م. لتقلب الموقف الأوروبي رأساً على عقب، إذ كان خلفها (الدوق بطرس الكبير)[٧٠] جرمانياً، تركز اهتمامه الرئيسي على ضم (دوقية أولدنبرغ)[٧١] والعمل بعد ذلك على مطالبة العرش الدانمركي بالتخلي عن (شليزويغ – هولشتن)[٧٢] لمصلحة روسيا. وزيادة على ذلك كله، فقد كان (بطرس) معجباً كل الاعجاب بالملك (فريدريك العظيم) ولا يثق أبداً بالنمسا وامبراطورتها (ماريا تيريزا) ولهذا فقد أعلن فور توليه تاج روسيا، انسحابه من الحرب، ووقع معاهدة لإقامة حلف بين بروسيا وروسيا ضد النمسا والدانمارك. وأعلنت السويد عن انضمامها لمعسكر السلم ووقعت معاهدة صلح مع (بروسيا). ومضت أشهر قليلة على حكم (الامبراطور الروسي بطرس). غير أن (كاترين العظيمة)[٧٣] لم تعدل شيئاً من السياسة الخارجية لسلفها (زوجها السابق)، ولكنها لم تكن في الوقت ذاته راغبة في التدخل لدعم (الملك البروسي فريدريك) فاكتفت بإصدار أمرها إلى القوات الروسية بالانسحاب من بلاد (الجرمان) وأكدت إلتزامها بالسلام الذي وقّع معاهدته سلفها مع الملك فريدريك.

---

(٦٩) اليزابيت: (ELISABETH PETROVNA) قيصرة روسيا من سنة ١٧٤١ حتى سنة ١٧٦٢.

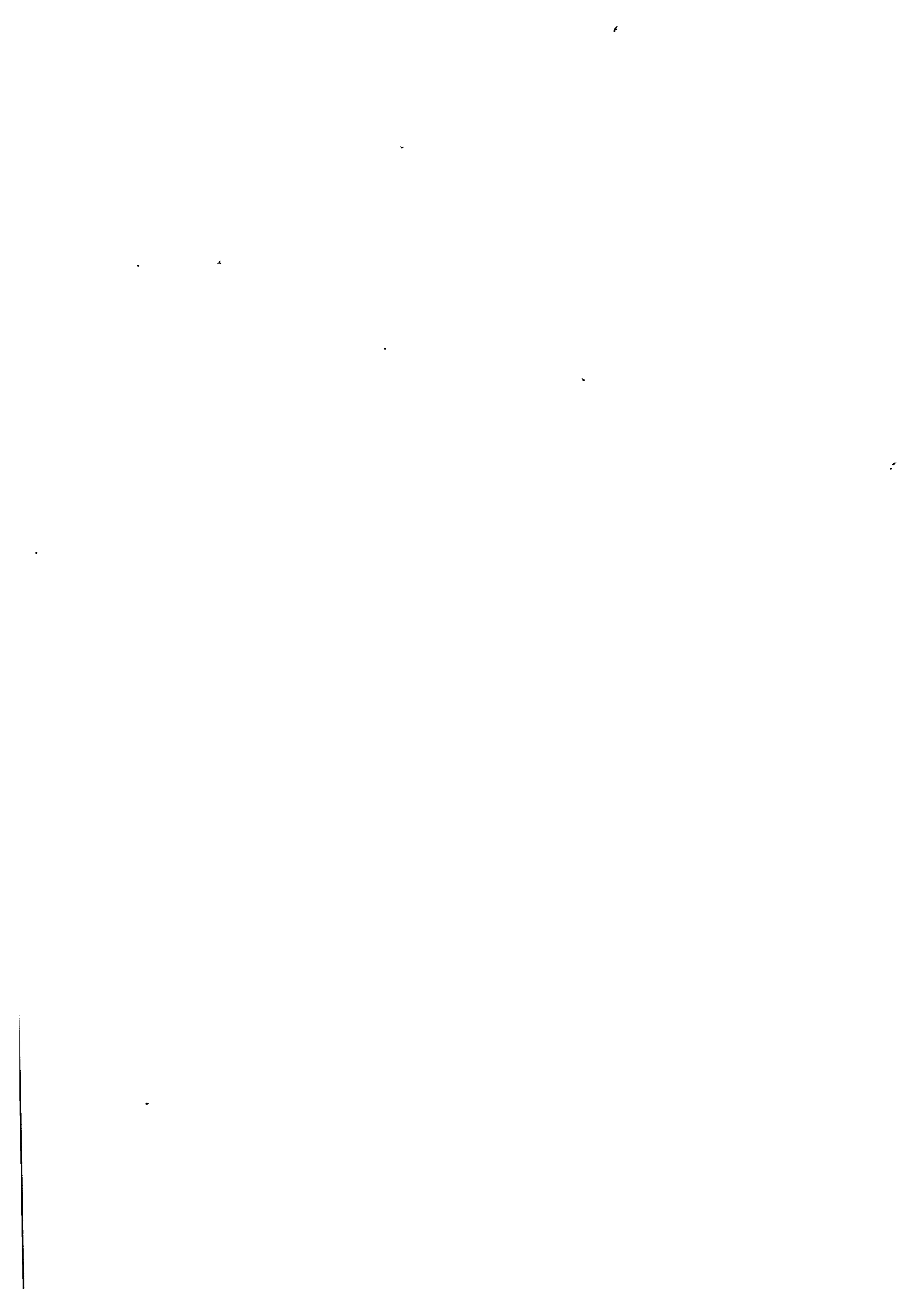
(٧٠) بطرس الأكبر: (GRAND DUKE PETER: PIERRE) قيصر روسيا. من مواليد كيبل (١٧٢٨ – ١٧٦٢) حكم باسم بطرس الثالث لفترة قصيرة من سنة ١٧٦٢ وقتل بتحريض من زوجته كاترين الثانية.

(٧١) دوقية أولدنبرغ: (OLDENBOURG) وبالالمانية (OLDENBURG) اقليم ألماني يشكل قسماً من الساكس السفلى. وكانت دوقية قديمة بقيت تحمل إسمها حتى سنة ١٩١٩ حيث أصبحت جمهورية.

(٧٢) شليزويغ – هولشتن: (SCHLESWIG HOLSTEIN) بلاد في غرب ألمانيا.

(٧٣) كاترين العظيمة: (CATHERINE II LA GRANDE) امبراطورة روسيا. ولدت في ستيتن: (STETTIN) أو بالألمانية (SZCZECIN) من مدن بولونيا. وهي ابنة الدوق (انهولت – زربست: ANHALT-ZERBST) وزوجة بطرس الثالث. وحكمت وحدها بعد قتل زوجها. عاشت في الفترة (١٧٢٩ – ١٧٩٦م) وتولت الحكم من سنة (١٧٦٢). خاضت حروباً ظافرة ضد الأتراك العثمانيين. وتميز حكمها بالفتوح والإصلاح وحماية العلماء والفلاسفة واشتهرت بقسوتها الوحشية وممارساتها الشاذة.

أصبحت امبراطورة النمسا (ماريا تيريزا) في حالة عزلة بعد أن انفض عنها الحلفاء. وقام الملك (فريدريك) بإحراز انتصارين جديدين في تموز (يوليو) وتشرين الأول (أكتوبر) من سنة ١٧٦٢ م حيث كان قد بدأ بتحرير سيليزيا وطرد القوات النمساوية منها. وتلاشى كل أمل لدى (ماريا تيريزا) في إمكان تحقيق النصر أو الاحتفاظ (بسيليزيا) فقررت الاتفاق مع (فريدريك). وهنا حاولت انكلترا وفرنسا القيام بدور الوساطة غير ان (فريدريك) رفض ذلك، وأعلن شروطه الخاصة: (لا تنازل عن شبر من الأرض السيليزية، ولا تعويض عن ساكسوني ولو بقرية واحدة أو فلس واحد – بني»). ووافق (فريدريك) على الجلاء عن ساكسوني، ووافقت (ماريا تيريزا) على التخلي لبروسيا نهائياً عن سيليزيا. وتم التوقيع على معاهدة (هيبرتسبورغ) بين بروسيا والنمسا في شباط (فبراير) ١٧٦٣ بدون أي تعديل على الحدود الأوروبية. وضمت بروسيا إليها مليون مواطن من أبناء العمومة (الجرمان).



١ – «يتوقع ضباطي الإفادة من اخطائي ، فليكونوا على ثقة من انني سأبذل جهد المستطاع حتى أصحح تلك الأخطاء» .

٢ – «وصلت مع شعبي إلى تفاهم متبادل ، هم يقولون ما يريدون وأنا أفعل ما أريد» .

«فريدريك الكبير»

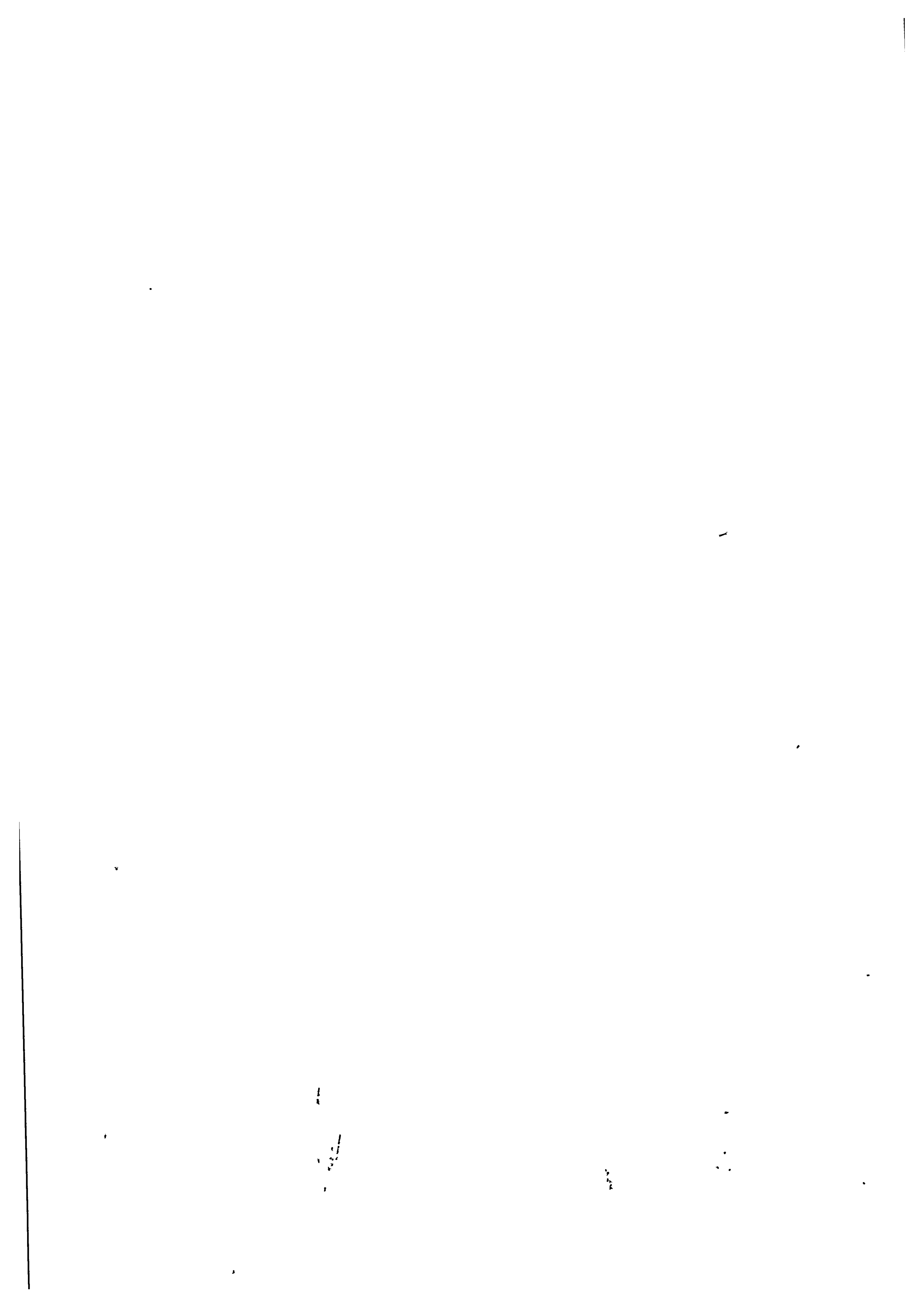
الفصل الثالث

فريدريك وموقعه في التاريخ

(أ) في افق الحرب .

(ب) فريدريك والفكر العسكري .

(ج) فريدريك تجربة تاريخية فردة .



فريدريك وموقعه في التاريخ

وضعت معاهدة (هيبرتسبورغ)[٧٤] حداً نهائياً لحرب السبع سنوات ، أو الحرب الثالثة من (حروب الوراثة النمساوية) . وهي الحرب التي أبرزت بروسيا كقدرة أوروبية جديدة في القرن السابع عشر . ولقد حدث هذا التحول بفضل مجموعة من العوامل ، أولها : التهديد المستمر الذي كانت تتعرض له بروسيا والإمارات الجرمانية كدول صغرى محاطة بالأعداء من كل جانب ، وهو الأمر الذي دفع الشعب البروسي إلى قبول احتمال التضحيات الضخمة ، والإستعداد لبذل كل جهد مستطاع من أجل دعم قضية الحرب العادلة ، والتي أصبحت بالنسبة للشعب البروسي قضية مصيرية مرتبطة بوجوده فوق أرضه .

وثانيها : توافق تيار الأحداث بما يسمح بظهور هذا التحول ، فقد كانت الدولتان الأوروبيتان العظميان قد تجاوزتا مرحلة متقدمة في بسط نفوذهما على العالم . وكانت النمسا قد وصلت إلى مرحلة من الضعف ، وكانت التناقضات بين هذه القوى الرئيسية قوية إلى درجة أدت إلى خوض صراعات مريرة في حروب لا تنتهي بالإضافة إلى حروب المنافسة غير المعلنة فيما بينها ، فكان من الطبيعي أن يشكل التحالف فيما بينها ضد القوى الضعيفة ، تحالفاً مرحلياً مرتبطاً بقدرة القوى الضعيفة على الصمود ، وعلى فرض ارادتها ، فكان الصراع السياسي ، والإفادة من تيار الأحداث هما مركز الثقل في التحولات التي أبرزت القدرة البروسية . وقد يكون من المناسب

---

(٧٤) هيبرتسبورغ : (HUBERTSBOURG) جناح (منطقة للصيد في ضواحي مدينة ليبزيغ : LEIPZIG) .

الإشارة إلى حافز ترك أثره يقيناً في دفع تيار الأحداث وهو قيام روسيا بتحولات مماثلة بقيادة بطرس الأكبر (١٦٨٢ – ١٧٢٥). وكانت نقاط التشابه بين الوضعين الروسي – البروسي كثيرة مما أبرز ذلك التشابه في مسيرة تيار الأحداث وفي تواقتها الزمني أيضاً. ويبقى العامل الثالث، وهو ظهور شخصية القائد – أو البطل – الذي يستطيع الإفادة من العاملين السابقين من أجل بناء مستقبل امته ودعم قضيتها. وقد كان ذلك بالنسبة للملك (فريدريك الثاني – العظيم) الذي ربط مصيره ووجوده بقضية شعبه، فبادله شعبه الثقة ومنحه القدرة على تحقيق تطلعاته وأهدافه، وبذلك أمكن حدوث التحول الحاسم الذي لم يترك ظلاله محصورة في افق بروسيا وخلال عهد (فريدريك) وإنما تجاوز الحدود الزمنية والمكانية فألقى بظلاله على أوروبا كلها، وامتد بظلاله إلى آفاق ثلاثة قرون من عمر المستقبل.

لقد كان (فريدريك) رجل دولة وقائد حرب، ولهذا لم يكن من الغريب أن يطلق عليه اسم «آخر الملوك». وذلك للإشارة إلى ما حدث بعد ذلك من تطورات حدت من (السلطة الملكية) في بعض أقطار العالم، وأزالت النظام الملكي الذي كان قائماً على السلطة الفردية –كما حدث في فرنسا– المهم في الأمر هو أن (فريدريك) قد مارس العمل السياسي والعمل العسكري في وقت واحد. وقد تعرضت أعماله للكثير من الأبحاث والدراسات – منذ أيامه وحتى العصر الحديث – وذلك باعتبار هذه الأعمال بمجموعها تمثل اندماجاً واضحاً في (السياسة الإستراتيجية) التي توازن بين (هدف السلم) و(أهداف الحرب). وقد حدد (فريدريك) منذ البداية وحتى النهاية هذا الهدف بكلمة (سيليزيا).

ولم يضع السلاح حتى تم له الوصول إلى هدفه. ومن هنا فقد يكون من المناسب التعرض لابرز الملامح في أعماله العسكرية والسياسية على السواء.

(أ) في افق الحرب:

قد يكون من المحال الإتفاق على تقويم واحد – أو موحد – لقياس نتائج حرب الوراثة النمساوية نظراً لتناقض مؤثرات هذه النتائج على كل طرف من الأطراف التي زجت نفسها طائعة مختارة أو مرغمة مقهورة في ذلك الصراع، ولكن الأمر المتفق عليه هو أن فرنسا تحملت كل المغارم ولم تحصل على شيء يذكر من المغانم. وقد يكون من الغريب ان فرنسا حصلت على أكبر نصر عسكري غير انها لم تكسب منه

شيئاً ، اللهم إلا عبارة ساخرة كان الفرنسيون يتندرون بها فيما بينهم وهي «انكم أغبياء مثل معاهدة الصلح» .

ومقابل ذلك ، تحملت انكلترا أقل نصيب من الغرم وخرجت بأكبر قسط من الغنم إذ شكلت عن طريق استثمار ظروف هذه الحرب أكبر شبكة من القواعد البحرية التي عرفها العالم خلال فترة قياسية من عمر الزمن .

أما روسيا ، فإنها لم تربح شيئاً ولم تخسر شيئاً ، زجت بعض قواتها لقاء مساعدات ، وسحبتها عندما لم يعد لوجود هذه القوات دور يذكر . ولو ان هذه القوات حققت بعض الإنتصارات العسكرية الضخمة على مستوى العمليات . فكانت هذه الحرب بمثابة تجربة للصراعات المقبلة .

وأما بروسيا فقد تحملت أكبر قسط أيضاً من أعباء الحرب غير انها حققت هدف الحرب . ونظراً لأن - بروسيا وملكها (فريدريك) كانا قطب الرحى في هذه الحرب فقد يكون من المناسب التوقف قليلاً عند أفق الحرب على مستوى العمليات .

استطاع (فريدريك العظيم) الحصول على فوائد من هذا الصراع ، إذ ربح سيليزيا منذ البداية ، ثم انسحب من الحرب ، ثم عاد إليها فيما بعد ، وغامر كثيراً دون أن يربح شيئاً جديداً سوى بعض الإنتصارات العسكرية البحتة . غير أن هذه الإنتصارات أبرزت بروسيا كقوة عسكرية ضخمة يحسب حسابها .

وتستحق الحوادث التي أدت إلى حصول بروسيا على سيليزيا خلال صلح (بريسلو) في عام (١٧٤٢) شيئاً من البحث والدراسة . كان حظ فريدريك في مطلع ذلك العام سيئاً ، وكان من المقرر أن تتقدم القوات الافرنسية والبروسية لضرب الجيش النمساوي . ولكن الافرنسيين توقفوا بعد قليل ، ولم يتابع فريدريك تقدمه للإتصال مع حلفائه ، بل استدار بسرعة نحو الجنوب ، واتجه إلى (فيينا) .

ووصلت طلائعه إلى مشارف العاصمة النمساوية ، ولكنه انسحب عندما عرف أن الجيش النمساوي يستعد لعزله عن قواعده . ولقد اعتبر البعض أن حركة فريدريك هذه مظاهرة فيها غرور وتهور ، ويظهر أن مثل هذا النقد كان متسرعاً ومتهوراً ، إذا ما تم الحكم على هذه الحركة بالإستناد إلى مؤثراتها على نتائج المعركة . فقد استطاع فريدريك بانسحابه السريع ، أن يجتذب إليه القوات النمساوية في قلب

سيليزيا ، ثم استدار نحوهم وهزمهم تلك الهزيمة المنكرة ، واعقبها بمطاردة عنيفة أرغمت النمسا على عقد صلح منفصل معه والتخلي له عن سيليزيا بعد ثلاثة أسابيع فقط .

لقد كان هجوم فريدريك على فيينا هو هجوم غير مباشر ، ولعله الهجوم الوحيد غير المباشر الذي أثر على هذه الحرب ، ووضع النمسا في مواجهة ظروف أرغمتها على تقديم تضحية كبيرة بقبولها للصلح . هذا مع العلم أن هذا الهجوم غير المباشر لم يكن في حقيقته وواقعه أكثر من تظاهرة عسكرية على أبواب فيينا ، ونجاح تعبوي أصغر من معظم منجزات فريدريك الأخرى ، ولم يتم الحصول عليه إلا بصعوبة بالغة . وهكذا بقيت (حرب الوراثة النمساوية) غير حاسمة في نتائجها العامة ، كما لم تكن حرب السبع سنوات (الحرب السيليزية الثالثة) أوفر حظاً ، أو أكبر تأثيراً على السياسة الأوروبية . ولكن انكلترا انهت الحرب بنتائج ذات تأثير حاسم على مسيرة الأحداث الأوروبية ، ولم تكن انكلترا المحرض الخفي على حرب السبع سنوات فحسب بل انها اشتركت فيها وحصلت من جرائها على فوائد جمة بصورة غير مباشرة .

عندما كانت جيوش دول القارة الأوروبية تتصارع وتنهك بعضها بعضاً بعمليات مباشرة تؤثر على الدول نفسها ، استفادت مفارز انكليزية صغيرة من الضعف العام وأنشأت الامبراطورية البريطانية (العظمى) . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن حصول بروسيا المنهكة تماماً على صلح بشروط مناسبة يعود إلى أن قوات الهجوم الافرنسية كانت محطمة بسبب خسائرها في المستعمرات ، كما يعود إلى وفاة قيصرة روسيا في الوقت الذي كان الروس يستعدون فيه لضرب بروسيا ضربة قاضية .

يذكر عدد من (رواد التاريخ وباحثيه) ان الدرس الأساسي في حرب السبع سنوات ظل غامضاً في نتائجه على الساحة الأوروبية ، على الرغم من وفرة الإنتصارات التعبوية ، ويشرح – أو يعلل – أمثال هؤلاء (الرواد (والباحثين) هذه الظاهرة بأن عدد أعداء (فريدريك) ثم معادلة ثقل هؤلاء الاعداء بالميزات الشخصية لفريدريك ، قد حولت الصراع إلى نوع من (النزاعات الشخصية) التي أبرزت دور (فريدريك) الحاسم في التأثير على نتائج الحرب .

هنا قد يكون من المناسب التوقف قليلاً عند ظاهرة (إدارة الحرب) لدى (فريدريك العظيم) من أجل جلاء ذلك الغموض المزعوم .

لم يكن (فريدريك) على استعداد لقبول فكرة المشاركة بالمسؤولية ، ولم يكن ليعترف على الحدود المفروضة على الإستراتيجيين . ويتشابه موقفه هذا مع معظم القادة الكبار من أمثال الاسكندر المقدوني ويوليوس قيصر ونابليون بونابرت . لقد كان يجمع في قبضته كل السلطات ، ويوجه كافة الفعاليات والأعمال التي عادة ما أصبح يتقاسم تبعاتها المسؤولون عن الإستراتيجية والاستراتيجية العليا .

غير ان اشتراك (فريدريك) دائماً بأعمال جيشه قد ضمن له الفرصة لتنظيم وسائطه وتعديل مخططاته بصورة مستمرة حتى تتطابق مع الأهداف والغايات المنشودة . كما كانت قلة الحصون نسبياً في حقل عملياته ميزة اضافية عادت عليه ببعض الفوائد .

لقد كانت انكلترا حليفه الوحيد ، بينما كانت النمسا وفرنسا وروسيا والسويد وبلاد الساكسون متحالفة ضده . وكان يتمتع بتفوق عددي فيما يتعلق بالقوات الجاهزة للمعركة منذ بداية الصراع وحتى منتصف المعركة الثانية . كما كان يتمتع بميزتين هما : جيش متفوق تعبوياً على جيش خصومه ، وموقع متوسط بين مختلف الأعداء .

ولقد سمحت له هذه الميزات بتطبيق العمليات الحربية على (الخطوط الداخلية) ، فكان يضرب الجيوش المعادية واحداً بعد الآخر ، مستفيداً من وجود هذه الجيوش على محيط دائرة يشغل هو مركزها ، ومستثمراً قصر المسافة التي ينبغي عليه اجتيازها ليجمع كل قواته ضد أحد الخصوم وضربه قبل أن يستطيع حلفاؤه البعيدون مساعدته . ويمكن اعتبار الهجوم على (الخطوط الداخلية) نوعاً من أنواع الهجوم غير المباشر . وهو في الحقيقة هجوم غير مباشر بالنسبة لقوى العدو في مجموعها . ولكنه هجوم مباشر بالنسبة للجيش الذي تم اختياره كهدف في تلك اللحظة ، هذا باستثناء الحالة التي يتم فيها الإشتباك مع هذا الجيش فجأة ، فعندئذ يجب تكملة المناورة بهجوم غير مباشر آخر على الهدف نفسه .

يظهر للوهلة الأولى ، انه كلما كانت جيوش حلف ما متباعدة عن بعضها البعض ، كلما أمكن الانتصار عليها بشكل حاسم . فإذا ما تم تحليل وجهة النظر هذه من خلال عناصر (الزمن والمسافة والقوى) فسيظهر انها تنطوي على فكرة صحيحة . ولكن إذا ما تم ادخال العامل المعنوي الهام في هذه العناصر . فستظهر

النتائج بصورة مغايرة . ذلك لأن تباعد قوى العدو المتحالفة بمسافة كبيرة يجعل كل عنصر منها يشكل عنصراً مستقلاً في حد ذاته ، وهذا العنصر يحاول تكوين وحدة متكاملة لها قدراتها الذاتية ولها فعالياتها الكافية لصد الضغط الذي قد يقع عليها . أما إذا كانت العناصر متقاربة ، فإنها تحس بالرغبة في الإلتصاق حتى تشكل جسماً واحداً يندمج كل عنصر فيه بالعناصر الأخرى فكرياً ونفسياً ومادياً . فيتأثر القادة بأفكار بعضهم بعضاً . وتنتقل المؤثرات المعنوية بسرعة إلى كل منهم ، كما تؤثر التحركات على الصعيد المادي على حركات الآخرين فتعرقلها وتقلل من سهولة إجرائها .

وإذا تمتع خصم هؤلاء المتحالفين المشترك بحقل عمل أصغر ، وكان في حاجة لوقت أقل للقيام بأعماله ، فإن نتائج تحطيمه لأحد الحلفاء المعادين تظهر بسرعة على باقي هؤلاء الحلفاء . يضاف إلى ذلك ، أنه إذا كانت جيوش الحلفاء قريبة من بعضها واتجه العدو نحو أحدها ثم غير فجأة اتجاه تقدمه الأساسي واشتبك مع جيش آخر كان هجومه الأخير هذا هجوماً غير مباشر . أما الجيوش المتباعدة جداً فإنها تملك الوقت الكافي لصد أو تحاشي الضربة التالية لعدو مشترك يقع في موضع وسط بينها .

وهكذا ، استفاد (فريدريك العظيم) من موقعه المتوسط ليجمع قواته ضد جزء من جيوش العدو ، ويطبق دائماً تكتيك الهجوم غير المباشر ، مما ساعده على تحقيق انتصاراته الكبيرة . وكان تقربه التكتيكي في جوهره جغرافياً لا معنوياً . يتصف بالمباغتات البارعة ، لذلك نفذت المناورات البروسية بمهارة ولكن على نطاق صغير . وكانت صدمتها الأولى قوية ، ولكن بدون مباغتة ، غير أنها كانت تؤثر على الخصم فتجعله غير قادر على مقاومة الصدمة التالية بسبب شلل قيادته وعدم مرونة تشكيلاته القتالية .

بدأت (حرب السبع سنوات) أو (الحرب الثالثة من الحروب السيليزية) أو (المرحلة الثانية من حرب الوراثة النمساوية) في شهر آب (أغسطس) ١٧٥٦ ، وذلك عندما اجتاح الجيش البروسي اقليم (ساكسونيا) بهدف احباط مخطط الحلفاء الذين أرادوا تدميره . واستغل (فريدريك) التأثيرات الأولى للمباغتة فدخل (دريسدن) بدون مقاومة تذكر . وعندما تأخر الجيش النمساوي في تحركه لنجدة المدينة أفاد (فريدريك) من ذلك . فقاد جيشه في مسيرة موازية لنهر البا من أجل مجابهة الجيش النمساوي .

وأمكن له الحاق الهزيمة به، فضمن بذلك سيطرته على أقليم (الساكس). وفي نيسان (أبريل) من العام (١٧٥٧م) اجتاز (فريدريك) بجيشه قمم جبال بوهيميا. وسار نحو (براغ). فوجد عند اقترابه من المدينة قوات النمساويين وقد احتلت مواقع. دفاعية حصينة على المرتفعات خلف النهر، فترك مفرزة لتغطية تحركه، ولحماية المخاضات، وسار مع النهر طوال الليل، ثم اجتازه واتجه نحو ميمنة النمساويين.

لقد بدأ هجومه بشكل غير مباشر، ثم حوله إلى هجوم مباشر قبل انتهاء المناورة. لذا وجد الجيش النمساوي ما يكفيه من الوقت لتعديل خط جبهته. ووجدت المشاة البروسية نفسها أمام عدو ينتظرها بكل عناد، فقامت بهجوم جبهي على مرتفع يضربه النمساويون بنيرانهم فسقط البروسيون بالآلاف، ثم مالت كفة المعركة لصالح البروسيين من جديد، بعد تدخل خيالة (زييتن) غير المتوقعة، والتي وصلت إلى ميدان المعركة بعد حركة التفاف واسعة، واضطر النمساويون إلى الإنسحاب والتحصن في براغ التي حاصرها البروسيون، ولم ينقذها إلا قدوم جيش نمساوي جديد لنجدتها بقيادة (دون). ولما علم (فريدريك) بالنبأ، سحب من القوات المحاصرة أكبر عدد ممكن وسار لملاقاة (دون).

قابل (فريدريك) الجيش النمساوي يوم ١٨ حزيران (يونيو) في بقعة محصنة تدافع عنها حامية تعادل ضعف قوته، فحاول القيام بالتفاف آخر على ميمنة النمساويين. ولكن مناورته جرت على مقربة من الخط النمساوي مما أدى إلى ضرب الارتال البروسية بنيران رماة هذا الخط، فاضطرت إلى الإبتعاد عن خط سيرها الأصلي والقيام بهجوم مباشر غير منتظم أوقعها في كارثة مؤلمة، مما اضطر فريدريك إلى رفع الحصار عن براغ والجلاء عن بوهيميا.

اجتاح الروس في هذه الفترة حدود بروسيا الشرقية، ودخل أحد الجيوش الافرنسية مدينة (هانوفر). كما تقدم جيش مختلط بقيادة (هيلدبورغ هاوزن) وهدد برلين من جهة الشرق. وأراد (فريدريك) منع الجيشين الأولين من الالتقاء، فتحرك بسرعة نحو (لا يبزيغ) وأبعد هذا الخطر. ولكنه اضطر للتوجه بعد ذلك نحو الشرق لصد خطر جديد يتهدد سيليزيا، فاستغلت مفرزة نمساوية هذه الفرصة، وانقضت

على برلين فدخلتها ونهبتها. وبعد أن تم طرد هذه المفرزة بصعوبة، تحرك (هيلدبورغ هاوزن) فسار (فريدريك) بسرعة لملاقاته.

اعقبت ذلك معركة (روزباك). وفيها حاولت الجيوش المتحالفة التي تعادل ضعف الجيش البروسي القيام بمناورة كمناورة البروسيين. ولكن التنفيذ كان سيئاً. فكشفها فريدريك بسرعة، وبدأ في التراجع وأحس الحلفاء بتراجعه. فتركوا مواضعهم وأسرعوا لمطاردته، وعندها عاد (فريدريك) وقام بهجوم مضاد على أبعد أجنحتهم عن القلب فهزمهم ومزقهم دون كبير عناء. وهكذا نجح (فريدريك) في القيام بهجوم غير مباشر صحيح بفضل حماقة خصومه. مستخدماً عامل المباغتة دون أن يستخدم عامل الحركة.

وتعتبر معركة (روزباك) أقل انتصاراته ثمناً إذ خسر فيها (٥٠٠ قتيل) بينما فقد أعداؤه نحواً من (٧٧٠٠) رجل، وتفتت جيشهم المؤلف من (٦٤) ألف رجل. ولكن سوء حظه دفعه إلى أن يطلب من قواته ما هو أكثر من طاقتها في المعارك التالية، ليستثمر انتصاره، ويستخلص منه فائدة كاملة. لقد كان عليه ألا يتسى الجيش النمساوي الذي لم يستطع تدميره نهائياً في (براغ) و (كولن).

وجاءت بعد ذلك معركة (لوثن) التي ربحها بفضل (النظام المائل) الذي يمكن اعتباره هجوماً غير مباشر ممتازاً، وان كان ينطوي على الخطورة، وكلفه هذا النصر أكثر مما تسمح به إمكاناته.

استمرت الحرب خلال العام (١٧٥٨م) وكانت نتائجها غير حاسمة، وقام (فريدريك) خلالها بهجوم غير مباشر ضد النمساويين عندما اجتاز حدودهم، واتجه إلى مجنبتهم متوغلاً عشرين ميلاً في أرض معادية. ولم ينسحب عندما فقد قافلة تموين كبيرة، بل تابع تقدمه عبر (بوهيميا) مهدداً بذلك مؤخرة النمساويين. ثم احتل قاعدتهم في (كونيغراتس). ولكنه اضطر ثانية لدفع ثمن الفرص الضائعة في (براغ) و (كولن) عندما تقدمت الجحافل الروسية الكبيرة نحو (بوزن – حالياً بوزنان) على طريق برلين، واضطرته إلى ايقاف معركة بوهيميا. واتجه (فريدريك) نحو الشمال لوقف الزحف الروسي، ونجح في مهمته. ولكن معركته كانت مشابهة لمعركة براغ. لقد استدار فريدريك فيها حول الحاجز الذي تشكله المواقع الروسية القوية بغية مهاجمتها من الخلف، ولكن المدافعين استطاعوا إجراء تبديل في جبهتهم، وتحول هجوم فريدريك غير المباشر إلى هجوم جبهي. وكاد (فريدريك) أن يقع في مأزق

حرج لولا تدخل قائد خيالته الماهر ، الذي قام بحركة التفاف للهجوم على مجنبة العدو الجديدة في أرض غير صالحة لاستخدام الخيالة ، الأمر الذي جعل المناورة غير متوقعة ، وذات تأثير كتأثير الهجوم غير المباشر .

وكانت خسائر فريدريك في هذه المعركة أقل من خسائر الروس . ولكنها كبيرة بالنسبة لتعداد قواته .

كان رصيد (فريدريك) من الرجال يتناقص باستمرار ، مما اضطره لترك الروس يلتقطون أنفاسهم ، وتحول ضد النمساويين ، ولكنه تلقى هزيمة كبدته خسائر كبيرة في الرجال لاعتقاده الخاطئ بأن خصمه النمساوي القديم غير قادر على أخذ زمام المبادأة في العمليات مما سبب مباغتته وتطويقه ليلاً . ولم ينقذه من الابادة سوى فرسان الهوسار بقيادة (زيبتن) والذين فتحوا له طريق الإنسحاب .

استمرت الحرب في العام (١٧٥٩) وغدت قوات فريدريك ضعيفة جداً ، فهزمه الروس أسوأ هزيمة مني بها في حياته . كما هزمه القائد النمساوي (دون) من جديد بسبب ثقته المفرطة ، وبسبب عدم الاصغاء لوجهات نظر ضباطه . ومنذ ذلك الوقت أصبح (فريدريك) عاجزاً عن ايقاف العدو إلا بالطرق السلبية . ولكن ، وبينما كانت امكانات (فريدريك) تسير إلى النضوب . ظهرت امكانات حلفائه الانكليز الذين اصبح باستطاعتهم ارسال قوات دعم إلى بروسيا بسرعة ، بعد انتصاراتهم على الفرنسيين في كندا –كوبيك– . وامكن بذلك الإنتصار على الافرنسيين في (ميندن) مما عدل من خسائر فريدريك السابقة .

استمر ضعف (فريدريك) خلال العام (١٧٦٠م) . وقام بخدعة ليكسب بعض الوقت ، وليستريح مؤقتاً من الضغط الموجه إليه من الشرق . وتتلخص هذه الخدعة بأنه أوقع متعمداً في قبضة الروس رسالة تتضمن ما يلي : «**تم سحق النمساويين الكامل هذا اليوم . وجاء الآن دور الروس . نفذوا ما اتفقنا عليه**» .

صدق الروس هذه الخدعة ، فقاموا بعمليات انسحاب . وقام (فريدريك) عندئذ بمعركة ضد النمساويين في (تورغو) وانتصر عليهم انتصاراً كبيراً كلفه ثمناً باهظاً . وشلته كثرة خسائره ووجود (٦٠) ألف رجل معه فقط ، ولم يعد قادراً على المغامرة بدخول معركة جديدة ، حتى أنه حوصر في سيليزيا وعزل عن (بروسيا) عزلاً

تاماً . ولحسن حظه كانت استراتيجية النمساويين تضعف باستمرار . ولم يقم الجيش الروسي بعمل حاسم بسبب الفوضى التي عمت مؤخراته وتموينه ، وطال أمد الصراع . وماتت خلال ذلك قيصرة روسيا . وجاء بعدها من يوقع الصلح ، ويفكر حتى في مساندة (فريدريك) . وتابعت فرنسا والنمسا الحرب بدون حماسة ، إذ كانت قوة الأولى منهكة بسبب هزائمها في المستعمرات ، وكانت الثانية سلبية منذ بداية الأمر ، ثم عقدت معاهدة الصلح تاركة جميع المنطقة التي كانت حقلاً للعمليات العسكرية وهي في حالة دمار كامل وانهيار اقتصادي تام .

وتبقى بعد ذلك تجربة (فريدريك) القتالية غنية بالكثير من الدروس الهامة ، لعل أبرزها طريقته غير المباشرة والتي كانت مباشرة جداً في المعركة . أي انه كان يعتبر الهجوم غير المباشر مناورة بسيطة مبنية على الحركة فقط ، بدلاً من أن يراها توافقاً بين الحركة والمباغتة . وهذا ما جعله يفشل فشلاً ذريعاً رغم موهبته الفذة في تطبيق مبدأ الإقتصاد في استخدام القوى .

المهم في الأمر هو أن تجربة فريدريك التاريخية في مجال (فن الحرب) لم تكتسب أهميتها وأبعادها من خلال منجزاتها على مستوى الأعمال القتالية ، ولم تعرف شهرتها من خلال نتائجها فحسب ، وإنما اكتسبت مكانتها من خلال ما تركه (فريدريك) أيضاً من أثر في (الفكر العسكري) وإذا كان من المحال اعتبار هذا الأثر (ثابتاً) أو (خالداً) بقيمه المطلقة ، إلا أنه يحتفظ بقسط كبير من الفائدة والاثارة معاً ، ذلك لأن معطيات هذا الفكر العسكري قد تطابقت لفترة زمنية غير قصيرة مع الممارسة أو التطبيق العملي .

(ب) فريدريك والفكر العسكري :

لم يكن غزو (فريدريك الكبير) لأقليم سيليزيا سنة (١٧٤٠) بصورة مباغتة ومن غير انذار مسبق ، إلا صورة مبكرة لما أصبح معروفاً فيما بعد باسم (الحرب الخاطفة . أو الحرب الصاعقة أو الحرب البرقية) أو ما ماثلها من أسماء متشابهة في مضمونها رغم اختلاف التسّميات وتباينها . المهم في الأمر هو أن احتفاظ (فريدريك) بسيليزيا قد ساعده على مضاعفة مساحة مملكته وزيادة قدرتها القتالية البشرية . والمهم في الأمر أيضاً أن (فريدريك) قد أكد عبر حروبه ضد أقوى الدول الأوروبية في

عصره أنه ،دون ماجدل ،أقدر من كل قادة خصومه وأكثرهم كفاءة. ولعل مما ساعد (فريدريك) هو ما كان يتوافر لبروسيا من قدرات وإمكانات سبقت الإشارة إليها. فقد كانت تحكم روسيا أسرة ملكية عملت طويلاً وبجهد دؤوب على بناء القدرة الذاتية – مادياً ومعنوياً – فجاء فريدريك ليعمل على تطوير ما هو متوافر من القدرات والامكانات .

وكان من أبرز أعمال (فريدريك) اتجاهه إلى صياغة الفكر العسكري وفق أسس ثابتة وقواعد واضحة تتوافق مع خصوصية التكوين (البروسي) . فكان من أول أعماله في هذا المجال كتابه «**الأصول العامة للحرب**» والذي كتبه في العام (١٧٤٦م) معتمداً في صياغته على تجاربه في الحربين السيليزيتين الأولى والثانية ، وقد نشر هذا المؤلف في طبعة محدودة سرية بين قادته ، وقد أدى استيلاء الافرنسيين على نسخة منه في العام (١٧٦٠م) إلى طبعه وانتشاره . وقد أوضح فريدريك بعد هذا كل آرائه في كتابه «**العهد السياسي**» والذي كتبه في العام (١٧٥٢) للإستخدام الشخصي لمن يخلفونه على العرش البروسي . وقد ألحق كتابه «الأصول العامة للحرب» بكتابة «العهد السياسي» كملحق له . وفي العام (١٧٦٨) عندما انتهت كل حروبه ، وكانت آراؤه إلى حد ما تتطلب التعديل ، فإنه كتب كتابه «**العهد العسكري**». قاصداً به أيضاً توجيه خلفائه وافادتهم من تجربته الذاتية في الحرب وفي بناء الدولة . ثم عاد في العام (١٧٧١م) فأصدر لقادته كتابه : «**عناصر فن اختيار مواقع المعسكرات وتخطيطها وفن القتال – التكتيك**» . وقد كتب باستمرار وعلى امتداد حكمه تعاليم خاصة لفروع الجيش المختلفة . **وقد جمعت هذه التعاليم مع كتاباته الأخرى ونشرت في العام (١٨٤٦م)**. ومن بين مؤلفاته التي تركها تنشر للناس عامة قصيدة طويلة حملت عنوان «**فن الحرب**». وتضمنت معالجة عدد من الموضوعات السياسية المرتبطة بالمسائل العسكرية ، كما تحدث فيها عن تاريخ حكمه وذكرياته . وقد كتب (فريدريك) مؤلفاته باللغة الافرنسية . ولم يكتب باللغة الألمانية غير تعاليمه الفنية . وتمتد حياته الأدبية ، أي تمتد المدة التي كتب فيها لأكثر من أربعين سنة . وقد حاول معاصروه أن يصلوا من كتاباته إلى أسرار قيادته ، والواقع أن (فريدريك) ظل حتى آخر لحظة من حياته يتبع آراء واحدة فيما يختص بتنظيم الجيش ، وفي أصول فن القتال . أما في السياسة والاستراتيجية فقد تحول من الاعتداء العنيف الذي كان رأيه في عام (١٧٤٠م) إلى فلسفة عدم النشاط النسبي في عصر متأخر .

كان تنظيم الجيش موضع عناية قديمة من حكام بروسيا ، وفي العام (١٦٤٠م) أي قبل تولي فريدريك للعرش بقرن كامل من الزمان ، فإن جده الأكبر وصل إلى العرش في خضم (حرب الثلاثين سنة) (١٦١٨ - ١٦٤٠م). ولم تكن هناك مملكة بروسيا ، بل كانت هناك مجموعة من المناطق على امتداد السهل الشمالي الجرماني ، تجتازها وتقوم بالسلب والنهب فيها جماعات المحاربين المأجورين لكل قوة مقاتلة . وقد أوجد (المنتخب الأكبر - الالكتر) جد فريدريك جيشاً ، ولكي يدعم هذا الجيش أوجد سياسة واقتصاديات جديدتين ، ومع حكمه بدأت الظاهرة المميزة لبروسيا ، وتجدر هنا ملاحظة أمور ثلاثة : **أولها أن وجود بروسيا إنما يرجع إلى قوة جيشها ، وثانيها أن العلوم العسكرية والسياسية والإقتصادية قد ارتبطت كلها معاً لتوجد فن إدارة الحكم للدولة . وثالثها أن بروسيا التي أوجدتها أسرة هوهنزلرن كانت انتصاراً لتخطيط معنى به** . وكان والد (فريدريك الكبير) ، وهو (فريدريك وليم) - ملكاً لبروسيا . وقد آعتبر من ناحية عامة بأنه من أكثر قادة أوروبا قدرة على العمل المتواصل ذلك لأنه كان يوجه كل أمور الدولة بنفسه ، ويمسك كل الشؤون بقبضته . وكان فكره وحده هو المركز الذي يصدر اشعاعه لتوجيه الدولة . ومن هنا حق القول بأن النظام في بروسيا لم يحدث بنتيجة تشاور الأفراد وتعاونهم ، وإنما جاء بفضل جهد الملك (فريدريك وليم).

جاء بعد ذلك (فريدريك الكبير) فسار على هدى أسلافه ، فكان من رأيه أن يكون له جيش قوي ، وأن يحقق توازناً قوياً بين طبقات الشعب التي تضمها الدولة . وأن يوجد أيضاً توازناً تاماً بين الإنتاج الإقتصادي وبين القوة العسكرية . وأن يحافظ على طبقة النبلاء بأن يحرم بيع أراضي النبلاء للفلاحين وسكان المدن .

وكان يرى تبعاً لذلك أن الاعداد الصلب لبناء الطبقات مع وجود أشخاص من النبلاء وأرض للنبلاء لا يجوز انتقال ملكيتها لغيرهم هو أمر ضروري للجيش وللدولة على السواء . وقد أظهر (فريدريك) باستمرار احترامه العميق للجنود الذين يخاطرون بحياتهم في خدمة الجيش ، إلا أن أهم ما كان يعني (فريدريك) من جنوده هو المسائل المادية والخاصة بالإنضباط . وكان يقول : بأن أسر الفلاحين في شرق الألب يجب أن تحمى ، ولا يجب أن تؤخذ أراضيها من قبل البورجوازيين أو النبلاء ، وألا يجند من هؤلاء إلا صغار السن الذين لا يعملون في الزراعة ، على أنه من وجهة

عامة يعتبر الفلاحين وسكان المدن ذوي نفع كبير كمنتجين . وقد أدى حرصه على توفير القدرة الإنتاجية إلى استخدام الأجانب ، حتى أصبح نصف الجيش أو أكثر من الجنود المحترفين من غير البروسيين ومن أسرى الحرب ، ومن الفارين من الجيوش الأخرى . ويمتدح (فريدريك) الطريقة الاقليمية البروسية للتجنيد والتي تقضي بالمساواة في احتمال أعباء التجنيد بأن يجمع أفراد مناطق معينة للعمل في كتائب وألوية ضمن مناطقهم ويكونوا هم مواردها البشرية . وبهذه الطريقة ، وباستخدام الأجانب ، لاحظ (فريدريك) راضياً في العام (١٧٦٨) أن الذين يحتاجهم للتجنيد في كل عام من المواطنين البروسيين هم خمسة آلاف مقاتل فقط ، ومع هذا فقد أعطى قيمة خاصة وأهمية مميزة للقوات التي تجمع من الأهلين المواطنين والذين يتجمعون في ألوية اقليمية ، أي أن ينتظم أهالي كل منطقة جنباً إلى جنب في الحرب ، وكان (فريدريك) قد كتب في العام (١٧٤٦م) عن أن جنوده الذين جمعهم من الأهلين قد قاتلوا بشرف وشجاعة ، ثم أردف قائلاً : «وبمثل هؤلاء الجنود يستطيع الفرد أن يهزم العالم كله لو لم تكن الانتصارات بالنسبة لهم مجهدة قتالة كما هي بالنسبة لخصومهم» . ولكنه مع هذا كان في تاريخ متأخر ، شأنه شأن غيره من الفلاسفة ، قد قدر الكثير من الأهمية لعامل الوطنية ، ولكنه لم يفعل شيئاً في هذا الشأن . والواقع أنه لم يكن ليستطيع هذا إلا إذا أوجد روحاً ثوروية في مملكته ، وقد بقي يظن أن الجندي العادي لا شرف له ، ومات وهو يعتقد بأن استخدام الأجانب للقيام بالقتال هو سياسة حكيمة للدولة . ولم يكن جنود (فريدريك) يشعرون بارتباط داخلي نحوه ، وكان (فرار الجنود) هو الكابوس الذي يخيف كل قادة القرن الثامن عشر ، وعلى الأخص في المانيا غير الموحدة ، حيث كان بالمستطاع العثور على أعداد كبيرة من الرجال الذين يستخدمون لغة واحدة في قوات الجبهتين المتصارعتين في كل جرب . وفي العام (١٧٤٤ م) كان على (فريدريك) أن يعمل على إيقاف تقدمه في (بوهيميا) نظراً لأن جيشه أخذ في التفكك . وقد وضع قواعد عنيفة وقوانين صارمة ليمنع فرار الجنود ، ومن أوامره لعلاج هذا أن لا يعسكر الجيش قرب الغابات الكبيرة ، وأن تحرس مؤخرة الجيش وجانباه بالخيالة ، وأن يتجنب السير الليلي إلا عند الضرورة القصوى ، وأن يقاد الجنود في صفوف وبقيادة ضابط عند ذهابهم للمرعى أو للاستحمام .

ومع أن (فريدريك) كان يقود جيشاً هو في الواقع مادة غير موثوق بها تماماً ، فقد أصر على ضرورة توافر الانضباط الصارم ، وكان الهدف هو اظهار السيادة

والسلطان وذلك بجعل الجندي مجرد آلة مطواعة في الجيش الذي يعمل بدوره لتنفيذ رغبة رجل واحد هو (الملك). على أنه لما كان هدف الإنضباط في النهاية هو خلق الإستعداد للتنفيذ الجيد، فقد كان من الضروري تدريب الجنود تدريباً جيداً، وقد اشتهرت (بروسيا) بميادين تدريبها حيث أعجب المراقبون الأجانب من قيام السرايا والكتائب بتنفيذ تشكيلات معقدة بمهارة كبيرة. وكان الهدف من التدريب المتواصل هو زيادة القدرة الحركية التعبوية – التكتيكية – للوحدات والتشكيلات، والوصول إلى المهارة في الإنتقال من تشكيل السير إلى تشكيل القتال، والثبات تحت النيران والطاعة التامة لأوامر القيادة.

وقد كرر (فريدريك): «أن جيشاً مدرباً بهذه الصورة، إنما يسمح بتطبيق كل مبادئ فن القيادة إلى أقصى حد» ولهذا فقد طالب قادته باستمرار ألا يفتروا عن تدريب جنودهم في السلم وفي الحرب.

وكانت الجيوش المتصارعة كلها تطبق ذات الأساليب، وتتشابه في الخصائص والميزات. ولهذا فإن القتال بجنود هذه حالهم، لم يترك للقادة مجالاً كبيراً للإبتكار والإبداع. فكانت القوات المتصارعة على الجانبين تتحرك في بداية المعركة كما تتحرك احجار الشطرنج، حيث تتوزع قوى الفرسان على الجانبين، وتتوزع المدفعية في المؤخرة، وتنتظم كتائب المشاة في خطين جامدين متوازيين، أولهما وراء الثاني ببضع مئات من الأمتار، ويضم كل خط (نسق) – أو على الأقل الأول منهما – ثلاث مجموعات أو صفوف. ويطلق جنود كل مجموعة النيران بأمر قائد واحد. وتطلق كل مجموعة – صف – النيران أثناء اشتغال جنود المجموعتين الأخريين بإعادة التعمير. ولم يتخل (فريدريك) أبداً عن هذا التشكيل للمعركة، وان كان قد سمح لنفسه – اسوة بالقادة الأكفاء المجيدين – بالحرية في تطبيقه تبعاً للأغراض الخاصة، وكان نظام المعركة هو الذي يوجه نظام السير، فالجنود يجب أن يسيروا تبعاً لتنظيم (فريدريك) في ارتال مستعدة دائماً لتتحول بسرعة إلى خطوط للنيران مع بقاء الفرسان – الخيالة – على الجانبين، وكان التنظيم للمعركة هو أيضاً الهدف النهائي للتدريب العنيف القاسي، ولم يكن من السهل الابقاء على الجنود في خطوط تقف في السهل المكشوف جنباً إلى جنب، ولا يفصلها عن العدو الذي تواجهه إلا مئات قليلة من الأمتار. ولهذا فقد كانت الأوامر والنظم عنيفة صارمة للقضاء على كل من يحاول مغادرة موقعه في الصف.

كان (فريدريك) ينظر نظرة تقدير خاص إلى الفرسان الذين كانوا نحو ربع تعداد جيشه ، ولكنه استخدم الفرسان في عملية الاختراق وفي الهجمات الجبهية (المعارك التصادمية) وبوحدات تعبوية – تكتيكية – جامدة . ولهذا كانت عملياته للإستطلاع ضعيفة ، وفي العام (١٧٤٤م) لم يتمكن من اكتشاف مواقع النمساويين على الرغم من أن جيشه كان يضم عشرين ألفاً من الفرسان ، ولم ينجح كذلك في استخدام الفرسان الخفيفة في أعمال الدوريات والمطاردة والإشتباك . هذا في الوقت الذي كان يعرف فيه (فريدريك) بوجود مجموعات كبيرة من الجنود الخفيفة – سواء الراكبون أو المترجلون – لدى النمساويين بين قواتهم المحبذة من هوسار الكرواتيين والباندور والمجر الخ ...

تطورت المدفعية تطوراً كبيراً في منتصف القرن الثامن عشر ، وتزايد استخدامها في الجيوش بمعدل زاد على كل معدلات الأسلحة الأخرى . وقد اتجه النمساويون بعد خسارتهم المزرية في سيليزيا إلى زيادة حجم المدفعية وتطوير التخصص فيها لمواجهة تهديد قوات (فريدريك) الخفيفة الحركة .

وكان الافرنسيون أقدر مدفعيي أوروبا وأكثرهم تقدماً في هذا الفن . وكان (فريدريك) يبدي دائماً حسرته على أن (بروسيا) مع أنها بين الدول الكبرى عسكرياً ، إلا أنها أقل قدرة على اعداد المهرة من رجال المدفعية . وكانت المدفعية على ما لاحظ (فريدريك) هي الهوة الحقيقية التي تبتلع مالية الدولة . ومع هذا فإنه شارك في هذا التسابق . وكان (فريدريك) نتيجة لتفهمه التحركات السريعة ، هو الذي أدخل مدفعية الميدان التي تجرها الخيول لنقلها من موقع إلى آخر أثناء المعركة . وقد استمر مصراً على أن المدفعية ليست – سلاحاً قائماً بذاته – بل سلاح معاون أقل مكانة من المشاة والخيالة ، ولكنه قدم آراء كثيرة عن استخدامها . ومن آخر ما كتب (فريدريك) في هذا الشأن هو ما جاء على ما يبدو في تعليمات عام (١٧٨٢م) وقد أوضح في تعليماته تأثير الافرنسيين من أصحاب النظريات في المدفعية ، أولئك الذين كان نابليون سيتعلم على أيديهم ، وهنا يأمر (فريدريك) ضباط مدفعيته أن يركزوا نيرانهم الأولية على مشاة العدو ليشقوا ثغرة في خط العدو لمعاونة مشاتهم على النفوذ منها . وتبعاً لاستخدام تشكيل غير متكسر للمعركة ، فإن (فريدريك) بسبب كون الهجوم بالمواجهة بين خطين قويين يؤدي إلى مجزرة ، قد اتجه للكسب بالهجوم الجانبي ، ومن أجل هذا فقد وضع (نظام الهجوم المائل) الذي اشتهر به . ومع تجاوز التفاصيل التعبوية – التكتيكية – فمن الممكن القول ببساطة أن غرض (فريدريك) من

تفضيل هذا اللون من القتال ، وهذا الطابع للمعركة ، هو الحصول على نصر سريع في حال النجاح بطي خط العدو . كما أنه في حال الفشل يمكن من تخفيف الخسائر والإقلال منها ، إذ أن قيام الجناح المتأخر للخلف بالمناورة ، يغطي انسحاب الجناح المشتبك بالعدو . وقد مكنت خفة الحركة التي توافرت (لفريدريك) مقترنة بالتنسيق لأعماله ، مكنته من أن يوجد تأثيراً خاصاً لهذه الحركات الجانبية والتي كانت في حد ذاتها من بين أقدم الصور المستخدمة في الحرب .

لم يغير (فريدريك) من آرائه تغييراً جدياً في المسائل المتعلقة بتنظيم الجيش وبالأساليب التعبوية – التكتيكية – التي طالما استخدمها ، وان كان قد غير من آرائه في المسائل الإستراتيجية العامة ، وقد ظهر في البداية أنه سيدخل روحاً جديدة في صياغة (الفكر العسكري) ، إلا أنه انتهى بأن قبل هذه التحديدات التي فرضها النظام السياسي في المسائل الخاصة بالظروف التي تحدث في غمرتها الحروب ، ثم الشروط التي تحدد وقت الإشتباك في المعركة ، ومكانها الملائم .

بدأ (فريدريك) حروبه بالهجوم تلو الهجوم ، ثم انتهى بالإعتماد على الدفاع ضد قوات فرنسا والنمسا والروسيا مجتمعة. وكانت آخر حروب فريدريك هي (حرب الوراثة البافارية)–(١٧٧٨ – ١٧٧٩م) والتي لم تكن أكثر من سلسلة من المظاهرات العسكرية والمسيرات التي لم تسفك فيها دماء . وفي كتابه «المبادئ العامة للحرب» يخلص من هذه التجارب للدعوة إلى الحرب القصيرة المليئة بالحركة ، وتجنب الحرب الطويلة الأمد . على الرغم من مميزات هذه الحرب في مجال الإستهلاك المحدود للقوى والوسائط .

ومهما كانت الحال . فإن الظروف التي كانت مسيطرة على الحروب ، والموارد المحدودة للدولة ، واعتماد الجيوش على المستودعات التي تعد مسبقاً ، وضرورات استخدام الجنود الذين لا يمكن الإعتماد عليهم بصورة مستمرة مهما كانت درجة تدريبهم ومهما كانت حوافزهم للعمل في الجيوش .كل ذلك جعل من غير الممكن اللجوء إلى (الحرب الطويلة الأمد) . ولم يكن باستطاعة (فريدريك) في الواقع التغلب على أي من هذه الصعوبات . فهو لم يكن قادراً على جعل (بروسيا) دولة موفورة الثروة ، بل كل ما كان يستطيعه هو الإقتصاد في الموارد . ولم يكن باستطاعته أن يفعل ما نفذته حكومة الثورة الافرنسية فيما بعد من حيث الاعتماد على البلاد التي تحتلها لتأمين مواردها ، وان كان هو قد أوصى بذلك ، إذ أن هذا الأسلوب سيؤدي إلى بعثرة جيوشه لو انتشرت للبحث عن متطلباتها الحياتية ، كما أن أفرادها سيفقدون

انضباطهم .وروحهم المعنوية إذا لم يحصلوا على تموينهم بانتظام . ولم يكن باستطاعته أيضاً الإعتماد على ما تقدمه جماهير سكان الأراضي المحتلة بصورة طوعية ، وقد أخفقت جهوده أكثر من مرة في ايجاد طابور خامس في بوهيميا ، ولم يكن قادراً على القيام بدعم الروح المعنوية لجنوده بين حين وآخر دون أن يغير من كل من أسلوبه ووجهة نظره في الحياة .

وبالاضافة إلى هذا ، فإنه عندما عمل النمساويون على دعم تحصيناتهم ومواقعهم الدفاعية بعد أن فقدوا سيليزيا ، وعندما عملوا أيضاً على التوسع في استخدام المدفعية ، فإنهم أضافوا بذلك مجموعة من العوائق الفنية التي باتت تهدد بالفشل أساليب (فريدريك) في (الحرب الخاطفة) ، ولهذا أخذ الملك الشيخ (فريدريك) في آخر سني حياته ، يكرر ما يلاحظه من تغير الأحوال عما كانت عليه في أيام شبابه ، ويعترف بأنه بات من المحال على بروسيا أن تقاتل غير (حرب المواقع) فكان من أقواله في هذا المجال : «من الضروري أن نضع توزيعاتنا للمعركة على أساس القواعد ، أي المواقع التي تعد للقيام بالحصار» . وقد برهن هو ذاته على القيمة الكبيرة للتحصينات الدفاعية الثابتة التي أرغمته عليها طبيعة بلاده ذات الحدود المفتوحة على كل الأعداء ، وكذلك ضرورة اعتماده على مستودعات ثابتة .

لم يكن تدمير قوات العدو الأساسية هو الغرض الاستراتيجي العادي (لفريدريك) ولا شك أنه قد أدرك عندما تحدث عن المعركة أن المنتصر يجب أن يحاول القيام بمطاردة مدمرة للعدو ، ولكن لم تكن هذه المطاردة المدمرة مسألة سهلة ميسورة لجيش (فريدريك) فإن الخيالة قد دربت على عمليات الإصطدام بوحدات صلبة متكتلة ، وكانت تواقة للفرار لو تبعثرت ، ثم ان الجنود الخيالة — الفرسان — في جيش (فريدريك) لم تكن تلهب مشاعرهم الغلظة نصف الوحشية أسوة بغير النظاميين من الكروات ، ولم تكن تلهب مشاعرهم أيضاً العقيدة السياسية كما هي الحال بالنسبة لجنود العصر الحديث ، ولذلك فإنهم لم يكونوا يصلحون لمطاردة جيش مهزوم ، ولم يكن جيش (فريدريك) ليستطيع القيام بهذا الدور التاريخي الذي اضطلعت به قوات الفرسان منذ القديم .

على الرغم من أن تفكير (فريدريك) الإستراتيجي قد بقي في نطاق الحدود التقليدية (للحروب المحدودة أو حروب المواقع) . وبالرغم أيضاً من أنه بقي عازماً عن

خوض غمار المعركة الكاملة – وكان قادته هم الذين ألحوا عليه للعمل في العام الذي حدثت فيه معركتا روزباك ولوثن – فإن فريدريك لم يكن قط في جانب العمل السلبي في المعركة ، بل بقي يصر على أهمية المباغتة ، وكان دائماً على أتم أهبة في سنوات السلم التي تلت حرب السبع السنوات للوثوب (بعد دقيقة واحدة من انذاره) إلى سكسونيا أو بوهيميا . مزوداً بالمخططات التفصيلية والمعلومات الدقيقة ، وقد زودت وحداته بالمدافع القذافة (الهاوتزر) الجديدة زنة عشرة أرطال . كما زودت بأسلوبين جديدين لهجوم الخيالة الجبهي ، وقد احتفظ بهذين الأسلوبين كسرّ من أسرار الدولة . وقد شجع (فريدريك) الإستراتيجية الهجومية في الميدان تبعاً لأنها تسمح بمزيد من الحرية للابداع – الإبتكار – والمبادأة ، ولكنه كان يحارب راضياً كمدافع ، الأمر الذي كان عليه أن يفعله دائماً عندما يكون أقل قوة من عدوه ، أو عندما يتوقع أن يكسب نفعاً بعامل الوقت ، ولكنه كان يستخدم دفاعياً إيجابياً يمكنه – عندما يستند إلى تحصينات دائمة – من حرية اقتحام مواقع العدو وقواته المنفصلة .

تضافرت العوامل السابقة كلها والتي احاطت بالملك فريدريك ، فأثارت شكوكه بإمكانات تحقيق أهدافه عن طريق الحرب ، ومع أنه بدأ ظهوره العام بحصوله على أضخم نجاح ثوروي في توازن القوى ، مما أثر في قارة أوروبا طوال حياته ، فقد انقلب إلى رجل يطلب السلام بعد انتهاء استيلائه على (سيليزيا) . وانتهى بإعتقاده القوي في قيمة التوازن الأوروبي ، بعد أن باتت روسيا عاملاً من عوامله الرئيسية ، وكان ينظر إلى الاتساع التدريجي في بولندة – بولونيا – وساكسونيا وبوميرانيا السويدية من وجهة النظر البروسية . ولكن فيما عدا التقسيم الأول لبولونيا ، والذي اتجه بدون حرب وبدون أي اضطراب في توازن القوى ، الأمر الذي أرضى كل السياسيين ، فإنه كان راغباً في أن يترك الإتساع التدريجي الذي يتبع الحوادث لخلفائه من بعده ، وكان (فريدريك) رجلاً من أسرة ملكية حاكمة ، فهو لم يكن ثائراً ، ولا مغامراً ، وكان في استطاعته أن يترك شيئاً ليفعله غيره . وفي العام (١٧٧٥ م) وقف في جانب ابقاء الحال على ما هي عليه . وقد كتب : «يجب أن يقدر الطامع قبل كل شيء أن التسليح والنظام العسكري متماثلان في أوروبا كلها ، وأن قيام الاحلاف قد مكن من المساواة في القوة بين الأطراف المتضادة . وكل ما يمكن أن يحصل عليه الأمراء الحكام من نفع كبير في الوقت الحاضر ، هو

الإستيلاء على مدينة صغيرة على الحدود أو قطعة من الأرض لا يمكن أن تساوي نفقات الحرب ، ولا يمكن أن يتعادل سكانها مع عدد المقاتلين الذين يهلكون في الحرب ».

لم يكن (فريدريك) يشك بقدرة بروسيا كدولة صغيرة على مجابهة الدول العظمى المحيطة بها ، اعتماداً منه على عاملين ، القدرة الذاتية لبروسيا والتمزق لدى أعدائها . وفي ذلك يقول : «لقد وجدت الامبراطوريات العظيمة وفي بنائها الكثير من العوامل الضارة ، ولكنها تستطيع البقاء فقط بسبب مواردها الكبيرة ، وبسبب القوى المتوافرة في حشد جموع سكانها ، ان المفاسد والمؤامرات التي يزخر بها بلاط كل من هذه الدول الملكية الكبيرة ستدمر كل الحكام الذين لا تتوافر لهم القوة والمقدرة ، وهؤلاء في العادة ليسوا تواقين إلى الضرر . ولكن هذا لا يحول دون أن يحتفظوا بجيوش كثيفة على أتم أهبة واستعداد».

يظهر أن (فريدريك) لم يقدر أبداً ماذا يمكن أن يحدث للتوازن الأوروبي ، لو أن هذه الدول الملكية الكبيرة قد تخلصت من الفوضى والإضطراب والعوامل الضارة في بنائها ، ولو دمرت الحواجز التي أقامها النظام الارستقراطي للأسر الملكية ، واتجهت في المسائل العامة ذات الإتجاهات التي بدأت بروسيا تعنى بها ، وفي الواقع أن هذا كله لم يفكر فيه .

(ج) فريدريك تجربة تاريخية فريده :

تتشابه بصمات القادة العظام على صفحات التاريخ ، ويصل التشابه حداً غريباً في بعض الأحيان ، ومثال ذلك (الدور الذي اضطلع به بطرس الأكبر في بناء الروسيا مع دور فريدريك الكبير في بناء بروسيا) . وعلى الرغم من هذا التشابه فهناك اختلاف وتباين قد يزيد في عمقه واتساعة إلى ما هو أكبر من ظواهر التشابه ، وهذا ما يعطي لكل تجربة تاريخية خصوصيتها ومميزاتها النوعية .

وهذا ما يعطي أيضاً لكل تجربة تاريخية عناصر إثارتها وفائدتها . ومن هذه الزاوية بدقة تظهر حياة فريدريك وأعماله ومنجزاته ومؤثراته وهي تشكل (تجربة تاريخية فردة) .

لقد برز (فريدريك الكبير) في ذات القرن الذي شهد التوسع البريطاني الإستعماري فيما وراء البحار ، والذي رأى ظهور قدرة أوروبية جديدة في بروسيا ،

إلى جانب ظهور أمبراطورية ضخمة في الشرق بقيادة بطرس الأكبر الذي نصب نفسه حامياً للارثوذكسية وانطلق لتوسيع حدود بلاده عن طريق الحروب التي شنها ضد العثمانيين المسلمين . ثم لم يلبث أن توجه نحو الغرب ليمارس دوراً مشهوداً في أوروبا لا زالت آثاره باقية حتى الآن. ويظهر بوضوح من خلال استعراض أبرز الأحداث التي عاصرها (فريدريك) انه قد جاء لافتتاح مرحلة جديدة من مراحل التاريخ لا على مستوى بروسيا. وإنما على مستوى العالم: وقد يكون من المثير أن تصطدم أعمال فريدريك في مراحلها الأولى بالقيادة النسائية – إذا صح التعبير – التي كانت تتزعم أقطار العالم الكبرى. حيث القيصرة كاترين في الروسيا وماريا تيريزا في النمسا و (مدام بومبادور) في فرنسا. وانتصر فريدريك على هذا «الإتحاد النسائي» غير أن ذلك لا يمثل على كل حال الوجه الأكثر إثارة في حياة (فريدريك).

لقد وصف بعض المؤرخين الملك فريدريك العظيم بأنه (آخر الملوك) ولم يكن ذلك على ما توضحه سيرته ، وبحسب ما تبرزه منجزاته ، إلا من أجل التأكيد على (خصوصيته) كنموذج مميز عن سواه من الملوك . فقد كان ممثلاً للملك أكثر منه طاغية مستبداً وفقاً للمفهوم التقليدي الذي ألصق بالأنظمة الملكية القديمة ، والتي لم تطح الثورات بها إلا لرذائلها التي طغت على فضائلها .

لقد أثرت مجموعة من العوامل في تكوين (فريدريك العظيم) . فهو ينتمي فكرياً إلى جيل النهضة الايطالي ، وينتمي ثقافياً إلى الافرنسيين ، وهو ينتمي بالدم والأضالة إلى الشعب البروسي والعرق الجرماني ، وقد يكون لذلك كله أثر في انحرافه عن الاستبداد ، ونزوعه إلى إقامة المجالس التشريعية التي كانت باكورة جديدة في عصره .

ولقد تميز (فريدريك العظيم) بأنه رجل مثقف بقدر ما هو جندي محارب ، مزج الفلسفة بالحرب وهي الظاهرة التي لازمت المانيا بعد ذلك على امتداد عهودها المختلفة . وتبرز مؤلفاته الضخمة ذلك الازدواج الغريب بين (الاشراقة الذاتية) و (التناقض) مما يجعل من الصعب جداً ، إن لم يكن من المحال ، معرفة ما يريده بدقة ، سواء بالنسبة لأمور عصره ، أو بالنسبة له شخصياً .

كان جندياً صلباً إلى أبعد الحدود ، وقائداً من أعظم القادة ، وهجومياً من الطراز الأول ، غير أنه اكتشف على ما يظهر عقم الحلول التي تأتي بها الإنتصارات العسكرية ، قدر اكتشافه لعدم التوازن بين الحرب وبين ما تستنزفه من قدرات

وامكانات ، وها هو يكتب : «**هذه الرؤوس النحاسية .رؤوس الشياطين ، التي تطلب الحرب وتتعطش للدماء والدمار**» . وفي قصيدة شعرية أخرى يقول : «**علينا عدم ايقاد جذوة الحرب ، وإنما العمل على التخلص منها . تماماً كما يتخلص الطبيب من الحمى وهو يعالجها ويقضي عليها**» . وهو يكتب إلى صديقه الحميم الشاعر الافرنسي (فولتير) رسالة تضمنت ما يلي :

«**يجهد الأمير للاعتناء بهندام جنوده الذين يرتدون الثياب الزرقاء الجميلة ويزينون قبعاتهم بالأشرطة البيضاء ، ثم يبذل الجهد لتدريبهم النظام المنضم ، الدوران إلى اليمين والدوران إلى اليسار ، فكيف له بعد ذلك أن يقودهم للحرب بدون أن يقنعهم بالقتال من أجل قضية مشرفة ؟ وهل يشرف هذا الأمير الذي يقود لواء أن يعمل كقاطع طريق بمجرد أن تتوافر له الفرصة لقيادة قطيع من الحمقى الذين يصبحون بالضرورة قتلة مأجورين ؟ وهل نسيت كوارث تلك الحرب التي ضمتهم جميعاً ، وأضافت إليهم كل تلك الجرائم ؟ انك ترى بعد قراءة هذه السطور ، ان من واجب كل رجل يحرص ولو على القليل من كرامته وسمعته ، العمل لتجنب الحصول على الألقاب التي لا تمنح إلا لأقذر الأوغاد واتفه الأنذال**» .

ولكن وعلى الرغم من الادانة القلبية للحرب ، فقد ظهرت تطلعات (فريدريك) للسلم بصورة غريبة قد تثير التهكم . ففي حواره مع (فولتير) حول مشروع (السلم المتبادل) يصرح بما يلي :

«**يحتاج السلم حتى يكون حقيقياً وواقعياً وناجحاً اتفاق أوروبا كلها ، وهو أمر لا يمكن له أن يحدث ، هذا بالإضافة إلى ضرورة تحقيق بعض التفاهات المشابهة الصغرى**» .

ولعل هذه المقولة وأشباهها ونظائرها كافية لتكوين قناعة بأن الأرضية الوحيدة التي كان يستند إليها (فريدريك) في مفهومه للسلم والحرب هي أرضية الواقع ، أو (الخطيئة الأصلية) التي أخرجت آدم من الجنة ، والتي تؤكد ثنائية الخير والشر ، وعلى هذا فإن حدوث هذه الأشياء – بما فيها الحرب والسلم – هي أمور خارجة على إرادة الإنسان التي يجب عليها علاجها وإيجاد المخرج المناسب لها .

وهذا ما أشارت إليه محادثته مع مفتشه للتربية والتعليم – سولزر – الذي قال له في ذات يوم :

«كان الرجل في الأزمنة الغابرة السحيقة يميل بطبيعته إلى الشيطان ، غير انه أصبح الآن وهو يميل منذ ولادته إلى الإيمان بالخير» فما كان من (فريدريك) إلا أن أجابه على الفور :

«آه يا عزيزي سولزر ، انك لا تعرف هذا العرق الملعون – عرق الشيطان» .

ترى هل كانت تسميته لقيصرة روسيا (بسفيرة الشيطان) انه اعتبرها من المحرضين على الحرب العدوانية ؟ .

وعرف (فريدريك) ملكاً حراً في تفكيره ، واسعاً في افق مناقشاته وآرائه ، متساهلاً في القضايا الدينية وأمور العبادات تجاه المذاهب المختلفة والنحل المتباينة ، وهو يقول في ذلك :

«**على كل رجل أن يصعد إلى السماء بطريقته الخاصة**» . وانطلاقاً من ذلك ، عمل على اطلاق حرية الصحافة (طالما انها تقول ما تريد وهو يفعل ما يريد) وأوقف التعذيب والتشويه وحرمه ، وشجع على دراسة العلوم وتطويرها ، وأقام بيوت العجزة لايواء آلاف النساء الطاعنات في السن ، وضمن تقديم الطعام مجاناً إلى الفقراء . ولم يكن ذلك متناقضاً مع ما اشتهر به من القسوة عندما يكون الأمر متعلقاً (بالواجب) ومن ذلك ما ذكر عنه : «أنه ألبس رجلاً شديد الثراء ثياب الفقراء البائسين وأرسله بمهمة للتجسس على أحد الأقاليم ، وأمره بالعودة في وقت حدده له ، وهدده إن لم يعد ومعه المعلومات الدقيقة في الوقت المحدد فسيحرق له منزله ، وسيقطع زوجته وأولاده شر ممزق ، وسيقطعهم ارباً» .

يظهر أن تساهل (فريدريك) في القضايا الدينية لم يكن أكثر من ذرائعية ، وهو ما أكدته مقولته : «علينا أن نرتدي قناع المدافعين عن المذهب اللوثري عندما نعمل في أقليم بروتستانتي ، وأن نظهر الحماسة لما يظهره الشعب من التزام بقوانينه الصلبة ، طالما أن ذلك لا يتعارض ببساطة مع أهدافنا وأعمالنا . أما عندما نكون في أقليم كاثوليكي فعلينا ارتداء ثياب المبشرين بالاعتدال والتساهل مع التشديد على تحقير الرهبان وشتمهم باعتبارهم سبب العداء والأحقاد كلها فيما بين المذاهب المختلفة ، ذلك انه على الرغم من كل مناقشات الرهبان والاكليروس ، فإنهم يتفقون جميعاً على الأمور المادية – الجوهرية – المتعلقة بالإيمان» .

وكان (فريدريك) هجومياً لا يضارعه في هذا المجال إلا كبار القادة من صانعي التاريخ ، مما دفع بعض الباحثين إلى القول : «لم يعرف فريدريك إلا الهجوم ، فكان دائماً هو المهاجم مهما كان عليه وضعه ، ومهما كان حجم قوات أعدائه أو درجة تفوقهم» وعند العودة إلى دراسة معاركه ، فسيظهر بوضوح أنه لم يكن جريئاً فحسب ، وإنما كان أيضاً يعنى أشد العناية بالتعلم من أخطائه قدر تعلمه من أخطاء الآخرين ، ويتعلم من تجاربهم قدر إفادته من تجاربه . وفي ذلك يقول : «علينا تركيز انتباهنا على جيش العدو ، وأن نجعل القضاء عليه هو هدفنا الأساسي» ومن أقواله أيضاً في إدارة الحرب : «عندما لا تكون هناك ضرورة لاهراق دم جنودك فعليك تجنب ذلك ، أما إذا فعلت فكأنك تقود جندك بلا شفقة أو رحمة إلى المسلخ – المذبح –» . «علينا أن نبذل قصارى عنايتنا بالجرحى من جنودنا ، والإهتمام بتقديم المساعدة لهم بالمقام الأول ، غير أن ذلك يجب ألا ينسينا واجبنا تجاه العدو» . «انك لا تستطيع تقويم ما انجزته من الأعمال إلا إذا عرفت ما لم يتم انجازه منها» .

تلك هي سطور تروي قصة الملك القائد (فريدريك) الذي منحه شعبه لقب (العظيم) بعد عودته ظافراً من (الحرب السيليزية) الثانية . ولا ريب أن الشعب البروسي – الجرماني – عندما منحه هذا اللقب قد قارن بين عهدين ، ذلك الذي مضى حيث كانت جموع الشعب تتعرض للإبادة والتقتيل والإستباحة وكل أنواع الشقاء خلال الحروب التي تجري فوق الأرض الجرمانية والتي لم يكن للشعب مصلحة فيها ، وبين هذا العهد الذي تحمل فيها الشعب البروسي ما لا يمكن وصفه من البؤس والشقاء ، غير ان (فريدريك) نقل الصراع إلى أبعد ما يكون عن حدود الأقليم ، وضم إلى بلاده قسماً من شعبه في سيليزيا ، ثم انه ضمن الإنتصار الحاسم ضد الدول التي أرادت محق العرق الجرماني . ولعل أعظم درس يمكن استخلاصه من (تجربة فريديريك التاريخية) هو أنه ما من شعب كبير يستطيع قهر شعب صغير إذا ما افاد هذا الشعب الصغير من قدراته الذاتية وامكاناته المتوافرة له لتحقيق أهدافه في السيادة على أرضه ووطنه . وذلك بدقة هو موقف العالم العربي من الدول العظمى والتي تحاول بأساليب مغايرة تدمير الوجود العربي والقضاء على الأصالة العربية .

المراجع الرئيسيـــة للبحث

المَراجــع الأجنبية :

1 —FREDERICK THE GREAT"S ARMY (ALBERT SEATON) OSPREY PUBLISHING LIMITED — 1973.

2 — THE DECISIVE BATTLES OF THE WESTERN WORLD (J.F.C. FULLER) GRANADA PUBLISHING LIMITED — 1970.

المراجع العربية :

٣ — رواد الاستراتيجية(ادوارد ميد ايرل وآخرين) ترجمة وتقديم الأميرالاي أركان الحرب محمد عبد الفتّاح ابراهيم — مكتبة النهضة المصرية. ١٩٥٧.

٤ — تاريخ فن الحرب — الجنرال ستروكوف — ترجمة العميد الركن صباح الدين الأتاسي. إدارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي — وزارة الدفاع — دمشق ١٩٦٨.

٥ — الاستراتيجية وتاريخها في العالم — ج. ل. ليدل هارت. ترجمة الهيثم الأيوبي — دار الطليعة — بيروت — ١٩٦٧.

الفهرس



«كان فوق كل شيء، وقبل كل شيء، عظيماً وهو في أشد اللحظات ضيقاً وحرجاً، وتلك هي ارفع فضيلة يمكن للمرء ان يتطلع عليها عندما ينظر الى الملك فريدريك العظيم».

«لم تكن مناوراته هي التي ميزته، وانما الجرأة والاقدام اللتان كانتا من ابرز صفاته هما اللتان ميزتاه عن سواه من القادة. لقد اقدم على تنفيذ اعمال لا اجد حتى الجرأة للاقدام عليها، لقد تخلى عن خط عملياته، وغالباً ما كان يعمل وكأنه لا يعرف شيئاً عن فن الحرب».

«ليس الجيش البروسي هو الذي دافع عن بروسيا طوال سبع سنوات ضد أقوى الدول الأوروبية الثلاث، وانما الذي دافع عنها هو شخص فريدريك العظيم».

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير - ت ٨٠٧٩٠٠/١
برقياً "موكيالي" بيروت - ص.ب: ١١/٥٤٦٠ بيروت